

جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

دراسة صوتية دلالية في السور المكية والمدنية سورتا الحشر والملك نموذجاً

إعداد
منى "محمد وحيد" ولويل

إشراف
أ. د. محمد جواد النوري

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس - فلسطين

2020م

دراسة صوتية دلالية في السور المكية والمدنية سورتا الحشر والملك نموذجاً

إعداد

منى "محمد وحيد" ولويل

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2020/06/29م، وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة:

التوقيع

.....

1. أ. د. محمد جواد النوري / مشرفاً ورئيساً .

.....

2. أ. د. صادق الدباس / ممتحناً خارجياً

.....

3. أ. د. عودة عبد الله / ممتحناً داخلياً

الإهداء

إلى روح والدي الطاهرة

إلى أمي الحبيبة التي كانت لي السند الدائم الذي لا يزول

إلى زوجي الغالي

إلى طفلي وأميّتي حلا

إلى كل من مد لي يد العون وذلك طريق الصعاب

الشكر والتقدير

قال تعالى: " وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ " ¹، وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ " ² فإنني وبعد أن أحمده الله جل وعلا، حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه وأثني عليه ثناء قدر ما يوفي عطائه الواسع أن يسر لي جميع السبل إلى إتمام هذه الرسالة، أتقدم بجزيل الشكر والامتنان وأفسح العرفان لمن لم يدخر في دعمي لإتمام هذا البحث جهداً أو وقتاً أستاذي العالم الجليل أ.د. محمد جواد النوري حفظه الله شكراً وتقديراً يحتويان الإجلال والاحترام بما يوفي حقه بأن مدني بالمراجعة اللازمة، والتوجيه والإرشاد والتصويب، ومواصلة متابعتي لأن أخرج بهذه الرسالة العلمية على أفضل صورة.

¹ سورة النمل، الآية 40.

² سنن الترمذي، كتاب أبواب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، ج 4، ص 339، ح 1954، وقال الألباني حديث صحيح.

الإقرار

أنا الموقع أدناه، مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

دراسة صوتية دلالية في السور المكية والمدنية سورتا الحشر والملك نموذجاً

أقرّ بأنّ ما اشتملت عليه هذه الرسالة، لم يكن سوى نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما أشرت إليه حيث ورد، وأنّ هذه الرسالة لم تقدّم من قبل: كلها أو بعضها؛ لنيل أي درجة أو لقب علمي، أو بحثي، إلى أية مؤسسة تعليمية، أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's Name:

اسم الطالبة: صبيحة محمد دلول

Signature:

التوقيع: 

Date:

التاريخ: ٢٠١٩ / ٦ / ٢٠

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
ج	الإهداء
د	الشكر والتقدير
هـ	الإقرار
و	فهرس المحتويات
ط	رموز الكتابة الصوتية
ك	الملخص
1	المقدمة
8	التمهيد
8	نشأة المكي والمدني
8	معرفة المكي والمدني وبيان الفرق بينهما
9	ضوابط المكي والمدني
12	أهمية المكي والمدني
14	تعريف عام بسورتي الحشر والملك
20	الفصل الأول: العوامل الصوتية المؤثرة في النص
24	أولاً: العوامل الداخلية
24	أ. الجهر والهمس
26	ب. التفخيم والترقيق
28	ج. الانفجار والاحتكاك
30	د. الصفير
30	هـ. التكرار
30	و. التركيب
31	ز. الأصوات المائعة
31	ح. أنصاف الحركات
32	ثانياً: العوامل الخارجية
32	أ — الفونيمات فوق التركيبية المستخدمة في النص
33	ب — الاختيار الصوتي للنص

الصفحة	الموضوع
33	ج — تنظيم الأصوات في النص
34	د — المقاطع الصوتية
38	الفصل الثاني: أثر العوامل الصوتية في النص
39	الجانب النطقي وأثره
45	الجانب السمعي وأثره
49	الجانب الموسيقي وأثره
53	الجانب الدلالي وأثره
59	الفصل الثالث: الدلالة الصوتية في سورتي الحشر والملئ
60	أولاً: الصوامت وملاحهما التمييزية ودلالاتها في سورة الحشر
63	أ. الجهر والهمس
75	ب. الانفجار والاحتكاك
83	ج. التفخيم والترقيق
91	د. التركيب
92	هـ. الصفير
95	و. أنصاف الحركات
98	الخلاصة
100	ثانياً: الصوامت وملاحها التمييزية ودلالاتها في سورة الملك
103	أ. الجهر والهمس
113	ب. الانفجار والاحتكاك
120	ج. التفخيم والترقيق
125	د. التركيب
126	هـ. الصفير
130	و. أنصاف الحركات
133	الخلاصة
136	نتائج الدراسة الصوتية والدلالية في سورتي الحشر والملئ
139	ثالثاً: الدلالة الصوتية للحركات في سورتي الحشر والملئ
141	الدلالة الصوتية للحركات في سورة الحشر

الصفحة	الموضوع
144	الدلالة الصوتية للحركات في سورة الملك
147	الخلاصة
149	رابعاً: الفاصلة القرآنية
149	تعريف الفاصلة لغةً واصطلاحاً
151	الفاصلة القرآنية في سورتي الحشر والملك
161	الدلالة الصوتية للفاصلة القرآنية في سورتي الحشر والملك
167	الخلاصة
167	أثر الإيقاع الصوتي في فاصلة المكي والمدني
169	الخاتمة والنتائج
171	قائمة المصادر والمراجع
b	Abstract

رموز الكتابة الصوتية¹

وصف الصوامت	الرمز العربي	الرمز الصوتي
صامت حنجري انفجاري لا مجهور ولا مهموس	ء	ɒ
صامت شفوي ثنائي انفجاري مجهور	ب	b
صامت أسناني لثوي انفجاري مهموس	ت	t
صامت أسناني احتكاكي مهموس	ث	θ
صامت لثوي غاري مركب مجهور	ج	g
صامت حلقي احتكاكي مهموس	ح	ħ
صامت طبقي احتكاكي مهموس	خ	x
صامت أسناني لثوي انفجاري مجهور	د	D
صامت أسناني احتكاكي مجهور	ذ	ð
صامت لثوي مكرر مجهور	ر	r
صامت أسناني لثوي احتكاكي مجهور	ز	z
صامت أسناني لثوي احتكاكي مهموس	س	s
صامت غاري احتكاكي مهموس	ش	ʃ
صامت أسناني لثوي مهموس مطبق	ص	ʂ
صامت أسناني لثوي انفجاري مجهور مطبق	ض	ɖ
صامت أسناني لثوي انفجاري مهموس مطبق	ط	ʈ
صامت أسناني احتكاكي مجهور مطبق	ظ	ḏ
صامت حلقي احتكاكي مجهور	ع	c
صامت طبقي احتكاكي مجهور	غ	ɣ
صامت شفوي أسناني احتكاكي مهموس	ف	f
صامت لثوي انفجاري مهموس	ق	q
صامت طبقي انفجاري مهموس	ك	K
صامت لثوي جانبي مجهور	ل	l
صامت شفوي ثنائي أنفي مجهور	م	m

¹ ينظر: النوري، محمد جواد: من لسانيات اللغة العربية-علم الأصوات، ص 11-12.

وصف الصوامت	الرمز العربي	الرمز الصوتي
صامت لثوي أنفي مجهور	ن	n
صامت حنجري احتكاكي مهموس	هـ	h
نصف صامت أو نصف حركة طبقي مجهور	و	w
نصف صامت أو نصف حركة غاري مجهور	ي	y

وصف الحركات	قصيرة	طويلة
حركة أمامية ضيقة (الكسرة الخالصة)	l	ii
حركة أمامية واسعة (الفتحة المرفقة)	a	aa
حركة خلفية ضيقة (الضمة الخالصة)	u	uu

دراسة صوتية دلالية في السور المكية والمدنية

سورتا الحشر والملك نموذجاً

إعداد

منى "محمد وحيد" ولويل

إشراف

أ.د. محمد جواد النوري

الملخص

تعددت الدراسات القرآنية، والبحوث اللغوية التي جعلت من نصوص آيات القرآن مرجعاً لها، وميزاناً تقيس به علامات تقدّمها وازدهارها اللغوي والمعرفي، وتنوعت تبعاً لذلك الأساليب العلمية والمناهج اللغوية التي سخرت نفسها لخدمة هذه النصوص المقدسة؛ لتتعرّف إلى طبيعة الخصائص المميزة لها لذا جاءت الدراسات الصوتية لدى علماء التجويد، وجاءت الرغبة في معرفة خصائص الإيقاع في لغة القرآن الكريم ويُعدّ هذا البحث المعنون بـ"دراسة صوتية دلالية في السور المكية والمدنية سورتا الحشر والملك نموذجاً" دراسة صوتية دلالية لأصوات السورتين، فهذه الأصوات بما تحمله من ملامح تمييزية تتمثل في جهرها وهمسها، واحتكاكها، وانفجارها، وتفخيمها، وترقيقها، وصغيرها، وغنّتها، يمكنها أن تعكس الواقع الدلالي للنص، وأثره في نفس المتلقي. من هنا كان اختيار موضوع هذه الدراسة التي تكمن أهميتها في توظيف المنهج الوصفي التحليلي للآيات المكية والمدنية، في سورتَي الحشر والملك، فسورة الحشر تعكس السمات العامة للآيات المدنية، في حين تمثل سورة الملك السمات العامة للآيات المكية وخصائصها، ثم إيجاد الفرق بين السور المكية والمدنية، من خلال دراسة هاتين السورتين.

فالبحت عبارة عن قسمين: قسم نظري، احتوى على دراسة تاريخية للسور المكية والمدنية وبيان خصائص كل منهما، واشتمل على تعريف عام بسورتَي الحشر والملك وموضوعاتهما، ثم الفصل الأول الذي بينت فيه الباحثة العوامل الصوتية المؤثرة في النص، والفصل الثاني الذي تحدث عن أثر العوامل الصوتية في النص، وقسم تطبيقي، يقوم على تحليل

آيات سورتي الحشر والملك تحليلاً صوتياً لمعرفة أثر الملامح التمييزية، وتجليّاتها في السورتين ودراسة الفاصلة القرآنية في السورتين والمقارنة بينهما.

وقد جاء هذا البحث مكوناً من مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول، وهي على النحو الآتي:

الفصل الأول: تناول العوامل الصوتية المؤثرة في النص، وهي العوامل الداخلية التي تمثلت في: الجهر والهمس، والانفجار والاحتكاك، والتفخيم والترقيق، والأصوات الصفيرية، وأنصاف الحركات، والأصوات المركبة، والعوامل الخارجية التي تمثلت في: الفونيمات غير التركيبية المستخدمة في النص، والاختيار الصوتي للنص وتنظيم الأصوات في النص والمقاطع الصوتية.

الفصل الثاني: تناول أثر العوامل الصوتية في النص، والتي تمثلت في عدة جوانب: الجانب النطقي وأثره، والجانب السمعي وأثره، والجانب الموسيقي وأثره، والجانب الدلالي وأثره.

الفصل الثالث: وهو أوسع الفصول دراسة، تناول الدلالة الصوتية في سورتي الحشر والملك، وذلك بدراسة الصوامت وملامحها التمييزية ودلالاتها في سورتي الحشر والملك، ودراسة الدلالة الصوتية للحركات في سورتي الحشر والملك، ثم دراسة الفاصلة القرآنية ودلالاتها في السورتين.

وأخيراً: جاءت خاتمة البحث التي احتوت على أبرز النتائج والملحوظات التي توصلت إليها الباحثة.

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان، وعلمه البيان، والصلاة والسلام على رسول الله خير العباد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد خلق الله الناس في هذا الكون، وجعلهم شعوباً وقبائل؛ ليتعارفوا، قال تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا"¹، وقد وُجدت اللغة لتسهيل عملية التواصل بين البشر، وهي، كما ذكر ابن جني، "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"².

وقد ميز الله اللغة العربية، من بين اللغات، وجعلها لغة العرب جميعاً، ولغة كتابه الخالد الذي لا يعتريه نقص، قال تعالى: "بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ"³ وقد اجتمع فيها، من المزايا، ما لم يتوافر لأي لغة أخرى؛ فاللغة العربية، لغة خالدة بخلود كتاب الله العزيز، ومحفوظة بحفظ الله تعالى، قال تعالى: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"⁴.

وقد جاءت اللغة العربية تحمل من الخصائص ما جعل من أبنائها أفصح الناس، وأطلقهم لساناً، وأقدرهم بياناً، فَبُعِثَ الرسول الكريم إلى الناس مؤيِّداً بمعجزة خالدة باقية إلى يوم القيامة، معجزة مادتها اللغة بأنظمتها الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية، والبيانية. وقد تحدى الله تعالى كفار قريش بأن يأتوا بسورة، أوحى بآية تشبه القرآن الكريم، قال تعالى: "وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ"⁵ لكنهم وقفوا عاجزين أمام عظمة القرآن الكريم وإعجازه، وزاد التحدي، حين طلب

¹ الحجرات: الآية 13.

² ابن جني، أبو الفتح عثمان: **الخصائص**، تح: محمد علي نجار، القاهرة: الهيئة المصرية العامة، 1986م، ص 33.

³ الشعراء: الآية 195.

⁴ الحجر: الآية 9.

⁵ البقرة: الآية: 23.

من الجن والإنس أن يجتمعوا ويأتوا بمثل هذا القرآن، قال تعالى: "قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ"¹، فلم يستطع أيّ منهم أن يقوم بشيء من ذلك.

وقد عبّر فصحاء قريش وسادتها، عن فصاحة هذا الكتاب المعجز، فها هو ذا المغيرة بن شعبة يقول: "والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مُغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يُعلَى"².

وما كان للمغيرة، ولا لغيره من البشر، أن يشهد بهذه الشهادة، لولا الأثر الذي تركته لغة القرآن الكريم، بكل مكوناتها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية على النفس، فكم فاضت العيون بالدموع، وهي تقرأ القرآن الكريم وخشعت القلوب عند سماعه!

وليس بوسع أحد أن ينكر أن القرآن الكريم، قد احتوى على معجزات كثيرة تدل على عظمة الخالق، فحيثما وقع نظر الإنسان على سياق آيات الرحمن، كشف الله له من أسرار الإعجاز البياني ما يبهر الأبواب، ويذهل العقول، ولا تكاد الأبحاث المتعلقة بالقرآن الكريم تصل إلى سرٍّ من أسرار جوانب هذا القرآن، إلا وفتح الله لها أسراراً أخرى.

ولما كان للقرآن الكريم نظمُه الخاص الفريد، الذي يتميز به من غيره من العلوم والآداب، فقد نزل القرآن، أول ما نزل، ليحث الناس على قراءته وتدبره، يقول تعالى: "ورتل القرآن ترتيلاً"³

ولا يمكن أن نصل إلى إعجاز القرآن الكريم، إلا إذا قرأناه، وفهمنا الأثر الذي تحدثه بناء الصوتية، على معناه العام، فالبنية الصوتية، للنص القرآني، جاءت على نحو خاص، تميز به القرآن الكريم، عن غيره من كلام العرب وفصحائهم.

¹ الإسراء: الآية 88.

² الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله: المستدرک علی الصحیحین، بيروت، دار الكتاب العربي، 1916م، ج2، ص 507.

³ المزمل: الآية 4.

أهمية البحث

تعد الدراسات القرآنية من أشرف الدراسات على الإطلاق؛ لأنها تختص بكتاب الله عز وجل، فالقرآن يعالج اللبنة الأولى لأي نص، ألا وهي الأصوات، التي تتأزر لتؤلف كلمات، ومن الكلمات جملاً، ومن الجمل نصوصاً.

وتكمن أهمية هذا البحث، في كونه دراسة صوتية دلالية، تتناول أبلغ نص عرفته البشرية، وهو القرآن الكريم، فدراسة الصوت، في القرآن الكريم، ستأخذ بيدنا إلى معرفة الأحكام والقوانين التي تنظم الإيقاع الصوتي، والانسجام والتآلف، بين أصوات اللغة العربية، المشكلة للبنى اللغوية في القرآن الكريم، وأثر هذه الأصوات في تكوين المعنى الدلالي للنص.

وستقوم الباحثة بدراسة (السور المكية والمدنية في القرآن الكريم دراسة صوتية دلالية، وقد اتخذت من سورتي الحشر والملك نموذجاً لها) ثم إيجاد الفارق بين الأصوات ودلالاتها في السور المكية والمدنية بعامة، وأثرها في تحقيق المعنى المراد.

سبب اختيار الموضوع

لما كانت الدراسات القرآنية من أشرف الدراسات، وأكثرها أهمية، فقد اجتهد كثير من الباحثين في خوض غمار دراسة القرآن الكريم، من أجل خدمة هذا الكتاب المقدس أولاً وقبل كل شيء آخر.

وعلى الرغم من وجود بعض الدراسات الصوتية الدلالية للقرآن الكريم، إلا أننا لم نجد، بعد البحث، دراسة اختصت بالفوارق بين السور المكية والمدنية ومناقشتها من جوانبها وزواياها اللغوية كلها، وخاصة الصوتية منها، بحيث تصبح الدراسة خاصة بهذا النوع من الدرس اللغوي.

وبالبحثة، في هذه الدراسة، ستحاول أن تكون أكثر تخصصاً في دراسة السور المكية والمدنية؛ لذا فإنها ستخصص دراستها في تناول الجانبين الصوتي والدلالي، وإيجاد الفوارق بينهما، فوق اختيارها على سورتي الحشر والملك؛ لغنى دلالتها وتنوع موضوعاتهما.

أهداف البحث

1-يعد القرآن الكريم من المعجزات الخالدة، عبر مر العصور والتاريخ، وتهدف الباحثة، في هذه الدراسة، إلى إثبات هذه المعجزة عبر الأمور التي ستطرحها في الدراسة، والتي تثبت إعجاز القرآن الكريم في الميدانين، أو المجالين الصوتي، والصوتي الدلالي.

2-تصنيف الصوامت الواردة في السورتين وبيان ملامحها التمييزية.

3-دراسة الفارق بين السور المكية والمدنية، من حيث تنوع الأصوات، وربطها بالجانب الدلالي.

4-التحليل الصوتي لفونيمات الفواصل في سورتَي الحشر والملِك.

5-التعرُّف إلى الأصوات اللغوية الأكثر شيوعاً واستعمالاً في السور المكية والمدنية، وأثرها في التنوع السياقي والدلالي للنص.

الدراسات السابقة

لعل الدراسات التي تناولت القرآن الكريم، بصورة عامة، غنية جداً، وخاصة تلك الدراسات التي تناولت السور الطوال، غير أن الدراسات التي تصدّت لدراسة الفروق بين السور المكية والمدنية قليلة، وبخاصة سورتَي الحشر والملِك، وقد اطلّعت الباحثة على بعض هذه الدراسات والأبحاث، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

1. سورة طه، دراسة لغوية أسلوبيّة مقارنة؛ إبراهيم عوض. 1993م.

2. سورة الفرقان، دراسة أسلوبيّة؛ عزيز عدمان. (ماجستير). جامعة الجزائر. معهد اللغة والأدب العربي. الجزائر. 1995م.

3. دراسة أسلوبيّة في سورة الكهف؛ مروان محمد سعيد عبد الرحمن. (ماجستير). جامعة النجاح الوطنية. نابلس. فلسطين. 2006م.

4. جماليات التعبير القرآني في سورة الحج، دراسة أسلوبية دلالية؛ مأمون سليمان أبو جقيم. (ماجستير). جامعة آل البيت. الأردن. 2009م.
5. أثر الانسجام الصوتي في البنية اللغوية في القرآن الكريم؛ فدوى محمد حسان. إربد: عالم الكتب الحديث. 2011م.
6. الفاصلة القرآنية في سورة الأحزاب: دراسة إيقاعية دلالية، حامد محمد عبد العزيز أيوب، 2013م.
7. المعوذتان، دراسة أسلوبية؛ إيمان الكيلاني. مجلة كلية التربية الأساسية. جامعة بابل. ع1. آب. 2009م.
8. سورة الهمزة: دراسة لغوية أسلوبية؛ شفاء خضير عباس. مجلة كلية الآداب جامعة بغداد. ع96. 2011م.
9. ملامح أسلوبية في سورة القيامة؛ أمل حامد بدر. مجلة آداب البصرة. ع66. 2013م.

منهجية الدراسة

قوام هذه الدراسة سيكون على الجمع بين المنهج الوصفي التحليلي، والإحصائي القائم على التحليل والمقارنة، وذلك من خلال دراسة الفونيمات، والفواصل الصوتية في سورتي الحشر والملك، ثم الوقوف على دلالات الأصوات، ومدى تأثيرها في المعنى المراد منها.

خطة الدراسة

جاء تقسيم البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، على النحو الآتي:

المقدمة: سنتناول الباحثة أهمية الموضوع الذي اختارته، وسبب اختيارها الموضوع، وأهداف الدراسة، والخطة التي سارت عليها، والمنهج المتبع.

التمهيد: ويشتمل على الموضوعات الآتية:

نشأة المكي والمدني، وضوابط المكي والمدني، وأهمية المكي والمدني، ثم تعريف عام بسورتي الحشر والملك؛ وسبب التسمية، وأهم الموضوعات التي تناولتها السورتان.

الفصل الأول: العوامل الصوتية المؤثرة في النص. وستتناول الباحثة فيه

أولاً: العوامل الداخلية:

الجهر والهمس

التفخيم والترقيق

الاحتكاك والانفجار

الصفير

التكرار

الأصوات المائعة

أنصاف الحركات.

ثانياً: العوامل الخارجية:

أولاً: الفونيمات غير التركيبية المستخدمة في النص

ثانياً: الاختيار الصوتي للنص

ثالثاً: تنظيم الأصوات في النص

رابعاً: المقاطع الصوتية.

الفصل الثاني: أثر العوامل الصوتية في النص.

الجانب النطقي وأثره

الجانب السمعي وأثره

الجانب الموسيقي وأثره

الجانب الدلالي وأثره.

الفصل الثالث: الدلالة الصوتية في سورتي الحشر والملك

أولاً: الصوامت وملامحها التمييزية ودلالاتها في سورتي الحشر والملك.

الجهر والهمس

الانفجار والاحتكاك

التركيب

الصفير

أنصاف الحركات

ثانياً: الدلالة الصوتية للحركات في سورتي الحشر والملك

ثالثاً: الفاصلة القرآنية:

تعريف الفاصلة لغةً واصطلاحاً

الدلالة الصوتية للفاصلة القرآنية في سورتي الحشر والملك.

التمهيد

القرآن الكريم كلام الله سبحانه وتعالى الذي تكلم به، وأوحاه إلى نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم- بوساطة الملك جبريل عليه السلام، فهو الهدى والنور والشفاء، وهو الذكر الذي به تطمئن القلوب، من حكم به عدل، ومن استهدى به هدي، ومن استغنى به غني.

لقد اهتم السلف والخلف، من هذه الأمة، بكتاب الله، فتلقاه الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم- من الوحي، وتلقاه الصحابة -رضي الله عنهم- فحفظوه وفهموه، وعملوا به، ثم جاءت من بعدهم الأجيال المتعاقبة، جيلاً من بعد جيل؛ فألفت فيه التأليف الكثيرة، فكتب في أول ما نزل وآخر ما نزل، وفي ناسخه ومنسوخه، وكتب في التفسير بأنواعه، بالإضافة إلى ما كتب في فضائله، ولو رجعنا إلى محتوى أي كتاب من هذه الكتب لوجدنا الأبواب والفصول الكثيرة التي لا تكاد تحصى، حتى إنه لم يُترك شيء يتعلق بالقرآن الكريم إلا درس، وألف فيه وما ذلك الحفظ إلا لحفظ الله له الذي ذكره بقوله: " إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ".¹

نشأة المكي والمدني

اختلف علماء الدراسات القرآنية في تحديد الفترة التاريخية التي نشأ فيها هذا العلم، حاله حال بقية العلوم، ومع ذلك فإن الدراسات القرآنية التي تابعت مسيرة هذا العلم تشير إلى ارتباطه بعلم الناسخ والمنسوخ، وجمع القرآن وترتيبه، وتدوينه، والقراءات القرآنية، فكانت العلاقة وثيقة بين هذه العلوم وعلم المكي والمدني.²

معرفة المكي والمدني وبيان الفرق بينهما

"أما الطريق الموصلة لمعرفة المكي والمدني فإنه لا سبيل إليها، إلا بما ورد عن الصحابة والتابعين في ذلك؛ لأنه لم يرد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- بيان للمكي والمدني، وذلك لأن المسلمين، في زمانه، لم يكونوا بحاجة إلى هذا البيان، كيف وهم يشاهدون الوحي

¹ الحجر: الآية 9.

² ينظر: القطان، مناع: مباحث في علوم القرآن، ط7، مكتبة وهبة، القاهرة، ص 56-58.

والتنزيل، يشهدون مكانه وزمانه،¹ وهذا ما أكدّه الزركشي بقوله: "قال الجعبري: لمعرفة المكي والمدني طريقان: سماعي وقياسي، فالسماعي ما وصل إلينا نزوله بأحدهما، والقياسي: قال علقمة: عن عبد الله كلُّ سورة فيها يا أيها الناس فقط، أو كلاً، أو أولها حروف تُهجي سوى الزهراوين والرعد في وجه، أو فيها قصة آدم وإبليس، سوى الطولى فهي مكية، وكل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية مكية، وكل سورة فيها فريضة أو حدٌّ فهي مدنية انتهى".²

كثرت الآراء والمذاهب في بيان مفهومي المكي والمدني، فكان لكل مذهب معايير وضوابط يعتمد عليها في وضع مفهوم محدد، وفي ذلك يقول السيوطي "اعلم أن للناس في المكي والمدني اصطلاحات ثلاثة: أشهرها أن المكي ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل بعدها، سواء نزل بمكة أم بالمدينة عام الفتح، أو عام حجة الوداع، والثاني أن المكي ما نزل بمكة، ولو بعد الهجرة، والمدني ما نزل بالمدينة، وعلى هذا تثبت الوسطة، فما نزل بالأسفار لا يطلق عليه مكي ولا مدني، والثالث أن المكي ما وقع خطاباً لأهل مكة، والمدني ما وقع خطاباً لأهل المدينة".³

ضوابط المكي والمدني

قد عرفنا فيما مضى أن مردَّ العلم بالمكي والمدني هو السماع عن طريق الصحابة والتابعين، بيد أن هناك علاماتٍ وضوابط يعرف بها المكي والمدني.

الضوابط العامة للآيات المكية والمدنية:

1- كل سورة فيها لفظ "كلاً" فهي مكية.

¹ الزرقاني، محمد عبد العظيم: *مناهل العرفان في علوم القرآن*، ط3، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ج 1، ص 196.

² الزركشي، الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله: *البرهان في علوم القرآن*، ط1، تحقيق: أبو الفضل الدمياطي، دار إحياء الكتب العربية، ص 133.

³ السيوطي، جلال الدين: *الإتقان في علوم القرآن*، ط1، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، 2008م، ص 31 - 32.

2- كل سورة في أولها حروف المعجم، فهي مكية، إلا البقرة وآل عمران، وباستثناء الرعد أيضاً فإنها مدنية، عند الإمام المصنّف وغيره، خلافاً للآخرين.

3- كل سورة في أولها قصة آدم وإبليس فهي مكية سوى البقرة.

4- كل سورة ذكرت فيها الحدود والفرائض فهي مدنية.

5- كل سورة ورد فيها ذكر المنافقين فهي مدنية.

6- كل سورة فيها "يا أيها الناس" فهي غالباً مكية، وكل سورة فيها "يا أيها الذين آمنوا" فهي مدنية¹

ضوابط الآيات المكية

الضوابط الموضوعية للآيات المكية:

1- "يُعْنَى القرآن المكي بترسيخ الأصول الاعتقادية التي جاءت بها جميع الشرائع السماوية.

2- القضاء على ما ورثوه عن آبائهم، وما ابتدعوه من عند أنفسهم من عادات سيئة، ومعتقدات فاسدة، كسفك الدماء، وأكل مال اليتيم، ووَاد البنات، والتطفيف في الكيل والميزان، وغير ذلك من الرذائل.

3- الدعوة إلى أصول التشريعات العامة، والآداب السامية، بوصفها برهاناً عملياً على سلامة الفطرة وصحة الاعتقاد.

4- عُنِيَ القرآن المكي عناية فائقة بأخبار الأنبياء والأمم السابقة، لما فيها من عظات وعبر وتبيان لسنة الله تعالى في هلاك المكذّبين، ونجاة المؤمنين.²

¹ ينظر: السيوطي، جلال الدين: الإِتقان في علوم القرآن، ص 132-133.

² إسماعيل، محمد بكر: دراسات في علوم القرآن، ط1، دار المنار، القاهرة، ص 48-49.

الضوابط الأسلوبية للآيات المكية

- 1- "قصر الآيات والسور.
- 2- قوة العبارة وإيقاعها.
- 3- كثرة الفواصل القرآنية وقصرها وتنوعها.
- 4- كثرة أسلوب التأكيد ووسائل التقرير ترسيخاً للمعاني، من ذلك الإكثار من القسم، وضرب الأمثال، والتشبيه وتكرار بعض الجمل والكلمات." ¹

ضوابط الآيات المدنية

الضوابط الموضوعية للآيات المدنية:

- 1- " بيان الأحكام العقدية والشرعية بالتفصيل، بياناً يكشف دقائقها وأسبابها، وشروط صحتها، والحكمة من تشريعها.
- 2- ظهرت في العهد المدني تشريعات لم تكن في العهد المكي، مثل مشروعية الصوم، ومشروعية القتال، وفريضة الحج، وتحريم الخمر، وتحريم الربا، وغير ذلك.
- 3- الكشف عن أحوال المنافقين الذين كانوا أشدَّ الناس خطراً على الإسلام والمسلمين، وبيان ما انطوت عليه نفوسهم من خبث ومكر وخداع، وحرصٍ وطمعٍ والتحذير منهم.
- 4- دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام ومجادلتهم بالحُجَّة والبرهان في معتقداتهم الباطلة." ²

الضوابط الأسلوبية للآيات المدنية:

- 1- "طول أكثر السور والآيات المدنية.

¹ ابن الجوزي، أبو الفرح عبد الرحمن: فنون الأُفنان في عيون علوم القرآن، تحقيق: حسن ضياء الدين عتر، ط1، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1987، ص339.

² إسماعيل، محمد بكر: دراسات في علوم القرآن: ص 50.

2- هدوء العبارات ولين الأسلوب، وطول الفاصلة، ولطف الإيقاع.¹

وعليه فإن " جملة ما نزل بالمدينة تسع وعشرون سورة، في النصف الأول خمس سور متواليات؛ الفاتحة، البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، ثم الأنفال والتوبة، وإحدى وعشرون سورة في النصف الثاني، وهي الحج، والنور، والأحزاب، ثم القتال، والفتح، والحجرات، ثم من الحديد إلى خاتمة التحريم، عشر سور ثم الإنسان، وباقي سور القرآن الخمس والثمانون مكية.² إذن " فالحكم على السورة بكونها مكية أو مدنية تابع لجميع آياتها أو لمعظمها، فإن كانت جميع الآيات، أو معظمها، مكية كانت السورة مكية، وإن كانت جميع الآيات، أو معظمها، مدنية كانت السورة مدنية.³

أهمية المكي والمدني

حرص المسلمون أشدَّ الحرص على دراسة القرآن الكريم، والوقوف على ما فيه من حقائق وعلوم، وذلك للاهتمام البالغ به، وهم يكتفون على دراسته إكبابًا لا نظير له في تاريخ العلوم؛ لذا كانت هذه الدراسة التي تبحث في أهمية معرفة الآيات المكية والمدنية؛ وصولًا إلى أسرار الإعجاز اللغوي الدلالي في القرآن الكريم.

لقد حظيت دراسة المكي والمدني باهتمام متميز لدى فقهاء العربية والدين، فقد أخرج البخاري عن ابن مسعود أنه قال: "اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أُنْزِلَتْ، وَلَا أُنْزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَ أُنْزِلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمَ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللَّهِ، تُبَلِّغُهُ الْإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ"⁴. فهذه إشارة إلى مدى اهتمام الصحابة - رضوان الله عليهم - بمكان نزول الآيات وزمانها وظروف نزولها. وقال أيوب سأل رجل عكرمة عن آية

¹ الجوزي، أبو الفرح عبد الرحمن: فنون الأئنان في عيون علوم القرآن، ص 340.

² المرجع السابق، ص 337-338.

³ نصار، فؤاد: من علوم القرآن، ط1، دار إقرأ، بيروت، ص 33.

⁴ البخاري: الصحيح، ط1، دار ابن كبير، دمشق-بيروت، 2002م. رقم الحديث (5002).

من القرآن، فقال نزلت في سفح ذلك الجبل، وأشار على سلع.¹ "لقد كُرسَت الكثير من الكتب والمصنّفات التي تناولت هذا الموضوع بالدراسة والبحث لدى القدماء والمحدثين.

ولهذا العلم فوائد جمة ذكرت في معظم المصنّفات التي اختصت بالحديث عن المكي والمدني، ومن فوائد هذا العلم:

1. "تمييز الناسخ والمنسوخ، فيما إذا وردت آيتان، أو آيات من القرآن، في موضوع واحد، وكان الحكم في إحدى هاتين الآيتين، أو الآيات، مخالفاً للحكم في غيرها، ثم عُرف أن بعضها مكي والآخر مدني، فإننا نحكم بأن المدني منها ناسخٌ للمكي؛ نظراً إلى تأخر المدني.

2. تيسير فهم الموضوعات القرآنية، بحيث تُدرس القضايا القرآنية دراسة موضوعية مبنية على الترتيب الزمني، تجتمع القضايا في الموضوع الواحد، أولاً بأول.

3. معرفة تاريخ التشريع وتدرّجه الحكيم بوجه عام، وتالياً الإيمان بسمو السياسة الإسلامية في تربية الشعوب.

4. الثقة بهذا القرآن، وبوصوله سالمًا من التغيير والتحريف، وفي ذلك دليل على سلامة القرآن من أيّ تغيير أو تحريف.²

5. "الاستعانة به في تفسير القرآن الكريم؛ إذ إن معرفة مكان نزول الآية تُعين على فهم المراد بالآية، ومعرفة مدلولاتها.

6. إن معرفة المكي والمدني تساعدنا على استخراج سيرة الرسول -صلى الله عليه وسلم- وذلك بمتابعة أحواله في مكة، ومواقفه في الدعوة، ثم أحواله في المدينة، وسيرته بالدعوة إلى الله فيها.³

¹ البخاري: الصحيح، رقم الحديث (5002).

² ينظر: الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، ج1، ص 195.

³ حسين أحمد، عبد الرازق: المكي والمدني في القرآن الكريم، ط1، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، القاهرة، 1999م، مج1، ص 137-139.

تعريف عام بسورتي الحشر والملئ

سورة الحشر

سورة الحشر سورة مدنية، وهي السورة التاسعة والخمسون في ترتيب المصحف، وعدد آياتها أربع وعشرون آية، وقد سميت بسورة "الحشر"؛ لأن الله تعالى ذكر فيها ما حصل مع اليهود حينما جمعهم النبي -صلى الله عليه وسلم- خارج المدينة المنورة.

وهي من سور "المسبحات"، حيث تبدأ السورة بتسبيح الله وحمده والثناء عليه، وتختتم بالكلام عن صفات الله تعالى، قال تعالى: "هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ".¹

سبب نزول سورة الحشر

نزلت سورة الحشر في السنة الرابعة للهجرة، وسبب نزولها هو غدر يهود بني النضير بالمسلمين، وبنو النضير هم إحدى قبائل اليهود التي سكنت المدينة المنورة، ولما استقر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في المدينة هو والمسلمون، وبدأوا بتأسيس النواة الأولى للدولة الإسلامية حرص الرسول -صلى الله عليه وسلم- والمسلمون على تحصين الجبهة الداخلية، وبدأوا بتوقيع العهود والمواثيق مع سكان المدينة وجوارها، من غير المسلمين، ومنهم بنو النضير، وكان من ضمن الاتفاق التشارك في الدية، وتعويض أهل المقتول، إن كان القاتل من المسلمين، أو من يهود بني النضير. ذهب الرسول -صلى الله عليه وسلم- وبرفته عشرة من كبار الصحابة، على رأسهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب، رضي الله عنهم جميعاً، إلى بني النضير، فاستقبله يهود بني النضير استقبالا حسنا، ولكنهم أرادوا أن يستغلوا الموقف؛ فرتبوا للغدر بالرسول -صلى الله عليه وسلم- وخططوا لقتله، وهو عندهم،

¹ الحشر: الآيات 22-24.

حيثُ أمروا أحدهم بأن يصعد فوق الجدار الذي كان يستند عليه الرسول -صلى الله عليه وسلم- وأن يلقي صخرة عليه -صلى الله عليه وسلم- وفعلاً، استعدَّ عمرو بن جحَّاش بن كعب من بني النضير لتنفيذ مهمة قتل الرسول، إلا أنَّ الرسول -صلى الله عليه وسلم- تنبَّه لهذا الأمر، وغادر قبل ذلك، وعزم الرسول -صلى الله عليه وسلم- على معاقبة بني النضير على خيانتهم، وغدرهم ونقضهم للعهد الذي عاهدوا عليه رسول الله والمسلمين.¹

سبب تسمية سورة الحشر

سُمِّيَت هذه السورة بسورة الحشر؛ لأنها تكلمت عن حشر بني النضير، حيث حاصرهم الرسول -عليه الصلاة والسلام- عندما قرَّر أن يعاقبهم، ثم استسلموا، بعد ذلك للرسول ولأصحابه الكرام، وحكم عليهم الرسول -صلى الله عليه وسلم- بالجلأ والابتعاد عن المدينة المنورة.²

"وعُرِفَت سورة الحشر بسورة بني النضير، وكان ابن عباس يقول: سورة بني النضير، وهي مدنية. قال سعيد بن منصور: حدَّثنا هُشَيْم، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: سورة الحشر، قال: قل سورة النَّضِير."³

موضوعات سورة الحشر

تعالج سورة الحشر موضوعات وأفكاراً عدّة، فكل مجموعة من الآيات حملت موضوعاً وفكرة معينة.⁴

1. الآيات من (1-5) تحدثت عن مصير اليهود في المدينة عموماً، وإخراجهم من ديارهم وحصونهم، وهم يظنون أنهم في حماية ومنعة.

¹ ينظر: قطب، سيد: في ظلال القرآن، ط 32، دار الشروق، بيروت، 2003، ص 3518-3519.

² ينظر: الواحدي، الإمام أبي الحسن: أسباب نزول القرآن، تحقيق: كمال زغلول، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991م، ص 435.

³ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ط 1، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، 1999م، ج 8، ص 56.

⁴ ينظر: قطب، سيد: في ظلال القرآن، ص 3518-3534.

2. الآيات من (6-7) تحدثت عن الغنيمة وأحكامها، والحكمة من ذلك أن الفقراء لهم اعتبار في المجتمع المسلم، والرحمة أساس التعامل في الإسلام، ولا اعتبار لقضية الطبقات في المجتمع الإسلامي.

3. الآيات من (8-9) تحدثت عن مجتمع الصحابة في المدينة— وهم المهاجرون والأنصار وتحدثت عن فضائل المهاجرين والأنصار، ولا اعتبار لمن ينتقصهم من الكاذبين.

4. الآية (10) تحدثت عن دعاء المؤمن لأخيه المؤمن، وأن التابعين مع الصحابة هم خير الخلق بعد الأنبياء.

5. الآيات من (11-17) بيان لصفة المنافقين الذين هم أكذب الناس عهدًا، وهم الجبناء؛ لأنهم لا يتقون بشيء، وكشف لعلاقاتهم مع اليهود ضد المسلمين، وفيها بيان لجبن اليهود وضعفهم.

6. الآيات من (18-20) وصية ربانية للمؤمنين، والتقوى هي دستور المؤمن في حياته لبلوغ الآخرة، والفرق بين أهل الجنة والنار.

7. الآيات من (21-24) بيان لعظمة الله تعالى، ولصفاته العلى، وهنا أولها الرحمة والربوبية، ومنها العزة والحكمة، وتنزيه الله تعالى عن كل نقص.

سورة الملك

سورة الملك هي إحدى السور المكية في القرآن الكريم، والتي يبلغ عدد آياتها ثلاثين آية، ويقع ترتيبها في القرآن الكريم في المرتبة السابعة والستين، وهي أول سورة في الجزء التاسع والعشرين من القرآن الكريم.

تبدأ سورة الملك بقوله تعالى: "تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"¹. أي أنها تبارك وتمجد الله تعالى وتُعظمه. تتحدث السورة عن قدرة الله تعالى على البعث والنشور،

¹ الملك، الآية 1.

وهي إحدى الأمور التي كَذَّبَ بها المشركون، ولا يزالون، فيبين لهم الله تعالى بعض ما خلق، وأنَّ القادر على الخلق قادرٌ على أن يبعثهم من جديد للحساب، كخلق السماوات والموت والحياة، ومن ثمَّ يخبر الله تعالى عن عذاب الكافرين، في نار جهنم، وما سيلاقونه من شهيقتها وغضبها، عندما يُلقَوْنَ فيها، وتتناول اعتراف الكافرين بذنوبهم وتكذيبهم للرسول، عندما يأتيهم العذاب، ثم يبين الله تعالى بعض عجائب قدرته في خلق الكون، وبعضاً ممَّا هو قادر على فعله بمن يكذب بالله ورسوله والبعث والنشور، يوم القيامة، وأنَّ لا أحد يستطيع إيقاف العذاب، أو نصر الكافرين، إن أراد الله تعالى بهم ذلك، وأنَّ على الناس أن يعتبروا من قصص من سبقهم من الأ أقوام ممَّن أهلكهم الله تعالى، عند تكذيبهم للرسول، وكفرهم بالله تعالى.

اشتملت سورة الملك على حقائق مطلقة، فهي تبني من قواعد التصوُّر الإسلامي جوانب رئيسة مهمة؛ فهي تقرُّ في الضمير حقيقة القدرة المطلقة، وحقيقة الابتلاء بالموت والحياة؛ تمهيداً للحشر والجزاء، وحقيقة الكمال والجمال في صنعة الله، وحقيقة العلم المطلق بالسرِّ والنجوى، وحقيقة مصدر الرزق، وحقيقة حفظ الله للخلائق، وحضوره سبحانه - مع كل مخلوق... وجملة من هذه الحقائق التي يقوم عليها تصوُّر المسلم لربه، وتصوره للوجود، وارتباطه بخالق الوجود، هذا التصور الذي ينبثق منه منهج حياة المؤمن كله، مع ربه، ومع نفسه ومع الناس، ومع الأحياء، ومع الكون كله.¹

سبب نزول السورة

"قال ابن عباس: نزلت في المشركين الذين كانوا ينالون من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لقوله تعالى: "وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ"²، فخبَّره جبريل - عليه السلام - بما قالوا فيه، ونالوا منه، فيقول بعضهم لبعض: "أسرُّوا قولكم؛ لئلا يسمع إليه محمد."³

¹ ينظر: قطب، سيد: في ظلال القرآن، ص 3692 - 3648.

² الملك: الآية 13.

³ الواحدي، الإمام أبي الحسن: أسباب نزول القرآن، تحقيق: كمال زغلول، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991م، ص 462.

سبب تسمية سورة الملك

"سُمِّيَتْ بسورة (الملك)؛ لأنها تتحدث عن ملك الله تعالى، وعلوه على خلقه، فهو مالك الدنيا والآخرة ومليكهما، وذلك عن طريق بيان أهم خصائص هذا الملك؛ وهي القدرة المطلقة"¹ لذا ابتدأت بقوله تعالى: "تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ".²

"وتسمى 'تبارك' و'المانعة' و'المنجية' و'المجادلة'، فقد أخرج الطبراني عن ابن مسعود قال: كُنَّا نسميها على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- المانعة. الله عليه الصلاة والسلام".³

موضوعات سورة الملك

تعالج سورة الملك موضوعات وأفكاراً عدة، فكل مجموعة من الآيات حملت موضوعاً وفكرة معينة.⁴

1. الآيات من (1-5) تتحدث عن قدرة الله تعالى الخالق، وقصة بداية الخلق، وغاية الحياة، والدنيا دار عمل لا حساب، والآخرة دار حساب، ولا عمل.
2. الآيات من (6-11) تتحدث عن طريق المجرمين الكافرين وعاقبتهم، ووصف لجهنم وحالها، عند لقاء الكافرين.
3. الآية (12) تحدثت عن عاقبة المؤمنين الذين يخافون الله تعالى.

¹ راضي، ياسر إسماعيل: *سورة الملك (دراسة في التفسير الموضوعي)*، مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية، السنة الثانية، العدد 3، 1435هـ، ص 20.

² سورة الملك، الآية 1.

³ الألوسي، شهاب الدين: *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج 3، ص 13.

⁴ ينظر: الصابوني، محمد علي: *مختصر تفسير ابن كثير*، ط7، دار القرآن الكريم، بيروت، 1981م، ج 3، ص 526-531.

4. الآيات من (13-15) تحدثت عن مراقبة الله وإطّاعه-جلّ وعلا-على خلقه، وعلم الله بكل أحوال عباده هو أساس العدل الإلهي المطلق، يوم القيامة، كما تتناول نِعَمَ الله تعالى على العباد.

5. الآيات من (16-23) ذكرت أدلة على قدرة الله تعالى، وفضله على عباده، وهي حجج لله على خلقه.

6. الآيات من (24-27) تحدثت عن حقيقة يوم القيامة، وقدومه المفاجئ، وخسارة الكافرين وحسرتهم.

7. الآيات من (28-30) تحذير للمكذّبين من عذاب الله.

الفصل الأول

العوامل الصوتية المؤثرة في النص

الفصل الأول

العوامل الصوتية المؤثرة في النص

إن دراسة أي نص أدبي دراسة لغوية تستوجب البدء بالأصوات بوصفها وحدات مميزة تنتج منه آلاف الكلمات ذات الدلالات المختلفة.

يُعدُّ الصوت ركيزة أساسية في تشكُّل أي لغة، كما يعد الأساس الذي تُبنى عليه الدلالات، فالكلمة التي نطق بها ما هي إلا سلسلة من الأصوات المترابطة والمتلاحمة بعضها ببعض.

فالصوت عملية حركية يقوم بها الجهاز النطقي، ينشأ من ذبذبات مصدرها، في الغالب، الحنجرة، فعند اندفاع النفس من الرئتين يمرُّ بالحنجرة؛ فيحدث تلك الاهتزازات التي بعد صدورها من الفم أو الأنف تنتقل من الهواء الخارجي، على شكل موجات، حتى تصل إلى الأذن.¹ وبذلك يمكن تعريف الصوت بأنه " أثر سمعي يصدر عن أعضاء النطق غير محدد بمعنى في ذاته، أو في غيره."²

وتتقسم الأصوات اللغوية، إلى قسمين هما:

أ- الأصوات الصامتة

" هي الأصوات التي يتعرض تيار الهواء الصادر من الرئتين، في أثناء إنتاجها، إلى قدر كبير من التضيق، والتوتر، والاحتكاك، والغلق، في بعض الأحيان."³

ويبلغ عدد الصوامت في اللغة العربية ثمانية وعشرين صامتاً، بما فيها نصفاً الحركة (semi vowels)⁴ الواو والياء غير المدّيتين.

¹ ينظر: أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1987م، ص 6-8.

² الصيغ، عبد العزيز: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دمشق، دار الفكر، 2000م، ص 216.

³ النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربية، ط1، عمّان، منشورات جامعة القدس المفتوحة، 1997م، ص 132.

⁴ يقصد بأنصاف الحركات، تلك الأصوات التي يكون التضيق، الذي يواجه تيار الهواء عند إنتاجها ضئيلاً، بيد أن نسبة هذا التضيق، تكون أقل من نسبته عند إنتاج الصوامت، وأكثر من نسبته عند إنتاج الحركات، ويشمل ذلك صوتي: الواو والياء، نحو: ولد، وولد. النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربية، ط1، عمّان، منشورات جامعة القدس المفتوحة، 1997م، ص 132.

" صُنِّفَتْ مخارج الأصوات الصامتة وَفَقَّ موضع النطق (المَخْرَج) على النحو الآتي:

1. شفوي: (الباء، والميم).
2. شفوي أسناني: (الفاء).
3. أسناني: (التاء، والذال، والظاء).
4. أسناني لثوي: (التاء، والذال، والطاء، والضاد، والسين، والصاد، والزاي).
5. لثوي: (اللام، والنون، والراء).
6. غاري: (الجيم، والشين، والياء).
7. طبقي: (الكاف، والغين، والخاء، والواو).
8. لهوي: (القاف).
9. حلقي: (الحاء، والعين).
10. حنجري: (الهاء، والهمزة).¹

ب _ الحركات

ويُقصد بها " تلك الأصوات، التي يواجه معها تيارُ الهواء، في أثناء خروجه من الرئتين، ماراً بالأعضاء النطقية، أقلَّ قدر ممكن من التضيق، والتوتر، والاحتكاك. ولذلك فإن هذا النوع من الأصوات، ويشمل الفتحة، والكسرة، والضمّة قصيرة وطويلة، تنتج دون حدوث إعاقة من أيّ نوع تقريباً، وكل ما يحدث، في أثناء إنتاج هذه الأصوات، ينحصر، أو يكاد ينحصر، في

¹ النوري، محمد جواد، وعلي خليل الحمد: فصول في علم الأصوات، ط3، القاهرة، دار الفكر العربي، 2005م، ص 225.

تعديلات لمجرى الهواء في التجويف الفموي أساساً، ويتمثل ذلك في عضوين رئيسيين هما:
اللسان والشفَتان¹.

والفرق بين الحركات القصيرة والطويلة، فرقٌ في الكميّة لا في الكيفيّة، أي أنّ وضع
اللسان في كليتهما واحد، ولكن الزمن يقصر ويطول في كل صوت، فعندما يقصر الزمن تنتج
الحركات القصيرة، وعندما يطول الزمن تنتج الحركات الطويلة، والذي يحدد الطول والقصر هنا
هو العُرف اللغوي عن أصحاب اللغة، ويقول كانتينو في المدى الذي يستغرقه طول الحركة:
"يُطلق اسم حركات طويلة على الحركات التي يمتد فيها إخراج النفس امتداداً يصير معه مدى
النطق بها، مساوياً لمدى النطق بحركتين بسيطتين، وقد يتعدّى ذلك².

فالحركات أصوات مجهورة، يكون الوتران الصوتيان في أثناء النطق بها في وضع
اهتزاز، فيندفع الهواء حرّاً طليقاً، في مجرى مستمر، خلال الحلق والفم، دون أن يكون هناك
عائق، يعترض مجرى الهواء، اعتراضاً تاماً، أو تضيق لمجرى الهواء، من شأنه أن يحدث
احتكاكاً مسموعاً³.

وتختلف الأصوات في تأثيرها في بناء النص، وفي المتلقّي، تبعاً لنوعين من العوامل:
عوامل داخلية تكمن في الصوت اللغوي ذاته خارجةً على سيطرة الكاتب، وتتمثل في الملامح
التمييزيّة للصوت، كالجهر، والهمس، والتفخيم، والترقيق، والانفجار، والاحتكاك؛ وخارجيّة
يسيطر عليها الكاتب، وتتمثل في الفونيمات غير التركيبية المستخدمة في النص، وفي اختيار
الكاتب أصواته ومقاطعته الصوتية، من جهة، وطريقة تنظيمه هذه الأصوات والمقاطع، من جهة
أخرى.

¹ النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربية، ص 132.

² ينظر: كانتينو، جان: دروس في علم الأصوات، ترجمة: صالح القرماوي، تونس، 1966م، ص 145-146.

³ ينظر: بشر، كمال: علم اللغة العام، دار المعارف، القاهرة، 1973م، ص 92.

أولاً: العوامل الداخلية

كل صوت لغوي له صفاته التي تميزه من غيره، ولا يمكن وجود صوتين متشابهين إلى حد التطابق، فهذه الصفات الصوتية التي " يمكن أن تميز معنى منطوقاً من معنى منطوق آخر"¹، تُكوّن ما يعرف بالملاح التمييزية للأصوات، وفي هذه الملاح الكامنة في الصوت اللغوي ذاته، الخارجية على إرادة الكاتب واختياره، تكمن قوة الصوت أو ضعفه، وهذه الملاح، هي:

أ - الجهر والهمس

تعد صفتا الجهر والهمس من الصفات المتضادة، فعند سماع كلمة (الجهر) في الصوت، يتبادر إلى أذهاننا أنه يتميز بالعلو، والشدة في الوضوح، فيقال: "جهر بالقول إذا رفع به صوته فهو جهير"، وأجهر، فهو مجهر، إذا عرف بحدّة الصوت"²، في حين تشير كلمة (الهمس) إلى الخفاء وعدم الوضوح في الصوت، فهو يعني " الخفي من الصوت "³ ونستنتج من ذلك أن الجهر أقوى من الهمس نطقاً وسماعاً.

ومما يؤكد ذلك ورود كلمة الجهر وبعض تصاريفها في القرآن الكريم، بمعنى الصوت الظاهر المعلن، كقوله تعالى: "إنّه يعلمُ الجهرَ من القولِ ويعلمُ ما تكتمون"⁴، وقوله تعالى: "وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ..."⁵، حيث نلاحظ أن الآية الكريمة اقترنت فيها لفظة الجهر بلفظة القول، ولو كان الجهر بمعنى القول لحل مكانه، ولم يُذكر. وفي هذا دليل على ارتباط الجهر بالصوت الظاهر الواضح في السمع، وفي المقابل وردت كلمة

¹ النوري، محمد جواد: علم أصوات العربية، ط1، عمّان، منشورات جامعة القدس المفتوحة، 1999م، ص 125.

² ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين: لسان العرب، ط3، بيروت، دار إحياء التراث العربي، مادة (ج، هـ، ر).

³ المرجع نفسه، مادة (هـ، م، س).

⁴ الأنبياء: 110.

⁵ الأعراف 205.

الهمس في القرآن الكريم، وهي تحمل ذلك المعنى اللغوي، (الخفي من الصوت) في قوله تعالى: "وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً"¹

فوردت كلمة الهمس مرتبطة بـ (خشعت الأصوات)، ولا يمكن لصوت خاشع أن يكون أقوى من الصوت الذي فيه جهر.

عرّف الدرس الصوتي الصوت المجهور بأنه " الصوت الذي يهتز معه الوتران الصوتيان".² أما الصوت المهموس، فهو " الصوت الذي لا يهتز معه الوتران الصوتيان "³. والوتران الصوتيان هما: شفتان أو شريطان من العضلات، يمتدان بالحنجرة نفسها أفقيًا، من الخلف إلى الأمام، ويلتقيان عند ذلك البروز الذي يسمى تفاحة آدم (Adam's Apple). ويطلق على الفراغ الواقع بين الوترين الصوتيين اسم المزمار (Glottis). ويبلغ طوله حوالي (16) ملم، وهو قابل للانفتاح إلى مسافة (12) ملم.⁴

فالصوامت المجهورة في اللغة العربية هي: (الباء، والجيم، والdal، والذال، والراء، والزاي، والضاد، والعين، والغين، واللام، والميم، والنون، بالإضافة إلى نصفي الحركة (و، ي).

أما الصوامت المهموسة في اللغة العربية، فهي: (التاء، والثاء، والحاء، والخاء، والسين، والشين، والصاد، والطاء، والفاء، والقاف، والكاف، والهاء).⁵

أما صوت الهمزة فهو من أشق الأصوات وأعسرها في النطق؛ لما يحتاج إليه من جهد عضلي عند نطقه، " وينطق صوت الهمزة بانطباق الوترين الصوتيين على نحو يخالف انفراجها في النطق بالمهموس، ويخالف توترهما في حالة النطق بالمجهور؛ ولذا يمكن وصف الهمزة،

¹ طه:108.

² أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، ط4، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 2007، ص 22.

³ المرجع السابق، ص 20.

⁴ ينظر: النوري، محمد جواد: علم أصوات العربية، ص 65.

⁵ المرجع السابق، ص 151.

من هذا الجانب، بأنها صوت محايد من ناحية الهمس والجهر¹، فهي صامت " لا هو بالمجهور، ولا بالمهموس²."

ب- التفخيم والترقيق

التفخيم: يعود الأصل اللغوي لمصطلح التفخيم، إلى الجذر (ف خ م)، ومن معاني هذا الجذر "التعظيم"³

وبدل التفخيم على الشيء الذي فيه غلظة وقوة، فاللفظة مأخوذة من الفخامة.

يعرّف الدكتور كمال بشر التفخيم، فيقول: هو أثر سمعي ينتج عن عوامل فسيولوجية متداخلة، ندرك منها عاملين مهمين: أولهما: ارتفاع مؤخر اللسان تجاه أقصى الحنك اللين، فيحدث تغيير في التجويف الفموي، محدثاً رنيناً مسموعاً. ثانيهما: رجوع اللسان إلى الخلف بصورة أسرع مما يحدث في أثناء النطق بالأصوات المرققة⁴.

فالأصوات المفخمة هي: "التي يصاحب إنتاجها أثر سمعي ناتج عن ارتفاع مؤخرة اللسان قليلاً إلى أعلى في اتجاه الطبقة، ثم تتحرك قليلاً في اتجاه الجدار الخلفي للحلق"⁵.

ينقسم التفخيم في اللغة العربية إلى:

1- تفخيم كلي: يشمل ثلاثة صوامت أسنانية لثوية، هي: (ص، ض، ط) وصامتاً أسنانياً: هو (ظ).

2- تفخيم جزئي: يشمل صامتين طبقيين هما: (خ، غ) وصامتاً لهما (ق).

¹ حجازي، محمود فهمي: مدخل إلى اللغة، القاهرة، دار قباء، 1997م، ص 54.

² أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، ص 87.

³ ابن منظور: لسان العرب، مادة (ف خ م).

⁴ ينظر: بشر، كمال: علم الأصوات، ص 394.

⁵ النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربية، ص 153.

وقد جمع ابن الجزري الأصوات المفخمة في اللغة العربية، في قوله: "خص ضغط قظ"¹ وهذه الأصوات لا تتساوى في رتبة التفخيم، فأعلى رتبة، هي تلك الأصوات المفخمة التي تفخم "تفخيمًا كليًا في أي سياق تقع فيه، أي بقطع النظر عما يسبقها، أو يلحقها من أصوات، والتفخيم بالنسبة لهذه الأصوات جزء لا يتجزأ من بنيتها، وبه تعرف حقيقتها، وهذه الأصوات هي: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء."²

وقبل إتمام الحديث عن التفخيم علينا أن نوازن بين مصطلح الإطباق والطبقية، فهما مصطلحان مختلفان أكبر اختلاف، وإن اتحدا في كثير من الأمور، وقد وازن الدكتور تمام حسان بين الإطباق والطبقية بقوله: "...فالطبقية ارتفاع مؤخر اللسان حتى يتصل بالطبق؛ فيسد المجرى، أو يضيقه تضيقًا، يؤدي إلى احتكاك الهواء بهما في نقطة التقائهما؛ فهي إذن حركة عضوية مقصودة لذاتها، يبقى طرف اللسان معها في وضع محايد، أما الإطباق، فارتفاع مؤخر اللسان في اتجاه الطبق، بحيث لا يتصل به، على حين يجري النطق في مخرج آخر غير الطبق، يغلب أن يكون طرف اللسان، أحد الأعضاء العاملة فيه."³

الترقيق: يرجع الأصل اللغوي لهذا المصطلح، إلى الجذر (ر ق ق) ومن معاني هذا الجذر الليونة، والرقيق:

"نقيض الغليظ والتخين" ⁴

يعد الترقيق الملمح التمييزي المقابل لملمح التفخيم، و"يحدث الترقيق عندما يصاحب إنتاج الصامت ارتفاع مقدم اللسان في اتجاه الغار، ويطلق على ظاهرة الترقيق مصطلح التغيرير.

¹ ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف: منظومة المقدمة فيما يجب على القارئ أن يتعلمه، ط4، تحقيق: أيمن رشدي سويد، جدة: دار نور المكتبات للنشر والتوزيع، 2006 م، ص 3.

² بشر، كمال: علم الأصوات، القاهرة، دار غريب، 2000 م، ص 396.

³ حسان، تمام: مناهج البحث في اللغة، الدار البيضاء، دار الثقافة، 1977 م، ص 89.

⁴ ابن منظور: لسان العرب، مادة (ر ق ق).

وللترقيق مفهوم آخر، في اللغة العربية، هو أن الصامت المرقق هو الصامت غير المفخم، وبذلك تكون جميع الصوامت في العربية، باستثناء الصوامت المفخمة، صوامت مرققة.¹

يعد ملمح التفخيم ملمح قوي في ذاته، فالصوت الذي يحمل ملمح التفخيم يتميز بالقوة والصلابة، عند نطقه، بعكس ملمح الترقيق الذي لا تكون فيه قوة عند نطقه.

ج - الانفجار والاحتكاك

الانفجار

عندما تسمع كلمة الانفجار يتبادر إلى ذهنك سماع صوت مدوّ، أو شيء مرتبط بالقوة، والشدة.

"تتكون الأصوات الانفجارية بأن يُحبس مجرى الهواء الخارج من الرئتين، حبساً تاماً في موضع من المواضع، وينتج عن هذا الحبس أو الوقف، أن يضغط الهواء، ثم يطلق سراح المجرى الهوائي فجأة، فيندفع الهواء محدثاً صوتاً انفجارياً"²

ويعود سبب قوة هذا الملمح التمييزي للصوت، إلى إطلاق الهواء إطلاقاً مفاجئاً، بعد حبسه وضغطه، فيولّد الضغط الموجود زيادة في طاقة الهواء المحبوس، فتزداد بذلك قوة الصوت المنطوق.

فالصوامت الانفجارية تدل على القوة، وهذه الصوامت تحافظ على قوتها المكتسبة من ضغط الهواء خلف عضو النطق، عند إنتاج الصوت، فتكون سرعتها أكبر مما لو أطلق الهواء بشكل عادي؛ لأنه يخسر كثيراً من طاقته.

والصوامت الانفجارية في اللغة العربية، هي: (الهمزة، والباء، والتاء، والdal، والضاد، والطاء، والقاف، والكاف).³

¹ النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربية، ص 154.

² السمران، محمود: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، بيروت، دار النهضة العربية، ص 153.

³ النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربية، ص 164.

الاحتكاك

تتكون الصوامت الاحتكاكية بأن يضيق مجرى الهواء الخارج من الرئتين في موضع من المواضع، بحيث يحدث الهواء في خروجه احتكاكاً مسموعاً.¹

والتضييق، بدوره يعمل على زيادة تردد الأمواج الصوتية، وذلك بالتقليل من طولها من جهة، وبزيادة كمية طاقة الهواء الحركية الذي يحملها، لما يحدثه من ضغط واقع عليه، من جهة أخرى، وبهذا يكون ملمح الاحتكاك، في الأصوات العربية ملمح قوة، يحفل به الصوت الذي يحمله.

يتضح لدينا مما سبق، أن عضوي النطق يكونان على تفاوت، في تقاربهما، فلا ينطبقان، وإنما يقتربان من بعضهما، بحيث يؤدي هذا الاقتراب إلى خروج الهواء مع حدوث احتكاك مسموع، عند نطق الصوت، ويختلف هذا الاحتكاك من موضع نطق صوت إلى آخر، فهناك أصوات تنتج بهذه الكيفية تكون درجة احتكاكها أعلى من غيرها، ويكون هذا الصوت ذا صفة هسيسية، ويسمى هذا النوع بالأصوات الصفيرية -التي سنتحدث عنها فيما بعد - وهناك أصوات تكون درجتها أقل من الأصوات التي تم ذكرها، مثل صوتي (الثاء، والفاء) ².

"والصوامت الاحتكاكية في اللغة العربية، هي: الفاء، الذال، الثاء، الظاء، الزاي، السين، الصاد، الشين، الخاء، الغين، العين، الحاء، الهاء."³

وخلاصة القول إن ملمحي الانفجار والاحتكاك هما ملمحا قوة للأصوات، إلا أن ملمح الانفجار يعد أكثر قوة، وذلك لما يكسبه للصوت من قوة وصلابة وانفجار، أثناء نطقه، فهو أكثر وقعاً على المتلقي من الأصوات الاحتكاكية التي تعد أقل قوة من الصوت الانفجاري، ولذلك فإن المعاني التي تناسب الصوت الاحتكاكي، هي معاني الرقة والهدوء والأمان والاستقرار والسكون.

¹ السعران، محمود: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص 172.

² ينظر: النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربية، ص 147-148.

³ عبد الجليل، عبد القادر: الأصوات اللغوية ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 1998م، ص 144.

د. الصغير

تعد الأصوات الصفيرية من أكثر الأصوات وضوحاً سمعياً، والأصوات الصفيرية " تحدث عن طريق إحداث تضيق أودودي بين نصل اللسان والجزء الخلفي من حافة اللثة.¹ فهذه الأصوات تحدث إيقاعات رنانة ودويًا موسيقيًا في التراكيب اللغوية.

هـ. التكرار

من الملامح التي تشكل مصدر قوة للصوت اللغوي عند تكوينه، التكرار، وصوته العربي المتفرد به هو الراء. تتكون الصوامت المتكررة نتيجة لطرق سريعة متتابعة من عضو مرن، مثل طرف اللسان، كما في الراء، يتكون صوت الراء بأن تتابع طرق طرف اللسان على اللثة تتابعاً سريعاً، ومن هنا كانت تسمية هذا الصوت بالمكرر²

و. التركيب

"إن اندماج صوتين لغويين لتكوين صوت واحد ملمح يستوجب قوة في الصوت المنتج؛ لكون هذا الصوت يجمع بين ملامح صوتين مختلفين، وتعرف الأصوات المنتجة بهذه الطريقة، بالأصوات المركبة. وتركيب هذه الأصوات يكون على أساس مخرجي، حيث يشترك في إنتاجها أكثر من طريقة تدخل في مجرى تيار الهواء؛ فهي أصوات تجمع بين طريقة التدخل التي تنتج الأصوات الانفجارية، وهي الإغلاق التام لمجرى الهواء، وطريقة التدخل التي تنتج الأصوات الاحتكاكية، وهي تضيق المجرى.³

والجيم الفصيحة، هي الصامت الذي يتفرد بهذا الملمح باللغة العربية، فهي صوت مركب: الأول منه صوت قريب من الدال، والآخر صوت كالجيم الشامية، ولكنهما يكونان وحدة

¹ النوري، محمد جواد، علم الأصوات العربية، ص 147-148.

² السمران، محمود: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص 171.

³ النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربية، ص 148.

واحدة، تتمثل فيها انفجارية الدال وجهرها، من جهة، واحتكاكية الجيم الشامية، لتشرّبها صوت الشين الاحتكاكي، من جهة أخرى.¹

ز. الأصوات المائعة

عند التقاء عضوي النطق في بعض الأصوات في اللغة العربية، فإن النفس يجد مسرباً يتسرب منه إلى الخارج، وفي هذه الحالة يمر الهواء، دون أن يحدث أيّ نوع من الصفير الخفيف، وهذه الأصوات تكون مجموعة لا هي بالشديدة، أي الانفجارية، ولا الرخوة، أي الاحتكاكية، وسميت بالصوامت المائعة.

والأصوات المائعة في اللغة العربية، هي: اللام، والميم، والنون، والراء، وسمّاها علماء العربية بالأصوات المتوسطة، أي ليست انفجارية ولا احتكاكية، وسبب تسميتها بذلك؛ لأنها لا تعني أكثر من أنها تخالف النوعين، أي لا توصف بالشديدة ولا بالرخوة.²

والأصوات المائعة تمتاز بقوة الوضوح السمعي، فهذه الأصوات تخرج حرة طليقة، كالحركات تماماً، فالشبه ينحصر في حرية مرور الهواء، ولكن هذه الأصوات لم تعد حركات؛ لأن هواءها الحر لم يخرج من وسط الفم، كما الحركات، فاللام تخرج من جانب الفم، والميم والنون من الأنف، والراء فيها نوع من الحرية للهواء بسبب الاتصال والانفصال المتكررين، ولهذا سميت بـ " أشباه الحركات " ³

ح. أنصاف الحركات

هي الأصوات التي يكون التضيق الذي يواجهه تيار الهواء، عند إنتاجها ضئيلاً، بيد أن نسبة هذا التضيق تكون أقل من نسبته عند إنتاج الصوامت، وأكثر من نسبته عند إنتاج الحركات. أو هي الأصوات التي تقوم بدور صامت، ولكن تنقصها بعض الخصائص الفوناتيكية

¹ ينظر: بشر، كمال: علم الأصوات، ص 249-250.

² ينظر: أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، ص 24-25.

³ ينظر: النوري، محمد جواد، وعلي خليل الحمد: فصول في علم الأصوات، ط3، القاهرة، دار الفكر العربي، 2005م، ص228.

المرتبطة بالصوامت، مثل: الاحتكاك والانغلاق، ويشمل ذلك صوتي الواو والياء في نحو: ولد، ويلد.¹

وتعد صفة أنصاف الحركات المتمثلة بصوتي الواو، والياء من أكثر الأصوات الصامتة وضوحاً في السمع، تليها الأصوات المائعة (م، ن، ل، ر) ثم بقية الصوامت.

ثانياً: العوامل الخارجية

لكل صوت لغوي ملامحه التمييزية التي تميزه من غيره من الأصوات، فكل صوت يؤثر ويتأثر بما يجاوره من أصوات، فالعوامل الداخلية التي تميز الأصوات لا تكفي وحدها، لإجادة كتابته، بل لا بد من وجود عوامل خارجية لإبراز قوة الأصوات الذاتية، وتحقيق التكامل الصوتي المطلوب؛ فيخرج النص بذلك كاملاً متكاملًا، وتتمثل هذه العوامل في:

أ. الفونيمات فوق التركيبية المستخدمة في النص

تعدُّ الفونيمات فوق التركيبية، أو فوق القطعية، من الملامح الصوتية ذات الأثر المهم في التشكيل الصوتي للنص، بوصفها مؤثرًا خارجيًا على التركيب، ينساق له الصوت الداخلي، فهي "ملامح صوتية إضافية، تؤثر في الأصوات الكلامية، أو مجموعاتها"²، ومن أهم الفونيمات فوق التركيبية، التي بوسع الكاتب السيطرة عليها والتحكم بها، فونيمان: التنغيم، والمفصل.

"يطلق مصطلح التنغيم على تلك التغيرات التي تحصل في درجة نغم الصوت في الكلام المتصل على جملة، أو على أجزاء متتابعة، وهي تغيرات تتعلق بدرجة نغم النوتة الموسيقية الناتجة عن اهتزازات الوترين الصوتيين، أو هو نمط اللحن الذي ينشأ عن اختلاف درجة الصوت، في أثناء الكلام من ارتفاع وانخفاض."³ وجوهر التنغيم أن يعطي المتكلم العبارة نغمات معينة، تنجم نفسيًا عن عاطفة يحسها، وفكريًا عن معنى يعتلج في ذهنه، وعضويًا عن تغير في

¹ النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربية، ص 132

² باي، ماريو: أسس علم اللغة، 92.

³ النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربية، ص 273.

عدد الهزات، التي تسري في وتري الحنجرة، فيزيد الاهتزاز أو ينقص، وفق الغرض الذي يتوجه إليه الكلام.¹ إذن فللتنظيم دور مهم في تعزيز القوة الصوتية للفونيمات التركيبية.

أما المفصل فهو: " عبارة عن سكتة خفيفة بين كلمات أو مقاطع، في حدث كلامي، بقصد الدلالة على مكان انتهاء لفظ ما، أو مقطع ما، وبداية آخر، " ² ومن شأن هذه السكتة الخفيفة أن تضبط الحركة الصوتية في النص.

ب. الاختيار الصوتي للنص

لا يختلف اختيار الكاتب أصوات نصه عن اختيار الرسام ألوان لوحته؛ فالأصوات " تجري من السمع، مجرى الألوان من البصر " ³ والرسام يختار تلك الألوان، التي تبرز فيها أبعاد العمل الفني؛ فيجعل لوحته ناطقة بما يريد، فيختار الأبيض للتعبير عن النقاء، والأخضر للتعبير عن الحياة، والرمادي للتعبير عن الحزن والكآبة...، مستوحياً هذه الدلالات مما يدل عليها حوله، وما فطرت عليه نفسه، ويراعي كذلك قدرة هذه الألوان على جذب الانتباه، بما تحمله من قيم جمالية، ونفسية، واجتماعية.

والأصوات ألوان الكاتب؛ فلا بد له أن يختار تلك الأصوات التي تلفت بقوتها الانتباه، وتستحوذ بملاحظها المميزة على الأذهان؛ وتتاسب مضمون نصه، وتشن معانيه، وتصبغه بتألفها بصبغة جمالية جذابة؛ فتحمل بذلك كله، ما يريد الكاتب إيصاله للمتلقي.

ج. تنظيم الأصوات في النص

إن اختيار الأصوات المتميزة، لا يكفي وحده، لإنشاء نص متميز بأصواته؛ فلا بد لهذا الاختيار أن يحكمه تنظيم هذه الأصوات وترتيبها، على شاكلة تبرز قيمتها، سواء أكان ذلك من الجانب الإيقاعي، أم من الجانب الدلالي. وحال الأصوات في هذا لا تخالف حال الألفاظ التي تختار بروية وعناية؛ لضمان موافقتها مضمون النص.

¹ طليعات، غازي مختار: في علم اللغة، ط2، دمشق، دار طلاس، 2000م، ص 154.

² باي، ماريو: أسس علم اللغة، ص 95.

³ ابن سنان الخفاجي، أبو محمد عبد الله بن محمد: سر الفصاحة، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1982م، ص 64.

وينظم الكاتب أصواته، بتنظيم الألفاظ التي تحويها، مركزاً على البدايات والنهايات، من الجمل والفقرات، وأبيات الشعر، إن كان النص شعراً وغير ذلك من القوالب التي تنظم فيها الأفكار؛ وذلك لما لهذه المواضع من الأثر في النص والمتلقي. كذلك لا بد للكاتب أن يعرف الموضع المناسب، لإيداع الفونيمات غير التركيبية، بما يدل عليها، في نصه؛ فموضعها من النص له الدور الأكبر في إظهار قيمتها الصوتية والدلالية.

د. المقاطع الصوتية

"إذا كانت الأصوات هي العناصر البسيطة التي تتكون منها الكلمة العربية، فإن بين الصوت المفرد والكلمة المركبة عدة أصوات، مرحلة وسيطة، هي مرحلة المقطع"¹، والمقطع الصوتي، بوجه عام "يقع بين الوحدات الصوتية الدنيا، وهي الفونيمات، من جهة، والكلمات، من جهة أخرى."²

ويعرف المقطع بأنه: "كمية من الأصوات، تحتوي على حركة واحدة، ويمكن الابتداء بها، والوقوف عليها، من وجهة نظر اللغة موضوع الدراسة، ففي العربية الفصحى مثلاً، لا يجوز الابتداء بحركة؛ ولذلك يبدأ كل مقطع فيها بصوت من الأصوات الصامتة"³. وتشتمل اللغة العربية، على ستة أنواع من المقاطع، وهي:

أ- المقطع المفتوح⁴: يسمى أيضاً بالمقطع الحر أو المتحرك⁵، وعلى ذلك قسم إبراهيم أنيس⁶ المقاطع الصوتية إلى قسمين: أحدهما متحرك، وهو الذي ينتهي بصائت، والآخر ساكن،

¹ ينظر: شاهين، عبد الصبور: المنهج الصوتي للبنية العربية، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1980م، ص38.

² النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربية، ص234.

³ عبد التواب، رمضان: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ط1، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1980م.

⁴ يقصد بالمقطع المفتوح: المقطع الذي ينتهي بحركة، أما الذي ينتهي بصامت فيعرف بالمقطع المغلق. ينظر: النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربية، ص241.

⁵ عبد الجليل، عبد القادر: الأصوات اللغوية، ص220.

⁶ ينظر: أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، ص159.

وهو الذي ينتهي بصامت، وهذا المقطع ينتهي بصوت صائت (حركة قصيرة أو طويلة)، وهما نوعان:

1- المقطع القصير (صح) cv^1 : "والمقطع القصير يتألف من صامت متلوّ بحركة قصيرة: (ص + ح) ومن أمثلته المقاطع الثلاثة المتوالية في الفعل الماضي، كَتَبَ: $ka+ta+ba^2$.

2- المقطع المتوسط: (ص ح ح) cvv ، ويتألف من صوتين: صامت + حركة طويلة، ومن أمثلته، المقطع الأول من كلمة كَاتَبَ: $kaa+tib$.

ب- المقطع المغلق: وهو الذي ينتهي بصوت صامت (صوت ساكن)، وهو أربعة أنواع:

1- المقطع المتوسط (ص ح ص) cvc ، ويتألف هذا المقطع من صامتين تتوسطهما حركة قصيرة، ومن أمثلته المقطع الذي تتألف منه أداة الاستفهام: مَنْ: man .

2- المقطع الطويل المغلق (ص ح ح ص) $cvvc$ يتألف من صامتين يحصران بينهما حركة طويلة، ومن أمثلته، هذا المقطع الذي تتألف منه كلمة (مال) في حال النطق بها ساكنة: $maal$.

3- المقطع الطويل المزدوج الإغلاق: (ص ح ص ص) $cvcc$ ويتألف هذا المقطع من صامت متلوّ بحركة طويلة، متلوّ، بدورها بصامتين، ومن أمثلة هذا المقطع كلمة (بنت) وفي حالة النطق بها ساكنة: $bint$.

4- المقطع البالغ الطول المزدوج الإغلاق: (ص ح ح ص ص) $cvvcc$ ويتألف هذا المقطع من صامت متلوّ بحركة طويلة، متلوّ بدورها، بصامتتين، ومن أمثلته، هذا المقطع الذي

¹ يشير الرمز (ص) إلى اختصار كلمة صامت، وللدلالة عليها، ويقبله في الإنجليزية الرمز (c) الذي يشير إلى اختصار كلمة consonants. ويشير الرمز (ح) إلى اختصار حركة، وللدلالة عليها، ويقابلها في الإنجليزية الرمز (v) الذي يشير إلى اختصار كلمة vowel. ينظر: النوري: محمد جواد: علم الأصوات العربية، ص 238.

² تعرف هذه الكتابة بالكتابة الصوتية، حيث لكل صوت لغوي رمز يدل عليه.

يتألف منه الكلمة (ضالّ)، في حالة النطق بها ساكنة: daall، وقد عدّ بعض اللغويين هذا النوع مما ليس له أصل في لغتنا، ومنهم أحمد كشك الذي عارض وجود هذا المقطع في العربية الفصحى، معللاً ذلك بقوله: "بداية هذا المقطع لن تتحقق، إلا حين الوصل، حيث يعتمد المقطع على ما قبله وعلى ما بعده، ليشكل نمطاً مقطعيّاً آخر " ¹

إن الأنواع المقطعية الثلاثة الأولى، وهي: (ص ح) و (ص ح ح) و (ص ح ص) تعد من أكثر الأنواع المقطعية شيوعاً واستعمالاً في الكلام العربي، كما أن هذه المقاطع الثلاثة وحدها، هي التي يبنى عليها الشعر العربي، أما الأنواع المقطعية الأخرى المتبقية فقليلة الشيوع، ولا ترد إلا في أواخر الكلمات، وحين الوقف. ² وفيما يأتي ستورد الباحثة مثالين دالّين على عملية التحليل المقطعي في سورتي الملك والحشر:

مثال من سورة الملك:

يقول تعالى: "هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ" ³.

هـ	و	ل	ذ	ج	ع	ل	ل	ك	م
ص ح	ص ح ص	ص ح	ص ح ح	ص ح	ص ح	ص ح	ص ح	ص ح	ص ح ص
أ	ر	ض	ذ	ل	ف	ش	ف	م	ن
ص ح ص	ص ح	ص ح	ص ح ح	ص ح ص	ص ح ص	ص ح ح	ص ح ح	ص ح	ص ح ح
ك	ب	ه	و	ك	ل	م	ر	ق	ه
ص ح	ص ح	ص ح ح	ص ح	ص ح	ص ح ح	ص ح ص	ص ح ص	ص ح	ص ح ح
و	إ	ل	ه	ن	ش	و	ر	و	ر
ص ح	ص ح	ص ح ص	ص ح ص	ص ح	ص ح ح	ص ح ح	ص ح ص	ص ح	ص ح ح

¹ كشك، أحمد: من وظائف الصوت اللغوي، ط1، دار السلام، مطبعة المدينة، 1983، ص 24.

² النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربية، ص 240.

³ الملك: 15.

مثال من سورة الحشر:

يقول تعالى: "لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ"¹.

لَ -	أَ - نَ	تَ - مُ	أَ -	شَ - دَ	دَ -	رَ - هَ	بَ -	تَ - نَ
ص ح	ص ح ص	ص ح ص	ص ح	ص ح ص	ص ح	ص ح ص	ص ح	ص ح ص
ف ي	ص -	د و	ر -	ه - مَ	م -	ن - لَ	ل ا	ه -
ص ح ح	ص ح	ص ح ح	ص ح	ص ح ص	ص ح	ص ح ص	ص ح ح	ص ح
ذ ا	ل -	ك -	ب -	أ - نَ	ن -	ه - مُ	ق - و	م - نَ
ص ح ح	ص ح	ص ح	ص ح	ص ح ص	ص ح	ص ح ص	ص ح ح	ص ح ص
ل ا	ي - ف	ق -	ه و ن					
ص ح ح	ص ح ص	ص ح	ص ح ح ص					

¹ الحشر: 13.

الفصل الثاني

أثر العوامل الصوتية في النص

الفصل الثاني

أثر العوامل الصوتية في النص

إن عملية الكلام تتكون من جانبين: عضوي وطبيعي، يتمثلان في الجهاز النطقي الذي يُصدر أصواتاً متتابعة مسموعة، وفي أثناء انتقال هذه الأصوات، على شكل موجات صوتية إلى أذن السامع، تقوم بدورها بتوصيل الرمز الصوتي للدماغ، الذي يمنحه قيمة أو دلالة. فهذا يعني أن عملية الكلام تقوم على الصلة القائمة بين الصوت ودلالته، في ذهن كل من المتكلم والسامع.

وتتمتاز اللغة العربية، في مجموع أصوات حروفها، بسعة مدرجها الصوتي، وتوزيعه توزيعاً عادلاً يؤدي إلى الانسجام والتوازن بين الأصوات، وسعة المدرج الصوتي؛ حاصل باختلاف الملامح التمييزية للأصوات، أو العوامل الداخلية، فاللغة تقوم على الاختيار الواعي والتنظيم في أصوات كلماتها، وهذا ما سمّته الباحثة العوامل الخارجية. وفي هذا الفصل نسعى لدراسة أثر العوامل الصوتية في النص، من أربعة جوانب رئيسة، وهي: الجانب النطقي، والجانب السمعي، والجانب الموسيقي، والجانب الدلالي.

أ. الجانب النطقي وأثره

معروف أن اللغة نظام من الرموز الصوتية، أو كما عرّفها ابن جني: "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" ¹ ولقد أولى علماء العربية لغتهم اهتماماً كبيراً، وناقشوا مسائلها وقضاياها المختلفة، بما أوتوا من عمق في النظر، وشمول في الرؤية، ودقة في التحليل، وميزوا الصوت اللغوي عن غيره من الأصوات بوساطة الملامح التمييزية، إن تمييز الصوت اللغوي عن غيره يعتمد على: الجهد الذي يبذله الجهاز النطقي لإنتاجه؛ فعادةً، يستأثر الصوت الأقل جهداً بالأفضلية، أما الملامح التي يتوقف عليها مقدار هذا الجهد، فهي: الجهر والهمس، من جهة، والانفجار والاحتكاك، من جهة أخرى.

أمّا الجهر والهمس، فيفرّق بينهما الدكتور محمود السعران، على أساس "أن الصوامت المهموسة تتصف بقدر من البروز قليل جداً، بالقياس إلى الأصوات المجهورة، فالأصوات

¹ ابن جني: الخصائص: 1/ 87.

المهموسة يحتاج نطقها إلى قوة من إخراج النفس، أعظم من التي يتطلبها نطق الصوامت المجهورة، كما أن نطق الصوامت المهموسة يحتاج عادة إلى جهد عضوي أقوى من الذي يستدعيه نطق الصوامت المجهورة.¹ " وعلى ذلك ينص الدكتور إبراهيم أنيس بقوله: إن " الأحرف المهموسة، تحتاج للنطق بها إلى قدر أكبر من هواء الرئتين، مما تتطلبه نظائرها المجهورة؛ فالأحرف المهموسة مجهدة للتنفس، ولحسن الحظ نراها قليلة الشيوع في الكلام؛ لأن خمس الكلام يتكون عادة من أحرف مهموسة، وباقي الكلام أحرف مجهورة " ²

أما الانفجار والاحتكاك، فينص الدكتور إبراهيم أنيس، على أن " الأصوات الشديدة [الانفجارية]، تحتاج إلى جهد عضلي، أقل من نظائرها الرخوة [الاحتكاكية] " ³

أما الأصوات المفخمة، فهي تحتاج إلى جهد عضلي زائد، على الجهد الذي تحتاج إليه نظائرها غير المفخمة. ⁴

ويذكر الدكتور سلمان العاني أن طاقة الحركات الفيزيائية أكبر من طاقة الصوامت⁵؛ فإن الجهد المبذول لإنتاج الحركات، أكبر من الجهد المبذول لإنتاج الصوامت؛ فطاقة الصوت الفيزيائية، تأتي على قدر ما يبذل من جهد لإنتاجه.

والنص الجيد، هو ذلك الذي لا تجهد اللسان أصواته؛ مراعيًا بذلك " أن الإنسان في نطقه لأصوات لغته، يميل إلى الاقتصاد في المجهود العضلي... " ⁶ وتتحقق سلاسة النص، من هذه الناحية، باختيار الألفاظ سهلة النطق، من جهة، وتنظيمها في التراكيب على وجه يحافظ

¹ السعران، محمود: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص 152.

² أنيس، إبراهيم: موسيقى الشعر، ط2، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1952 م، ص 30.

³ أنيس، إبراهيم: في اللهجات العربية، ط 8، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1992م، ص 100.

⁴ استيتية، سمير شريف: الأصوات اللغوية: رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، ط1، عمان، دار وائل، 2003م، ص 174.

⁵ العاني، سلمان حسن: التشكيل الصوتي في اللغة العربية (فونولوجيا العربية)، ترجمة: ياسر الملاح، ط1، جدة، النادي الأدبي الثقافي، 1983، ص 50.

⁶ أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، ص 216.

على سهولة النطق، من جهة أخرى، أما سهولة النطق بالكلمة العربية، فنتحقق، كما يقول الدكتور إبراهيم أنيس، بعدة ضوابط، وهي:

- خلوها من الأصوات صعبة النطق، وأهمها: الهمزة، والقاف، وأصوات الإطباق: الضاد، والطاء، والظاء، والصاد؛ فالكلمة التي تتضمن أكثر من صوت من هذه الأصوات، ولو لم يتجاوزا، تعد من الكلمات العسرة النطق.

- خلوها من تنافر الأصوات، الذي يعزى سببه، إلى تلاقي الأصوات المتقاربة المخرج، أو الصفة فيها، كالتقاء صوتي الحلق: الحاء والعين؛ والتقاء صوتين من الأصوات: اللام، والراء، والنون؛ والتقاء صوتين من أصوات الصفير، كالسين والزاي، وغير ذلك.

- ألا تكون الكلمة كثيرة الحروف؛ فجميع الكلمات كثيرة الحروف، يمكن أن تعد، بوجه عام، من الكلمات صعبة النطق؛ لأنها تتطلب جهداً عضلياً أكبر. والكثرة الغالبة من كلمات اللغة العربية لا تكاد تزيد على أربعة أحرف، ويقل عدد الكلمات، كلما زادت حروفها على هذا، حتى تصل إلى ستة حروف في الأفعال، وسبعة في الأسماء.

من الضوابط السابقة نستطيع الحكم على مراتب الصعوبة في الكلمة العربية، ونعلم أن أسهل الكلمات نطقاً، تلك التي تتركب من الحروف الآتية: اللام، النون، والميم، والdal، التاء، الباء، وأحرف المد، أي الحركات الطويلة.¹

ومن أمثلة ما سبق، قول أبو تمام²:

قد قلت لما اطلختم الأمر وانبعثت عسواء تالية غبسا دهاريساً

فهذا البيت ثقيل النطق، ففيه كلمتان طويلتان هما: " اطلختم " و " دهاريس "، ولا شك أن الأولى لتضمنها الطاء والخاء، وكلاهما من الحروف التي تتطلب جهداً عضلياً أكثر.³

¹ أنيس، إبراهيم: موسيقى الشعر، ط2، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1952م، ص 26-31.

² أبو تمام: الديوان، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994م، 365/1 . اطلختم: إذا اشتد الأمر واطلم. غبساً: الدواهي السود المظلمة. دهاريس: الدواهي.

³ المرجع السابق، ص 33.

ومن أمثلة ذلك أيضاً، قول المتنبي¹:

فقلقت بالهمّ الذي قلقل الحشا قلاقل عيسٍ كلهنّ قلاقل

فهذا البيت ثقيل في النطق، لما نجد من ثقل في معظم كلماته منفردة، يعود إلى ما تحويه من أصوات ثقيلة متكررة، كالكاف، وما نجده من ثقل في نطق الكلمات مجتمعة.

ومن الأمثلة أيضاً، قول امرئ القيس²:

غداً نره مستشزرات إلى العلا تضلّ المداري في مثى ومرسل.

فكلمة (مُسْتَشْزِرَاتُ)، ثقيلة في النطق، إلى حد كبير؛ فهي تحتوي على ثلاثة أصوات احتكاكية صغيرية، وهي: السين، والشين، والزاي. والأصوات الاحتكاكية تحتاج إلى جهد كبير لنطقها.

وهناك تنافر كبير بين أصوات الكلمة؛ لتقاربها في المخرج والصفة، واحتوائها على أربعة أصوات مهموسة، وهي: السين، والشين، والتاء الواردة مرتين. والأصوات المهموسة تحتاج إلى جهد كبير لنطقها، وطول الكلمة جعل منها ثقيلة في النطق.

من أهم العوامل التي يتوقف عليها الجهد النطقي، المقاطع الصوتية؛ لما لها من دور في العملية الكلامية؛ فإذا كانت الأصوات الخامة التي يتشكل منها الكلام، فإن المقاطع الصوتية، الهيكل الذي تبنى عليه هذه الخامة، فالأصوات تأتلف في تجمعات، يتكون الواحد منها، من "حركة قصيرة أو طويلة، مكتفية بصوت واحد أو أكثر، من الأصوات الساكنة (الصامتة)".³ ومن هذه التجمعات التي تمثل المقاطع الصوتية ذاتها، تتكون الألفاظ، ومن خلال هذا الدور الذي تقوم به المقاطع، تؤثر إيجاباً أو سلباً في الجهد النطقي.

¹ المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين: الديوان، جزءان في جزء واحد، شرحه وكتبه هوامشه مصطفى سبيتي، بيروت، دار الكتب العلمية، (د، ت) 78/1.

² امرؤ القيس: الديوان، ضبطه وصحّحه مصطفى عبد الشافي، بيروت: دار الكتب العلمية، ص 115. ومعنى مستشزرات: أي مرتفعة. وقد أراد أن يصف طول شعره محبوبته، وتعقده من فرط جماله.

³ أنيس، إبراهيم: موسيقى الشعر، ص 145.

تختلف المقاطع الصوتية في الجهد الذي يبذله الجهاز النطقي لإنتاجها، مجردة من طبيعة الأصوات التي تشغلها، وخارجة على ترتيبها في السلسلة الكلامية؛ لكون ذلك يؤثر في رفع جهد المقطع، أو خفضه، ويتوقف هذا الجهد على طول المقطع، من جهة، وطبيعة مكوناته، وترتيبها فيه، من جهة أخرى.

ويمكن ترتيب المقاطع الصوتية، من ناحية الجهد النطقي، بناءً على المعطيات الآتية:

- الجهد المبذول لإنتاج الحركة، أكبر من الجهد المبذول لإنتاج الصامت.
- الحركة الطويلة أصعب في النطق من الحركة القصيرة؛ لكونها بمكانة حركتين قصيرتين؛ " فالفرق بين حركة قصيرة، وأخرى طويلة، هو تقريباً مضاعفة القصيرة، أو أكثر " ¹ لذا تعد الحركة الطويلة في الترتيب حركتين قصيرتين.
- كلما زاد طول المقطع زادت صعوبته؛ لاحتوائه على أصوات أكثر.
- صعوبة النطق بالعنقود الفونيمي أو الصوتي (Sound Cluster)، وهو: " اجتماع أكثر من صامت في بداية المقطع، أو نهايته. " ² ومما يؤكد ذلك أن العربية " تكره... تتابع الصوامت " ³ فلا يبدأ المقطع بصامتين، كما لا يبدأ بحركة، ولا ينتهي بصامتين، إلا في سياقات معينة، عند الوقف، أو إهمال الإعراب.

تؤثر المقاطع في الجهد النطقي، الذي تحتاج إليه الكلمة أو الجملة، فوجود المقطع الطويل المغلق في كلمة مثل (ضالّين) يثقل نطق الكلمة ونطق الجملة التي تحويها. وتؤثر المقاطع من خلال التنظيم الذي يعتريها في التراكيب، فإن من المقاطع ما يصعب تجاوزه التركيب بالسهولة، ومنها ما يصعبه بالصعوبة، فتتابع المقطعين: المتوسط المغلق والمتوسط المفتوح مثلاً

¹ العاني، سلمان: التشكيل الصوتي في اللغة العربية (فنولوجيا العربية) ترجمة: ياسر الملاح، ط1، جدة، النادي الأدبي الثقافي، 1983م، ص115.

² النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربية، ص 235.

³ شاهين، عبد الصبور: المنهج الصوتي للبنية العربية، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1980م، ص 42.

يحقق سلاسة نطقية عذبة، لا تجدها في تتابع ثلاثة مقاطع قصيرة أو أكثر؛ فهو تتابع ثقيل النطق إلى حد ملاحظ، الأمر الذي جعل العربية تتخلص منه، في حالات كثيرة.

ومن ذلك أن العربية، إذا أسندت فعلاً مكوناً من ثلاثة مقاطع قصيرة، كالفعل: (دَرَسَ: da/ra/sa) إلى ضمير الأنثى مثلاً؛ تحول المقطعان القصيران: الثاني والأخير في الفعل، إلى مقطع متوسط مغلق فراراً من توالي المقاطع القصيرة؛ فيقال: دَرَسْتُ (da/ras/tu) بدلاً من: دَرَسْتُ (da/ra/sa/tu).

أثرت المقاطع الصوتية في الشعر، إذ بُني الشعر العربي على المقاطع الثلاثة: القصير، والمتوسط المغلق، والمتوسط المفتوح؛ لسهولة استخدامها، فمثلاً لا يمكن في الشعر العربي -توالي أكثر من ثلاثة مقاطع، من النوع القصير في أي بحر من البحور، ولا يجوز توالي ثلاثة مقاطع من هذا النوع، إلا في التفعيلة (مُتَعَلِّنٌ) وهذه التفعيلة تكون في بحور الرجز والسريع والبسيط والمنسرح، وهي تفعيلة قليلة الاستخدام لما تحدثه من ثقل ملاحظ في النطق، ومن الأمثلة على ذلك:

قول عمرو بن كلثوم:

إِذَا مَا الْمَلِكُ سَامَ النَّاسِ خَسَفًا أَبَيْنَا أَنْ يُقَرَّ الْخَسَفُ فِينَا.

وقول الأعشى:

فَقَالَ لِلْمَلِكِ سَرَحَ مِنْهُمْ مَائَةً رِسَالًا مِنَ الْقَوْلِ مَخْفُوضًا وَمَا رَفَعًا.

ففي هذين البيتين، نجد أثراً من آثار عدم تقبل الشعر، توالي المقاطع القصيرة، في قول الشاعر: إذا ما الملكُ (mal/ki)، بدلاً من (ملك: ma/li/ki)، وكذلك في بيت الأعشى. فيكثر في الشعر العربي، تسكين لام (ملك) بدلاً من تحريكها؛ فراراً من توالي ثلاثة مقاطع قصيرة.¹

¹ ينظر: عبد التواب، رمضان: فصول في فقه العربية، ط6، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1999م، ص 158-

ب. الجانب السمعي وأثره

تعد الأصوات من أهم عناصر اللغة، وهي بدونها جثة هامة، فاللغة المكتوبة لا قيمة لها، إذا لم تكن معروفة الأصوات، وطرائق النطق، فاللغة تقوم على إصدار واستقبال أصوات تحدثها عملية الكلام. فاللغة تقوم على الثنائية: المتكلم والسامع؛ لذلك كان الوضوح السمعي، ضرورة من ضرورات الاتصال اللغوي، تحقق به اللغة هدفها التأثيري، وسمة من سمات الجودة الصوتية، التي يتمتع بها النص الجيد.

وهذا الوضوح، يكون خارجاً على المؤثرات غير اللغوية، كالمؤثرات النفسية، والاجتماعية، يتحصل بعدة عوامل، تتمثل في طبيعة الأصوات اللغوية التركيبية، والفونيمات غير التركيبية، وطبيعة المقاطع الصوتية، والتنظيم الذي يحكم هذه الأصوات والمقاطع.

وتختلف الأصوات التركيبية في درجة الوضوح السمعي، بين ارتفاع وانخفاض، بناءً على الملامح التمييزية، التي يتشكل منها الصوت اللغوي، فأصوات الحركات vowels، تعد أعلى وضوحاً في السمع من الصوامت consonants، كما أن الحركات تختلف فيما بينها في درجة الوضوح السمعي نسبياً؛ فالحركات الطويلة، المتمثلة بالفتحة الطويلة، (aa)، والكسرة الطويلة (ii)، والضممة الطويلة (uu)، على التوالي أوضح في السمع من الحركات القصيرة، المتمثلة بالفتحة القصيرة (a)، والكسرة القصيرة (i)، والضممة القصيرة (u) على التوالي.

ويليها في ذلك، الأصوات الصامتة، التي تتفاوت، هي الأخرى فيما بينها في درجة الوضوح السمعي، وهي: الأصوات المائعة أو الرنانة: (الراء، والميم، والنون، واللام) ويسمى بعضها بعض اللغويين أشباه الحركات؛ لأنها تلي الحركات في درجة وضوحها السمعي، ويليها في ذلك، الصوامت الاحتكاكية المجهورة (الذال، والزاي، الظاء، الغين، والعين)، فالصوامت الانفجارية المجهورة (الباء، والذال، والضاد)، فالصوامت الاحتكاكية المهموسة (الثاء، والحاء، والخاء، والسين، والشين، والصاد، والفاء، والهاء) فالصوامت الانفجارية المهموسة (التاء، والكاف، والقاف).¹

¹ ينظر: النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربية، ص 235.

وترتيب الأصوات، وفق وضوحها السمعي، كان بناءً على نتائج أجهزة مخصصة بدراسة الصوت اللغوي، ومن أهم هذه الأجهزة: الأوسيلجراف، والسبكتروجراف.¹

وهذا الترتيب يقوم على معيارين مهمين، يتمثل الأول في مقدار الطاقة التي يحملها الصوت اللغوي؛ فكلما زادت هذه الطاقة؛ زاد وضوح الصوت السمعي، فنجد أن ملمح الاحتكاك، يُكسب الصوت وضوحاً أكثر من الانفجار؛ فهو يشحنه بطاقة أقوى؛ لكونه أصعب في النطق، كما يكسب الجهر الصوت وضوحاً. أما المعيار الآخر، فيتمثل في طول الصوت اللغوي، الذي يقصد به " الزمن الذي يستغرقه النطق بهذا الصوت مُقَدَّرًا عادة، بجزء من الثانية "² فكلما زاد طول الصوت اللغوي؛ زاد وضوحه السمعي، لذا نجد أن الحركات الطويلة أوضح من القصيرة، كما نجد أن الحركات أوضح من الصوامت؛ لأنها أطول، ولأن طاقة السواكن (الصوامت) الأكوستيكية (الفيزيائية) عامة أقل من طاقة الحركات.³

ونلاحظ افتقاد مجموعة الوضوح السمعي لصامتين اثنتين هما: الهمزة والجيم؛ لإشكالها المخرجي؛ فالأول محايد، من ناحية الجهر والهمس، والآخر مركب يجمع بين الانفجار والاحتكاك.⁴

ولتباين الأصوات اللغوية في الوضوح السمعي، أثره البارز، في تمييز الصوت من غيره إيجاباً أو سلباً، فيستأثر الصوت الأوضح في السمع بالأفضلية، ويظهر ذلك في اللغة العربية، من شيوع الأصوات المتميزة بوضوحها السمعي، في الاستعمال؛ فنجد " أن اللام، أكثر الأصوات الصامته شيوعاً في اللغة العربية؛ لأن نسبة شيوعها حوالي (127) مرة، في كل ألف من الأصوات الساكنة "⁵

¹ ينظر: النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربية، ص 10.

² أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، ص 154.

³ العاني، سليمان حسن: التشكيل الصوتي في اللغة العربية، ص 50.

⁴ ينظر: ص 21-25. من هذا البحث.

⁵ وافي، علي عبد الواحد: فقه اللغة، ط3، القاهرة، نهضة مصر، 2004، ص 98.

والفونيمات غير التركيبية، كالتنغيم والمفصل، أثر جلي في الوضوح السمعي؛ فالتنغيم يزيد وضوح الكلمة السمعي، فهو "مرتبط بالارتفاع والانخفاض في نطق الكلام؛ نتيجة لدرجة توتر الوترين الصوتيين؛ مما يؤدي إلى اختلاف الواقع السمعي " ¹ أما المفصل فيسهم في هذا الوضوح، بتقليله من تأثر الأصوات ببعضها في التركيب؛ فيحفظ لكل منها وضوحه؛ بصفته سكتة خفيفة بين كلمات أو مقاطع في حدث كلامي، بقصد الدلالة على مكان انتهاء لفظ ما أو مقطع ما، وبداية آخر. ²

وتعمل هذه الفونيمات على جذب انتباه المتلقي، ونستطيع أن ندرك ذلك ببیت الشعر المشهور في علم البلاغة كمثال للجناس: عضنا الدهر بنابه ليت ما حل بنا به.

فنحن ندعي أن الأولى ينبغي أن تنطق: بنابه، وأن الثانية ينبغي أن تنطق: بنا +به.

وهذا المفصل من شأنه أن يشد المتلقي، ويعزز انتباهه، ومن الأمثلة على التنغيم قوله تعالى: "قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ (74) قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (75)". ³ ففي جملة "قالوا فما جزاؤه" تنغيم استفهام، وفي جملة "قالوا جزاؤه من وجد في رحله" تنغيم تقرير.

وللمقاطع الصوتية، دورها في الوضوح السمعي فهي تختلف في مقدار وضوحها، بناءً على طول المقطع والطاقة التي يحملها. أما طول المقطع، فهو الزمن الذي يستغرقه النطق بهذا المقطع، وبازدياد هذا الزمن، يزداد وضوح المقطع، ويتوقف هذا الزمن بدوره على عدد مكونات المقطع، فكلما زادت هذه المكونات زاد الزمن، كما يتوقف على طبيعة هذه المكونات، فالحركات أطول من الصوامت، والحركات الطويلة أطول من القصيرة أما الطاقة فترتبط بالجهد المبذول لنطق المقطع الصوتي، فكلما زاد هذا الجهد، زادت طاقة المقطع، فيزداد، بذلك وضوحه. ⁴

¹ حجازي، محمود فهمي: مدخل إلى علم اللغة ص 82.

² ينظر: عمر، أحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي، القاهرة، عالم الكتب، 1997م، ص 364.

³ سورة يوسف: آية 74-75.

⁴ ينظر: ص 29-30 من هذا البحث.

وفي تنظيم الأصوات والمقاطع الواضحة في السمع، في النص، ما يعزز وضوح النص السمعي؛ ففي النص مواطن أولى من غيرها بهذا الوضوح، كبداية التركيب ونهايته، سواء أكان هذا التركيب كلمة أم جملة، أم فقرة، أم النص ذاته، فالبدائيات أول ما يقابل المتلقي، والنهايات آخر ما يستقر في ذهنه، وبوضوح البدايات والنهايات، يُضمّن وصول النص بمعانيه إلى المتلقي، على أتم وجه.

ويمكن لنا أن ندرك ضرورة وضوح هذين الموضعين في التركيب؛ ذلك " أنّ السامع بوجه قسطاً كبيراً من انتباهه، في أثناء السماع إلى مدلول الكلمات والعبارات، ولا يُعنى كثيراً بإدراك الأصوات، وهذا الاتجاه الذي لا يستطيع أن يتحرر منه السامع تمام التحرر، ويجعل إدراكه السمعي عرضة للزلل، فهو بمجرد أن يدرك معنى الكلمة ؛ وذلك يتحقق بسماع حروفها، وبمجرد أن يدرك معنى الجملة ؛ وذلك يتحقق بإدراك بعض كلماتها ؛ ينصرف عن سماع الباقي، فلا يدركه إدراكاً سمعياً صحيحاً، تعتمد مثلاً تحريف بعض كلمات في جملة، وناقش السامع فيما سمعه، ترّ أنه لم يتبين هذا التحريف، قل مثلاً لزائر: "إزّي صحت"، فإنه يسمعها "إزاي صحتك" ولا يتبين حذفك لكاف الخطاب، وقل مثلاً في أثناء التحسر على شخص: "بسكين الراجل ده"، فإن المخاطب يسمعها مسكين، ولا يفطن لاستبدال الباء بالميم. " ¹

ومن النقد من اتخذ من الوضوح السمعي، معياراً للحكم على جودة النص الذي ينقده، ومن هؤلاء النقاد محمد مندور؛ ففي نقده قصيدة ميخائيل نعيمة (أخي) ² يتوقف مثلاً عند البيت:

(مجزوء الوافر)

وقـدس ذكـر مـن مـاتوا وعظـم بـطـش أبطـالـه

ليقول في عجزه: "أي قوة في تتابع هذه الحروف المطبقة، ظاء ثم طاء وطاء. " ³

¹ وافي، علي عبد الواحد: علم اللغة، ط9، القاهرة، نهضة مصر، 2004م، ص 39.

² ينظر القصيدة: نعيمة، ميخائيل: همس الجفون، ط6، بيروت، دار نوفل، 2004 م، ص 12، 13.

³ مندور، محمد: في الميزان الجديد، ط1، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1944م، ص 49.

ج. الجانب الموسيقي وأثره

اللغة ظاهرة موسيقية، فعندما تقرأ نصاً من النصوص، يستولي على حواسك، بما تجده من روعة في لغته ودقة في معانيه وألفاظه، وموسيقى أصواته، فاللغة كاللوحه التي يرسمها الفنان بريشته، أو كالتمثال الذي ينحته بإزميله، فهو يستشعر بخياله صورة التمثال، ويعيش بإحساسه النفسي، فيجسده بلغة تصويرية موحية ومعبرة، واللغة الصائتة ما هي إلا انعكاس للغة النفس الصامتة، ومن هنا تقوم الصورة الخيالية بتجسيد معاني اللغة الذهنية، التي تدل على معان نفسية.

تعتمد موسيقى النص اللغوية، على طبيعة الأصوات التركيبية، والفونيمات غير التركيبية التي يتشكل منها النص، وطبيعة المقاطع الصوتية، والتنظيم الذي يحكم هذه الأصوات والمقاطع، فكل صوت يحمل مخزوناً موسيقياً، يجعل له حضوراً جمالياً في الكلام، ويتمثل هذا المخزون في الملامح التمييزية التي يتشكل منها الصوت، فلكل ملمح طابعه الموسيقي الخاص؛ لحدوثه بفعل حركات معينة بالجهاز النطقي، تعمل على تغييرذبذبة الهواء الذي يتكون منه الصوت اللغوي، وبتأزر هذه الملامح في الصوت اللغوي، تتبلور موسيقيته التي يتميز بها.

ربط ابن جني بين علم الأصوات وعلم الموسيقى، بقوله: إن علم الأصوات والحروف له تعلق ومشاركة للموسيقى لما فيه من صنعة الأصوات والنغم.¹

من أهم الملامح القادرة على إظهار موسيقية الصوت اللغوي، جانبية الالم، وتكرار الراء، وأنفية النون، وتركيب الجيم، والميم بغنتها، وصفير الصوامت الصفيرية، وكما تتوقف موسيقية الصوت اللغوي، على طبيعة ملامحه التمييزية، وتتوقف على الزمن الذي يستغرقه النطق بهذا الصوت، فكلما زاد هذا الزمن، أو الطول؛ حسنت موسيقية الصوت اللغوية؛ لما يجد فيه الناطق من متسع لمد الصوت.

¹ هلال، عبد الغفار حامد: أصوات اللغة العربية، ط2، القاهرة، مطبعة الجبلاوي، 1988م.

وتتوقف موسيقية الصوت اللغوي على مقدار الجهد المبذول في النطق؛ "فكل حرف، أو مجموعة من الحروف، تتطلب جهداً عضلياً أكثر؛ نستطيع أن نعدّها أحرفاً رديئة الموسيقى، تأبأها الأذان، ولا تستسيغها".¹ كما تتوقف على وضوح الصوت السمعي؛ فالصوت الواضح في السمع، أكثر موسيقية من نقيضه، لما يتمتع به من طاقة موجية أقوى، تؤثر أكثر في المتلقي، "والحركات أكثر الأصوات موسيقية، أو قبولاً للغناء؛ لإمكان تطويلها، على وجه يطرب السمع"² ولكونها أوضح الأصوات فيه، وتليها الأصوات الرنانة: الميم، والنون، واللام، والراء؛ لما تتمتع به من ملامح متميزة، لا تتوفر في غيرها، ووضوح سمعي عال؛ فهي أوضح الصوامت العربية.

وعلم التجويد يعكس أسمى صور الاهتمام بالموسيقى اللغوية، فنجد أن الأصوات السابقة، تمثل المحاور الرئيسة لهذا العلم؛ فأهم أحكام التجويد، أحكام النون الساكنة والتنوين: الإظهار، والإخفاء، والإقلاب، والإدغام بنوعيه: بغنة، وبغير غنة؛ وأحكام الميم الساكنة: الإدغام الشفوي، والإخفاء الشفوي، والإظهار الشفوي، وتفخيم اللام وترقيقها في لفظ الجلالة، وتفخيم الراء وترقيقها: وأحكام المد بأنواعه.

وللفونيمات غير التركيبية، كالتنغيم والمفصل، أثرها في الاهتمام بالموسيقى اللغوية، فيظهر التنغيم "في صورة ارتفاعات وانخفاضات، أو تنويعات صوتية."³ في أثناء الكلام وهذه الارتفاعات والانخفاضات ترجع "إلى التغيير في نسبةذبذبة الوترين الصوتيين، هذه الذبذبة التي تحدث معها نغمة موسيقية"⁴، تزيد من خصوبة الموسيقى التي تحدثها الأصوات التركيبية، كذلك يقع على عاتق هذه الارتفاعات والانخفاضات، إحداث تغييرات موسيقية في الكلام.

وكشف الدكتور إبراهيم أنيس عن قيمة التنغيم الموسيقية، بقوله: "أن موسيقى الشعر العربي، تتكون من عنصرين رئيسيين: ذلك النظام الخاص في توالي المقاطع، المتمثل في

¹ أنيس، إبراهيم: موسيقى الشعر، ص 26.

² بشر، كمال: علم الأصوات، ص 151.

³ المرجع السابق، ص 533.

⁴ السمران، محمود: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص 192.

البحور الشعرية، ومراعاة النغمة الموسيقية الخاصة في إنشاده؛ فليس ترتيب المقاطع الصفة الوحيدة التي يتكون بها النظم، بل لا بد معها حين الإنشاد، من مراعاة النغمة الموسيقية الخاصة.¹

وينص الدكتور توفيق شاهين على القيمة الموسيقية للتغيم، بقوله: "لو أخذنا نصًا ممتازًا من الشعر أو النثر ثم طبقنا عليه ضوابط التغيم عند نطقه، وفي أداء مُجيد للإلقاء، لأحسست بروعة الأداء وجمال المعنى." ²

ويسهم المفصل في تشكيل الموسيقى اللغوية، بوصفه سكتة خفيفة بين الكلمات، أو المقاطع، فمن شأن هذه السكتة أن تضبط الحركة الموسيقية في النص وتنظمها، ومن ذلك أن التغيم "يتحدد إطاره، وتترك أنماط نغماته في نهايات الجمل، بالفواصل الصوتية، ونعني بها الوقفات، والسكتات، والاستراحات" ³

ومما يدل على قيمة المفصل الموسيقية، استئنائه بأحكام خاصة في علم التجويد، ألا وهي أحكام الوقف بأنواعه.

وللمقاطع الصوتية، كغيرها من العناصر الصوتية في النص، أثرها البين في الموسيقى اللغوية؛ بوصفها الهيكل التنظيمي، الذي تألف فيه الأصوات اللغوية، مشكلةً بذلك الكلام، وتختلف هذه المقاطع، بناءً على طبيعتها، في الأثر الموسيقي الذي تحدثه؛ فمنها ما تحسن به الموسيقى اللغوية في النص، لسهولة نطقه بما يحوي من أصوات، ومنها ما يقف عائقًا، دون سلاستها وجمالها؛ لصعوبة نطقها بما يحوي من أصوات؛ لذلك نجد أن المقاطع: القصير (ص ح)، والمتوسط المغلق (ص حص)، والمتوسط المفتوح (ص ح ح)، أكثر المقاطع موسيقية؛ فهي أسهلها في النطق، ومما يؤكد ذلك، أن العربية فضلتها في الاستخدام على غيرها، كما بنى العرب أشعارهم عليها، والشعر نص لا يقوم دون موسيقى. فالموسيقى مهما كان نوعها، لا تقع

¹ أنيس، إبراهيم: موسيقى الشعر، ص 149.

² شاهين، توفيق محمد: علم اللغة العام، ط1، القاهرة، مكتبة وهبة، 1980م، ص112.

³ بشر، كمال: علم الأصوات، ص532.

دون تنظيم يحكم أصواتها، ومن أكثر النصوص التي يظهر فيها أثر التنظيم، الشعر العربي، فهو يقوم على ترتيب المقاطع الصوتية في تفعيلات، تتشكل منها البحور الشعرية، ولولا هذا الترتيب لما كان هذا النص متميزاً بموسيقاه.

والجانب الموسيقي في النص، من أكثر الجوانب تأثيراً في المتلقي، وهو أكثر الجوانب تعرضاً للنقد، "ومن ذلك ما أخذ على أبي الطيب المتنبي، استخدامه كلمة (الجرشي) أي النفس في بيته:

مُبارك الاسم، أغر القلب كريم الجرشي، شريف النسب

فإنك تجد في الجرشي تأليفاً يكرهه السمع، وينبو عنه.

ومن ذلك أيضاً ما يروى عن أبي علقمة النحوي من قوله: ما لكم تتكأؤون عليّ تكأؤكوم على ذي جنة؟ افرنقوا عني.

فإن (تتكأؤون، وافرنقوا) وحشي، وقد جمع معهما قبح التأليف الذي يمجّه السمع والتوعر.¹

كذلك، "توقف محمد مندور، في نقده قصيدة ميخائيل نعيمة، (أخي) عند البيت:

أخي! قد تم ما لو لم نشأه نحن ما تمّا

ليقول في صدره: "ودع عنك ما في قوله: "تم ما لو لم (tam/ma/maa/law/lam)؛

فهذه أربعة أو خمسة مقاطع، متلاحقة، منفصلة، كثيرة الميمات، صعوبة النطق في انسجام.²

يتضح لنا مما سبق أن جهاز النطق الإنساني يجعل من النص قطعة موسيقية جذابة، إذا أحسن استخدام أصواتها، أما إذا أسيء استخدام أصواتها، يقل تأثير النص في المتلقي وتقل جاذبيته.

¹ ابن سنان الخفاجي، أبو محمد عبد الله بن محمد: **سر الفصاحة**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982م، ص66-67.

² مندور، محمد: **في الميزان الجديد**، ط1، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1944م، ص 52.

د. الجانب الدلالي وأثره

إن من أهم ما شغل العلماء والباحثين قديماً وحديثاً، العلاقة القائمة بين الصوت والدلالة، وقد اهتم الفكر الإنساني، منذ بداياته، بدراسة العلاقة القائمة بينهما، لكنهم لم يتوصلوا بعد إلى نتائج واضحة تربط بين الصوت والدلالة، فالجدل قائم في العلاقة بينهما.

ويعود ذلك إلى أن دراسة دلالات الأصوات اللغوية منفردة، أمر معقد إلى حد ما؛ فهي ترتبط بجوانب لغوية أكثر إشكالاً، كنشأة اللغة البشرية، والدراسات اللغوية النفسية والاجتماعية.¹

إن كل صوت في الكلمة العربية يحمل في طياته دلالة على معنى معين " وأن الكلمة العربية، مركبة من هذه المادة الصوتية، التي يمكن حل أجزائها، إلى مجموعة من الأحرف الدوال المعبرة؛ فكل واحد منهما مستقل ببيان معنى خاص؛ ما دام مستقل بإحداث صوت معين، وكل حرف له ظل وإشعاع؛ إذ كان لكل حرف صدى وإيقاع."²

ومن أبرز العلماء الذين تناولوا هذه القضية، ابن جني، وابن سينا. أما ابن جني، فيقول: إن العرب " كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سَمَت الأحداث المعبر بها عنها؛ فيعدلونها بها، ويحتذونها عليها، وذلك أكثر مما نقدره، وأضعاف ما نستشعره. ومن ذلك قولهم: خضم، وقضم، فالخضم لأكل الرطب، كالبطيخ والفتاء، وما كان نحوهما من المأكول الرطب، والقضم للصلب اليابس؛ نحو: قضمت الدابة شعيرها، ونحو ذلك... فاخترأوا الخاء لرخاوتها للرطب، والقاف لصلابتها لليابس؛ حذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث. ومن ذلك قولهم: النضخ للماء ونحوه، والنضخ أقوى من النضح؛ قال الله سبحانه: (فيهما عينان نضاختان)³؛ فجعلوا الحاء لرققتها للماء الضعيف، والحاء لغلظها لما هو أقوى منه..."⁴

¹ السعران، محمود: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص 261.

² الصالح، صبحي: دراسات في فقه اللغة، ط16، بيروت، دار العلم للملايين، 2004م، ص 142.

³ الرحمن: 66.

⁴ ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص، مج 3، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية،

2001م، 1/ 509.

وأما ابن سينا، فقد نص في (رسالة أسباب حدوث الحروف)، على أن هذه الحروف، قد تسمع من حركات غير نطقية، ومن ذلك: "أن القاف قد تُسمع من شقّ الأجسام، وقلعها دفعة واحدة؛ والكاف من وقوع كل جسم صلب كبير، على بسيط آخر صلب مثله؛ والشين من نفوذ الرطوبات في خلل أجسام يابسة، نفوذاً بقوة، والطاء بتصفيق اليدين، مع عدم انطباق الراحنتين؛ والراء من تدحرج كرة على لوح من خشب، من شأنه أن يهتز؛ والفاء من حفيف الأشجار".¹

وسار المحدثون من علمائنا وباحثينا على درب القدماء، فینص الدكتور إبراهيم أنيس على أن "البداءة تميل إلى الأصوات الانفجارية؛ لكونها تناسب غلظتها، وجفاء طبعها، كما تميل الحضارة إلى الأصوات الاحتكاكية؛ ففيها من التؤدة واللين، ما يناسب بيئتها وطبيعتها".²

ويرى الدكتور علي يونس، "أن الصوت اللغوي الذي يشابه صوتاً بشرياً غير لغوي، قد يكتسب شيئاً من دلالاته؛ فالهاء والحاء يشبهان إلى حد ما أصوات التنهد، والتأوه، وتنفس الارتياح بعد التعب؛ والحركات الطويلة تشبه صيحات الانفعال، والفاء تشبه الزفرة التي تعبر عن الضجر، أو الغضب، أو الحزن".³

ومن العلماء والباحثين من توسع في دلالة الصوت اللغوي؛ فاستخلص لكل صوت لغوي دلالة ذاتية، تمثل الوحدة الدلالية الصغرى في الكلام؛ متخطية بذلك الكلمة، ومن ذلك ما نص عليه الشيخ عبد الله العلايلي، في قضية التطور اللغوي "أن الهمزة تدل على الجوفية، وما هو وعاء للمعنى، وتدل على الصفة تصوير طبعاً؛ والباء تدل على بلوغ المعنى في شيء، بلوغاً تاماً؛ والتاء على الاضطراب في الطبيعة، والجيم على العظم مطلقاً، والذال على التفرد، والراء على الملكة، وشيوع الوصف، والشين على التفشي بغير نظام؛ والعين على الخلو الباطن، أو الخلو مطلقاً؛ والغين على كمال المعنى في الشيء، والميم على الاجتماع...".⁴

¹ ابن سينا، أبو علي الحسين: رسالة أسباب حدوث الحروف، تحقيق: محمد حسان الطيان، ويحيى مير علم، دمشق، مجمع اللغة العربية، ص 93-97.

² أنيس، إبراهيم: في اللهجات العربية، ط3، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 2003م، ص 88، 89.

³ يونس، علي: نظرة جديدة في موسيقى الشعر العربي، ص 239.

⁴ العلايلي، عبد الله: مقدمة لدرس لغة العرب، وكيف نضع المعجم الجديد، القاهرة، المطبعة العصرية، ص

يلاحظ مما سبق أن للملامح التمييزية التي يتشكل منها الصوت اللغوي أثرًا في تكوين دلالاته الطبيعية الذاتية؛ فالأصوات الانفجارية تدل على الشدة والغلظة، والأصوات الاحتكاكية تدل على التؤدة واللين، والراء تدل على التكرار، والشين تدل على الانتشار بلمح النقشي الذي تحمله، فاللمح التمييزي، يمثل وحدة دلالية أصغر، من الصوت اللغوي في الكلام، ومما يؤيد ذلك، أن الصوت اللغوي نفسه، تشكله الملامح التمييزية، وأن لهذه الملامح قدرة، على تمييز معنى منطوق، من معنى منطوق آخر.

ولكي يكتسب الصوت اللغوي إحياءً تعبيرياً؛ يجب أن يتردد بدرجة، تجعل له وجوداً بارزاً لافتاً في الكلام¹، ويتضح هذا بالأمثلة النقدية الآتية:

يرى الدكتور محمد الضالع أن الشاعر الحاذق يوظف في قوافيه، أو بأبياته، بعض الأصوات التي ترتبط بموضوع القصيدة، وصورتها الفنية، فيعمد إلى صوت يكرره، يصور به اللوحة والحركة المطلوبتين²، ومن ذلك أن الكاف المتكررة، تدل على كركرة الضحك، في قول أبي الطيب المتنبي:

(المقارب)

وكم ذا بمصر من المضحكات ولكنّه ضحك كالْبُكَ³

ومن ذلك أيضاً، اختيار أبي القاسم الشابي، قافية النون الساكنة، المسبوقة بحركة طويلة: ياء أو واو؛ ليدل بها على الأنين المكتوم، ويعبر بها عن الموقف الحزين، في قصيدته (الذكرى) ومنها قوله:

(مجزوء الكامل)

كنّا كزوجي طائر في دوحة الحب الأمين

¹ يونس، علي: نظرة جديدة في موسيقى الشعر العربي، ص 239.

² الضالع، محمد صالح: الأسلوبية الصوتية، القاهرة، دار غريب، 2002م، ص 28.

³ ديوان أبي الطيب المتنبي، 2/275.

نتلو أناشيد المنى بين الخمائل والغصون¹

ويستخدم الشاعر صوت الراء؛ لتصوير طيران العصفور ورواحه، في قصيدته (مناجاة عصفور) ومنها قوله:

(الكامل)

يا أيها الشادي المغرد ها هنا ثلماً بغبطة قلبه المسرور
متنقلاً بين الخمائل، تالياً وحي الربيع الساحر المسحور
غرد، ففي قلبي إليك مودة لكن مودة طائر مأسور²

إن هذا الإيحاء التعبيري الذي يكتسبه الصوت اللغوي، بتكراره في الكلام، كما بينت لنا الأمثلة السابقة، يكتسبه كذلك، بوجوده في تلك الكلمات، التي تتمتع بجرس صوتي يناسب معانيها، ويدعمها بما يحقق من إيحاءاتٍ دلالية.³

ومن ذلك، قول الدكتور تمام حسان، في اللفظ (زقوم: zaq/quum)، في قوله تعالى: (ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ*لَاكُلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زَقُومٍ)⁴ إن هذا اللفظ يوحي بأمرين كريهين: يتمثل الأول في اشتراك المادة (ز، ق، م) والمادة، (س، ق، م)، في كل شيء، إلا اختلاف الزاي والسين، من حيث الجهر والهمس، ومن هنا يوحي (زقوم) بالسقم، ويتمثل الأمر الآخر في توالي القاف، التي يقرب مخرجها من البلعوم، والميم التي يقتضي مخرجها إقفال الشفتين؛ فتوالي هذين الصوتين يوحي أن ثمرة هذه الشجرة، تستعصي على البلع ويطول استعصاؤها بإيحاء تشديد القاف، وطول الواو (الضمة الطويلة) التي بين القاف والميم، ويضاف إلى ذلك مشاركة هذه الكلمة، الكلمة (لقمة) في حرفين من أحرفها؛ مما يعزز فكرة إرادة البلع

¹ الشابي، أبو القاسم: الديوان، قدم له وشرحه أحمد حسن بسج، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1995م، ص 149، 150.

² المرجع السابق: ص 83-85.

³ ينظر: الضالع، محمد صالح: الأسلوبية الصوتية، ص 29-30.

⁴ الواقعة: 51، 52.

مع المشقة، كما يضاف اشتغال اللفظ على الزاي والقاف، وهما الحرفان اللذان في: (زق) الطائر فرخه أي أطعمه بفمه.¹

وللفونيمات غير التركيبية، كالتنغيم والمفصل، أثرها الدلالي الواضح في الكلام، فيعمل التنغيم على إكساب التركيب الذي يقع عليه، دلالة معينة، كالاستفهام، أو، التعجب، أو عدم الرضا، وذلك بناءً على التنغيم الذي يصاحبها، كذلك يكشف التنغيم عن وجهات النظر الشخصية، في عملية الاتصال بين الأفراد، وحالات المتكلم النفسية، كالغضب والسرور، والرضا، والتهمك، ويلعب دوراً في التعرف إلى طبقة الفرد الاجتماعية والثقافية.² وفي بعض اللغات، يلعب التنغيم دوراً مهماً في دلالة الكلام؛ " ففي اللغة الصينية مثلاً، قد يكون للكلمة الواحدة عدة دلالات، لا يفرق بينها، إلا اختلاف النغمة في النطق. " ³

أما قيمة المفصل الدلالية في الكلام فتتمثل في بيانه حدود الكلمات في السلسلة الكلامية؛ بوصفه سكتة خفيفة بينها؛ فيمنع ذلك التباس معانيها، ويظهر ذلك جلياً في بعض الظواهر اللغوية، والمحسنات البديعية، وأحكام الوقف في القرآن الكريم.

ومن أمثلة المحسنات البديعية جناس التركيب، ومنه قول أبي العلاء المعري:

(الطويل)

مطأ، يا مطايا، وجدكن منازل منى زل عنها، ليس عني بمقلع.⁴

فلا بد من سكتة ظاهرة، في بداية هذا البيت، بين الفعل (مطأ)، بمعنى (مدّ)، وحرف النداء (يا)؛ لتتميّز هذه العبارة (مطأ يا)، من الكلمة (مطايا): جمع مطيّة.

¹ ينظر: حسان، تمام: اجتهادات لغوية، ط1، القاهرة، عالم الكتب، 2007م، ص 266.

² بشر، كمال: علم الأصوات، ص 539، 540.

³ أنيس، إبراهيم: دلالة الألفاظ، ط7، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1993م، ص 47.

⁴ المعري، أبو العلاء أحمد بن عبد الله: سقط الزند، شرحه أحمد شمس الدين، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1990م، ص 286.

ومن أبرز أمثلة الوقف في القرآن الكريم، ما يعرف عند علماء التجويد، بالوقف اللازم، والوقف الممنوع، ومن اللازم، قوله تعالى: (إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ)¹؛ فلا بد من سكتة عند الكلمة (يسمعون)، ثم مواصلة القراءة؛ كي لا يظن أن الكلمة (موتى)، معطوفة على (الذين)؛ فيكون الموتى بهذا العطف، في عداد من يسمعون. ومن الوقف الممنوع، قوله تعالى: (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) فعلى القارئ، أن يتجنب السكوت، عند الكلمة (أيمانهم)؛ أي عليه أن يواصل القراءة دون توقف؛ لأن الجملة (لا يبعث الله من يموت)، قول من أنكر البعث، أما إذا سكت القارئ عند (أيمانهم)، فقد يظن أن الله تعالى لا يبعث من يموت؛ لأن من شأن هذا السكوت، أو المفصل، أن يعطي ما بعده معنى، مستقلاً عما قبله.

إن في العناصر الصوتية المتمثلة في: الفونيمات التركيبية، والفونيمات غير التركيبية، والمقاطع الصوتية، طاقة تعبيرية ذاتية، من شأنها أن تدعم مضمون النص، إذا ما أحسن الكاتب استغلالها، وذلك بالاختيار والتنظيم المناسبين.

بعد الوقوف في هذا الفصل على أثر العوامل الصوتية المؤثرة في النص، تبين للباحثة أنه لا يجب على الكاتب أن يتجنب سلبيات العوامل، كصعوبة النطق، وقلة الوضوح السمعي، فصفاة السلاسة والخفة مثلاً، "ليست مطلوبة دائماً وفي كل الأحوال، كما قد يفهم من آراء بعضهم، فقد نترك اللفظ السهل في بعض الأحيان، ونختار مرادفاً صعباً له، سواء أكان ذلك في الشعر أو في النثر، فقد نستعمل (حزن) ونترك (أسى)؛ ونستعمل بغيض ونترك كريحه، ونقول (عشق) بدلاً من (حب)، و (ملطخ) بدلاً من (ملوث)، و (غضنفر) بدلاً من (أسد)، بل قد نعمل في العامية، إلى اللفظ السهل، فنضيف إليه ما يجعله أثقل نطقاً، فنقول (شقلب) بدلاً من (قلب)، إننا نميل إلى الأصعب، إن كان أنسب، ويكون أنسب، عندما يكون أقوى تعبيراً.² لكن على الكاتب، إن ابتغى نصاً متميزاً، أن يعرف كيف يستغل هذه العوامل، وذلك بوضعها في الموضع المناسب من النص، مراعيًا تناسبها وتكاملها، فتخدم بذلك نصه على أتم وجه.

¹ الأنعام: الآية 36.

² يونس، علي: نظرة جديدة في موسيقى الشعر العربي، ص 237.

الفصل الثالث

الدلالة الصوتية في سورتي الحشر والملك

الفصل الثالث

الدلالة الصوتية في سورتي الحشر والملك

اتخذت الدراسات الصوتية، عند العرب، القرآن الكريم أساساً لدراساتها اللغوية، وآياته ميداناً لاستلهاهم نتائجها، ابتداء من التنوع في القراءات القرآنية، وتعددتها، وانتهاء بفكرة الإعجاز اللغوي التي تراعت في وصف سور القرآن الكريم وآياته، وأدى هذا الاهتمام إلى تحليل النص القرآني، وربطه بالظروف التي أنزل فيها، والأقوام الذين نزلت بحقهم، وقد جاءت هذه الدراسة معتمدة على مساحة النص القرآني، للبحث عن إمكانية وجود فوارق صوتية في التراكيب اللغوية، في الآيات المكية والمدنية.

ستقوم الباحثة بتحليل آيات سورتي الحشر والملك تحليلًا وصفيًا؛ بغية الوصول إلى جميع أجزاء البنية الصوتية، والكشف عن النسيج الصوتي الذي تتألف منه الآيات، والوقوف على جماليات توظيف الوحدات الصوتية فيهما وأثرها وتأثيرها في معنى النص، والموازنة بين السور المكية والمدنية، ثم دراسة الفاصلة القرآنية وجمالياتها.

أولاً: الصوامت وملامحها التمييزية ودلالاتها في سورة الحشر

قسمت الباحثة آيات سورة الحشر إلى موضوعات وأفكار جزئية تتمحور حول الفكرة العامة للسورة، وقد استندت إلى عدة كتب في تفسير القرآن الكريم، وأهمها: في ظلال القرآن لسيد قطب، وصفوة التفاسير للصابوني، وغيرهما.

وتمثلت سورة الحشر المدنية في سبعة أفكار، ورد ذكرها سابقاً¹.

وبعد أن قسمت الباحثة السورة إلى أفكارها الجزئية، قامت بتحليلها تحليلًا صوتيًا، بواسطة إحصاء عدد الصوامت، والحركات القصيرة والطويلة التي كونت بمجموعها الأساس للنص القرآني في هذه السورة الكريمة، حيث قامت الباحثة بإحصاء تكرار الصوت المنطوق، وليس الحرف المكتوب، وقد بلغ عدد المكونات الصوتية بمكوناتها، الصامت والحركي (2584) وحدة صوتية.

¹ ينظر: ص 16 من هذا البحث.

الرقم	الصوت	عدده في آيات السورة	النسبة
1	الهمزة	88	6.4%
2	الباء	49	3.6%
3	التاء	51	3.7%
4	الثاء	2	0.1%
5	الجيم	18	1.3%
6	الحاء	22	1.6%
7	الخاء	22	1.6%
8	الدال	17	1.2%
9	الذال	12	0.8%
10	الراء	61	4.4%
11	الزاي	10	0.6%
12	السين	34	2.5%
13	الشين	16	%1.1
14	الصاد	17	%1.2
15	الضاد	5	%0.3
16	الطاء	2	%0.1
17	الظاء	4	%0.2
18	العين	19	%1.3
19	الغين	4	%1.3
20	الفاء	31	%2.2
21	القاف	36	%2.6
22	الكاف	33	%2.4
23	اللام	248	%18.2
24	الميم	114	%8.3
25	النون	123	%9
26	الهاء	89	%6.5
27	الواو	113	%8.3
28	الياء	96	%7

ترتيب الأصوات الصامتة تنازلياً في سورة الحشر
اللام
النون
الواو
الميم
الياء
الهاء
الهمزة
الراء
التاء
الباء
القاف
السين
الكاف
الفاء
الحاء
الخاء
العين
الجيم
الصاد
الذال
الشين
الذال
الزاي
الضاد
الغين
الظاء
الطاء
الثاء

وستنتقل الباحثة إلى دراسة الملامح التمييزية التي وسمت الأصوات العربية الواردة في آيات السورة، ثم ستحدث عن كثرة الصفات، وقلّتها، ودلالاتها على النص القرآني، أي الحديث عن التزاوج بين الدور الصوتي والايحاءات الدلالية في النص.

من أهم الملامح التمييزية التي ستتناولها الباحثة في هذا الفصل تلك التي ذُكرت في الفصل الأول، وستكون مرتّبة على النحو الآتي:

أ- الجهر والهمس.

ب- الانفجار والاحتكاك.

ت- التخميم والترقيق.

ث- التركيب.

ج- الصغير.

ح- أنصاف الحركات.

أ - الجهر والهمس

يعرف الصوت المجهور بأنه " الصوت الذي يهتز معه الوتران الصوتيان"¹ وينتج عن ذلك نغمة صوتية واضحة. أما الصوت المهموس فهو: " الصوت الذي لا يهتز معه الوتران الصوتيان".²

وستعرض الباحثة جدولاً خاصاً بملمحي الجهر والهمس، الخاص بكل فكرة من الأفكار التي تم ذكرها:

¹ أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، ط 5، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1979م، ص 20.

² المرجع السابق، ص 22.

رقم الفكرة	الآية	الأصوات المهموسة		الأصوات المجهورة		لا مجهور ولا مهموس	
		النسبة	المجموع	النسبة	المجموع	النسبة	المجموع
1	الآية (1-5)	28.9%	77	65%	173	6%	16
2	الآية (6-7)	31.4%	56	63.4%	113	5%	9
3	الآية (8-9)	30.8%	42	63.2%	86	5.8%	8
4	الآية (10)	12.6%	9	77.4%	55	9.8%	7
5	الآية (11-17)	26.5%	89	64.4%	216	8.9%	30
6	الآية (18-20)	34.4%	43	57.6%	72	8%	10
7	الآية (21-24)	30.7%	60	65.1%	127	4.1%	8

قبل الحديث عن ملمحي الجهر والهمس، توّد الباحثة أن تشير إلى أنها ستدرس، في البداية، هذين الملمحين في الأفكار السبعة¹ بشكل عام، وستقوم بتتبع أعلى نسبة، وأقل نسبة لكلا الملمحين، وتبين السبب في ذلك، مع ربطها بأفكار السورة، بعد ذلك ستقوم الباحثة بتتبع أكثر الأصوات المجهورة والمهموسة ورودًا في كل السورة، وترتيبها ترتيبًا تنازليًا، ثم ستدرسها في كل فكرة من أفكار السورة، وترتب الأصوات المجهورة والمهموسة، بحسب ورودها في هذه الأفكار، من حيث أكثر الأصوات، وأقلها ورودًا، وتبين سبب شيوع بعض الأصوات، أو قلّة شيوعها في هذين الملمحين، ثم ستدرس نسب صوت الهمزة، وتبين سبب وروده بكثرة في بعض الأفكار، وقلته في أفكار أخرى.

عند النظر في الجدول السابق لاحظت الباحثة أن الأصوات المجهورة التي وردت في سورة الحشر، بأفكارها السبعة غالبية على النسبة المئوية لورود الأصوات المهموسة، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أنّ السورة، بمجملها، تحدثت عن حادثة بني النضير، وعن غدرهم للرسول — صلى الله عليه وسلم — ونقض العهد الذي كان بينهم، حتى أنها سميت بسورة بني النضير، وجاءت مع دعوة المؤمنين للتقوى والخشوع والتفكير في تدبير الله الحكيم.

وهذه الأفكار، فيما ترى الباحثة، تحتاج إلى أصوات تكون منسجمة مع طبيعتها، أصوات فيها قوة وصلابة وشدة، وفيها وضوح سمعي عالٍ، وقدرة في التأثير على نفس المتلقي،

¹ ينظر: ص 50-51 من هذا البحث

وهذه الصفات يتسم بها ملمح الجهر الذي يتسم بالقوة، والوضوح في السمع، بسبب اهتزاز الوترين الصوتيين، وذلك مقابل ملمح الهمس الذي يتسم بالليونة والضعف، بسبب الخفوت المصاحب لنطق الصوت، وعدم اهتزاز الوترين الصوتيين.

ويعود سبب غلبة الأصوات المجهورة التي وظفت في آيات سورة الحشر، إلى أن عدد الأصوات المجهورة خمسة عشر صوتاً، في حين إن عدد الأصوات المهموسة اثنا عشر صوتاً، واللغة العربية تميل إلى استعمال الصوامت المجهورة التي تتسم بالقوة، والوضوح السمعي من نظائرها المهموسة، وأقل إجهاداً للتنفس منها في أثناء النطق بها.¹

فطبيعة الموضوع العام الحديث عن حرب المسلمين مع يهود بني النضير، والتي انتهت بإخراج اليهود من المدينة وتطهيرها، فالموضوع يحتاج إلى أصوات تناسبه، وتتوافق معه، والصوامت المجهورة هي الأكثر قرباً لطبيعة هذا الموضوع، فحين نتحدث الآيات عن اليهود والمنافقين والمكذابين، وعن حرب المسلمين معهم، فلا بد أن تستخدم معهم أصواتاً تتميز بالقوة، والشدة، والوضوح السمعي؛ ليكون لها الأثر الواضح في النفوس والحجة والدليل على يهود بني النضير.

وعند النظر إلى الجدول نلاحظ أن أعلى نسبة للأصوات المجهورة كانت في الفكرة الرابعة التي نتحدث عن دعاء المؤمن لأخيه المؤمن والتابعين مع الصحابة، وبلغت نسبتها (77.4%)، في حين بلغت نسبة ملمح الهمس فيها، (12.6%) وهي أقل نسبة في السورة كلها، ولم تكن نسبة ملمح الجهر فيها عالية، دون سبب، فالمتتبع للفكرة يرى أنه لا بد أن تكون نسبة هذا النوع من الأصوات مرتفعة؛ لأن طبيعة الفكرة تتطلب ذلك فالفكرة تركز على دعاء المؤمن لأخيه المؤمن، وتتجلى في هذه الآية طبيعة الأمة المسلمة، والصلة الوثيقة التي تربط أول هذه الأمة بآخرها، وآخرها بأولها، في تضامن وتكافل وتواد وتعاطف، فيذكر المؤمن أخاه المؤمن، بعد القرون المتطاولة ويدعو له، فكان لهذه الفكرة النسبة العالية من الأصوات المجهورة لتؤدي المعنى المراد.

¹ ينظر: إبراهيم، أنيس: الأصوات اللغوية، ص 125.

وتلت الفكرة السابقة، الفكرة السابعة، التي تبين عظمة الله تعالى وصفاته العلى، ووحداية العبادة، وابتدأت بتسبيح الله سبحانه وتعالى، وبلغت نسبة ملمح الجهر فيها (65.1%) وملمح الهمس (30.7%)، يلي ذلك الفكرة الأولى التي تحدثت عن مصير اليهود (بني النضير) في المدينة عموماً، وإخراجهم من ديارهم وحصونهم بسبب نقضهم للعهد، وبلغت نسبة ملمح الجهر فيها (65%)، وملمح الهمس (28.9%)، ثم جاءت بعد ذلك الفكرة الخامسة التي بينت صفة المنافقين، وكشفت علاقتهم مع اليهود ضد المسلمين، وبيّنت جُبْن اليهود وضعفهم، وبلغت نسبة ملمح الجهر فيها (64.4%)، وملمح الهمس (26.5%)، ثم الفكرة الثانية التي تحدثت عن الغنيمة وأحكامها، وأن الرحمة أساس التعامل في الإسلام، ولا اعتبار لقضية الطبقات في المجتمع الإسلامي، وبلغت نسبة ملمح الجهر فيها (63.4%)، وملمح الهمس (31.4%)، ثم تلت ذلك الفكرة الثالثة التي تحدثت عن مجتمع الصحابة في المدينة، المهاجرين والأنصار، وعن فضائلهم، وبلغت نسبة ملمح الجهر (63.2%) وملمح الهمس (30.8%)، والفكرة السادسة التي اشتملت على وصية ربانية للمؤمنين، وأن التقوى أساس حياة المؤمن، وبيّنت الفرق بين أهل الجنة وأهل النار، وبلغت نسبة ملمح الجهر فيها (57.6%) وملمح الهمس (34.4%).

نلاحظ مما سبق أن معظم الأفكار التي تحدثت عنها، تطلبت ملمحاً مثل الجهر؛ لأن طبيعة الأفكار التي تناولتها الآيات، كانت تتطلب أصواتاً تتسم بملمح القوة، والوضوح السمعي والظهور في النطق، لتتناسب وطبيعة الأفكار، فجاءت نسبة ملمح الجهر عالية وقريبة من بعضها بعضاً؛ لتتوافق وطبيعة هذه الأفكار.

وعند النظر إلى ملمح الهمس في الأفكار السبعة يتبين أن الفكرة السادسة -وهي التي تحدثت عن وصية ربانية للمؤمنين بتقوى الله، وأن التقوى دستور في حياة المؤمن، ثم تحدثت عن الفرق بين أهل الجنة وأهل النار- هذه الفكرة احتوت على أعلى نسبة في ملمح الهمس، وبلغت (34.4%)، ولم يكن ذلك دون سبب، فطبيعة الفكرة التي تتحدث عنها الآيات تحتاج إلى ملمح فيه ليونة وسهولة، وخفاء في النطق؛ وهذه الصفة تتناسب ملمح الهمس الذي يتسم بالخفة والسهولة، والقوة والمتانة، في آن واحد.

فالأيات تخاطب المؤمنين وتطلب منهم أن يتقوا الله، وهي حالة تجعل القلب يقظاً حساساً شاعراً بالله، في كل حالة، فيستحي أن يطلع عليه الله في حالة يكرهها، فطبيعة الفكرة تحتاج إلى صوت فيه خفاء وسهولة، وتحذرهم الآية التالية أن يكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم، ثم تفرق بين أصحاب الجنة وأصحاب النار، وهذه الأفكار احتاجت إلى ملمح الهمس.

ومن الأفكار التي احتوت على نسبة عالية من ملمح الهمس الفكرة الثانية التي تحدثت عن الغنيمة وأحكامها، وأن الفقراء لهم اعتبار في المجتمع المسلم، وعدم التفرقة بينهم وبين غيرهم، وبلغت نسبة ملمح الهمس فيها (31.4%)، وتليها الفكرة الثالثة التي تحدثت عن مجتمع الصحابة، وتوادمهم وتراحيمهم فيما بينهم، وتحدثت عن فضائل المهاجرين والأنصار، وبلغت نسبة ملمح الهمس فيها، (30.8%)، وكذلك الفكرة السابعة التي بينت عظمة الله تعالى وصفاته العلى، وتنزيهه الله تعالى عن كل نقص، وبلغت نسبة ملمح الهمس فيها (30.7%).

نلاحظ أن النسب في الأفكار السابقة كانت متفاوتة، ولكنها متقاربة من بعضها بعضاً، وتدور أفكارها حول أمور تحتاج إلى نسبة أعلى من ملمح الهمس مما في باقي أفكار السورة، بسبب طبيعة ما تحتويه كل فكرة، والتي تحتاج إلى صوت فيه ضعف، وليونة، وخفاء في النطق؛ يحدث انسجاماً مع طبيعة الفكرة.

واحتوت الفكرة الرابعة على أدنى نسبة من الأصوات المهموسة، وبلغت (12.6%) وهذه الفكرة تحدثت عن دعاء المؤمن لأخيه المؤمن، وطبيعة الفكرة تحتاج إلى ملمح فيه ليونة.

والخلاصة مما سبق، أن الأفكار الموجودة في سورة الحشر، احتوت على ملمح الجهر والهمس، ولكن بنسب متفاوتة بينهما؛ وذلك لأن ملمح الجهر عضد في الأفكار ظلال القوة والصلابة، ويتناسب بصفة شدة وضوحه السمعي مع الفكرة الأساسية في السورة، وهي الحديث عن حرب المسلمين مع يهود بني النضير، والأفكار الجزئية التي تحدثت الباحثة عنها، فالآيات مدنية نزلت في حادثة بني النضير، تصف كيف وقعت؟ ولماذا وقعت؟ وما كان في أعقابها من تنظيمات في الجماعة الإسلامية، في حين يعد ملمح الهمس من الملامح التي تتسم بالخفة

والسهولة والليونة، والمرونة والقوة والمتانة، في آن واحد، وهذه السمات تتناسب، وطبيعة الأفكار، فالتناسب بين الملمحين ضروري، ليتحقق الانسجام بين أصوات الصورة وأفكارها.

أما بالنسبة لصوت الهمزة فعند النطق به، "تقفل الفتحة التي بين الوترين الصوتيين، وهي فتحة المزمار، إقفالاً تاماً، مما يؤدي إلى احتباس الهواء الصادر من الرئتين، عبر القصبة الهوائية، فيما دون الحنجرة، ثم ينفرج الوتران الصوتيان، فيخرج الهواء فجأة عبر المزمار، محدثاً صوتاً انفجارياً، لا هو بالمهموس، ولا بالمجهور".¹

وتعدُّ "الهمزة في اللغة العربية من أشقَّ الحروف وأعسرها، حين النطق؛ لأن مخرجها فتحة المزمار، ويحس المرء حين ينطق بها، كأنه يختنق".² فهذا الصامت متميز بالوضوح بإثارة سمعية، يستوجب تنشيطاً ذهنياً وتيقظاً فكرياً، تتطلبه الفكرة الرئيسة التي تحملها السورة، وهي الحديث عن حادثة بني النضير، فموضوع مثل هذا يحتاج إلى أصوات يكون لها الأثر الواضح في نفس المتلقي، فصوت الهمزة في الطبيعة يتميز بالظهور والبروز والنتوء³، أكثر من غيره من الأصوات، وهو صوت يحمل معنى القوة، وهذه الأمور تلائم الجو العام للسورة.

وعند النظر إلى الأفكار الموجودة، يتبين أن نسبة صوت الهمزة كانت متفاوتة بين (9.8% و 4.1%) وكانت أعلى نسبة لصوت الهمزة في الفكرة الرابعة، التي تحدثت عن دعاء المؤمن لأخيه المؤمن، وبلغت نسبة صوت الهمزة فيها (9.8%)، ومن الأفكار التي كانت قريبة منها الفكرة الخامسة التي تحدثت عن صفات المنافقين، وكشف كذبهم، وبلغت نسبة صوت الهمزة في هذه الفكرة (8.9%)، ثم تليها الفكرة السادسة التي بينت أن التقوى أساس حياة المؤمن، وأظهرت الفرق بين أهل الجنة وأهل النار، وبلغت نسبة الصوت (8%)، وتليها الفكرة الأولى التي تحدثت عن حادثة بني النضير، وإخراجهم من ديارهم وحصونهم، وبلغت نسبة الصوت (6%)، ثم تليها الفكرة الثالثة التي تحدثت عن مجتمع الصحابة في المدينة، وبلغت نسبة

¹ النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربية، ص 156.

² أنيس، إبراهيم: موسيقى الشعر، ص 26.

³ ينظر: عباس، حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1998م، ص 95-96.

الصوت (5.8%) ثم تليها الفكرة الثانية التي تحدثت عن الغنيمة وأحكامها، وأخيرًا الفكرة السابعة التي احتوت على أقل نسبة لصوت الهزمة في الآيات، وبلغت نسبة الصوت فيها (4.1%) وطبيعة هذه الفكرة لا تحتاج إلى صوت يحمل ملامح الهزمة، لأنها تحدثت عن صفات الله تعالى، وتنزيهه الله عن كل نقص.

وبعد دراسة ملمح الجهر والهمس في أفكار السورة، بشكل عام، ستأخذ الباحثة في دراسة ملمح الجهر والهمس على مستوى الأصوات التي ظهرت بأعلى نسبة، في كل سورة، وترتيبها ترتيبًا تنازليًا، من الأعلى ورويًا إلى الأقل ورويًا، في الملمحين كليهما، ويبين سبب ذلك.

فلو أرادت الباحثة ترتيب أصوات ملمح الجهر والهمس الواردة في السورة كلها، لوجدتها كالآتي:

ترتيب المجهور تنازليًا	(ل، ن، م، و، ي، ر، ب، ع، ج، د، ذ، ز، ض، ظ، غ).
ترتيب المهموس تنازليًا	(هـ، ت، ق، س، ك، ف، ح، خ، ص، ش، ط، ث).

يتبين مما سبق أن أكثر الصوامت المجهورة في سورة الحشر وأفكارها هي: (اللام) و (النون) و (الميم) وهذه الصوامت المجهورة جميعها، تجمعها صفة القوة والوضوح السمعي، وجاءت هذه الصوامت مناسبة لطبيعة الموضوع العام، الذي تحدثت عنه سورة الحشر، ولو أعدنا النظر إلى الجدول لوجدنا أن صوت (اللام) جاء حاملًا أعلى نسبة من الأصوات المجهورة، يليه صوت (النون) ثم صوت (الميم).

وجاء صوت اللام في مقدمة الأصوات المجهورة بنسبة (18.2%)، لتمييزه بصفات ثلاث سورة الحشر، وأفكارها، فصوت اللام يمتاز بالليونة والوضوح السمعي¹، وهو صوت جانبي ذو ذبذبة لطيفة، ويحمل هذا الصوت الدلالة على القوة، ويوحى بالثبات والتماسك، بسبب تحفز أعضاء النطق في إنتاجه، حيث يخرج من " حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان وما

¹ ينظر: عباس، حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 41.

بينهما، وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فوق الضاحك والناب والرابعة والثنية.¹ وينحرف اللسان إلى الجانب الأيمن من الفم، ويتصل طرفه، بأصول الثنايا العليا، وبذلك يحال بين الهواء، ومروره من وسط الفم؛ فيتسرب من جانبه.² وقد وصفه حسن عباس بأنه يوحى " بمزيج من الليونة والمرونة والتماسك والالتصاق"³ وفي التماسك والالتصاق قوة.

ويمكن تطبيق الصفات التي ذكرتها الباحثة على الفكرة السابعة التي احتلت النسبة الأكبر لتكرار الصوت، مقارنة بغيره من الآيات الأخرى، حيث بلغت نسبة التكرار (22.7%)، وكانت تهدف إلى تحريك النفوس والقلوب الإنسانية بقوله تعالى: (لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)⁴ فالآية الكريمة تبين عظمة كلام الله، وتأثيره في النفوس، فلو نزل على جبل لتصدّع من خشية الله، فهذه الفكرة تتناسب مع الليونة في صوت اللام، فلذلك شكّل صوت اللام ذو الوضوح السمعي أثرا بارزا في إيصال المعنى وإيضاحه. ثم استعرضت الآيات صفات الله تعالى وعظمته، بقوله تعالى: (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ).⁵ فصفاة الوضوح السمعي والليونة الموجودة في صوت اللام أدت المعنى المراد، وكانت ملائمة لطبيعة الفكرة. وقد بلغت نسبة تكرار صوت اللام في الفكرة الرابعة (20.9%) التي تحدثت عن دعاء المؤمن لأخيه المؤمن، وجاءت تتناسب مع صفة الانحراف في اللام، وبلغت نسبة تكرار اللام في الفكرة الثانية والأولى (15.8%) وفي الفكرة الثالثة (15.7%) وفي الفكرة الخامسة (9.3%)، فأفكار الصورة تحتاج إلى صوت يحمل في صفاته الدلالة الموجودة في صوت اللام؛ ليكون له الأثر البالغ في إيصال المعنى المراد.

ويلى صوت اللام صوت النون الذي تكرر بنسبة (9%) في آيات السورة، فصوت النون ينتج " عندما يلتقي طرف اللسان بالثة خلف الثنايا العليا، فتحدث عقبة على نحو ما يحدث

¹ سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان: كتاب سيبويه، 4/573.

² أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، ص 64.

³ عباس، حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 41.

⁴ الحشر: الآية 21.

⁵ الحشر: الآية 22.

في الصوامت الانفجارية، ولكن تيار الهواء المنتج لهذا الصوت، يمضي بعد خفض الحنك اللين، وهو التطبيق، إلى التجويف الأنفي، محدثاً صوتاً أطلق عليه القدماء من لغوي العرب الغنة¹، ويتسم صوت النون بوضوحه السمعي العالي² والحامل قيمة الاستقرار والتمكين والصميمة، ويعد صوت النون الرنان من أكثر الأصوات التي تعبر عن مشاعر الألم والخشوع³، ويتصف -كما ورد ذكره سابقاً- بخاصية الغنة التي تجعله بارزاً ليناً، مرناً في حالة النطق، فصوت النون صوت أنفي مائع، واضح في السمع، وهذه الصفات التي ذكرت، جعلت صوت النون يتميز بكونه ثاني أكثر الأصوات المجهورة ذكراً في سورة الحشر، وأفكارها، فلو نظرت للفكرة الخامسة التي حملت أعلى نسبة لتكرار صوت النون، حيث بلغت نسبة تكرار الصوت (31.7%)، وتحدثت عن صفات المنافقين وجبنهم، وكشفت علاقتهم مع اليهود ضد المسلمين، لوجدت أن الفكرة تتناسب مع سمة الوضوح السمعي الموجودة في صوت النون، لتصل بسرعة لسامعها، وتكون حجة ضد المنافقين عند الإنكار، والفكرة الثالثة التي تحدثت عن مجتمع الصحابة، وعن فضائل المهاجرين والأنصار، استدعت استخدام صوت النون الذي يحمل هنا معنى الهدوء والاستقرار والوضوح السمعي، والفكرة الأولى التي تحدثت عن حادث بني النضير، وعن مصير اليهود في المدينة، استدعت وجود صوت النون الذي حمل في طياته صفة الوضوح السمعي لإيصال المعنى المراد وجعله حجة على اليهود في حال إنكارهم، وكون صوت النون صوتاً هيجانياً ينبعث من الصميم، للتعبير عن الألم والخوف، وهذه السمات كلها توافقت مع شعور وحالة يهود بني النضير، أما الفكرة السابعة التي بينت عظمة الله تعالى وصفاته، وخشوع الجمادات، عند سماع كلام الله تعالى، اقتضت وجود صوت النون الذي يحمل معنى الخشوع والاستقرار، ومعنى الصميمة، وعند ذكر أسماء وصفات الله الحسنى، تحولت دلالة صوت النون لمعنى الهدوء والاستقرار والرقّة والأناقة⁴، وخلاصة القول أن صوت النون

¹ ينظر: النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربية، ص 164.

² ينظر: المرجع نفسه.

³ عباس، حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 160.

⁴ ينظر: المرجع السابق، ص 160-161.

كان من أكثر الأصوات المجهورة ذكراً، بسبب طبيعة أفكار السورة التي تحتاج إلى صوت مثل هذا الصوت ؛ ليتحقق الانسجام بين الصوت والمعنى ؛ وليدل ذلك على إعجاز القرآن وعظمته.

ومن أكثر الأصوات المجهورة ذكراً صوت الميم، ونسبته (8.3%) ولتكرار صوت (الميم) دلالات تلائم الأفكار الموجودة في الآيات، فما يحدث عند إنتاجه من انطباق تام للشفتين، وتذبذب الوترين، وخروج الهواء من الأنف، بسبب انخفاض سقف الحنك اللين (الحنك الأقصى) إلى أسفل¹ كلها ملامح تجعل الصوت يحمل دلالة الليونة، والمرونة، والتماسك،² ويبعث جواً من الهدوء والوقار، عند التفكير بالآيات، فصوت الميم ينسجم مع الدلالة الموضوعية للأفكار، فحملت الفكرة الخامسة أعلى نسبة لتكرار حرف الميم، حيث كانت نسبة تكرار الحرف (27.7%)، وهذا يتلاءم وطبيعة فكرة الآيات، وهي التي تحدثت عن صفات المنافقين، وكشفت كذبهم، وجبنهم، ولإيضاح الفكرة للسامع كان لا بد من استخدام صوت الميم الذي يتسم بالاستمرارية، والوضوح السمعي.

ففي الفكرة الثالثة التي تحدثت عن مجتمع الصحابة وتوادمهم وتراحيمهم، وعن فضائل المهاجرين والأنصار كان لا بد من استخدام صوت الميم، الذي يتسم بالليونة والمرونة، ويحمل معنى الهدوء والوقار، وهذا يتناسب مع طبيعة الفكرة. ومن الصفات التي يحملها هذا الصوت، الغنة، وكذلك "يعد صوت الميم من الصوامت الاستمرارية، وهي الأصوات التي يمكن للمتكلم إطالتها"³، كما يعد من أوضح الصوامت في السمع، وكل هذه الصفات التي تميز هذا الصوت جعلته يحتل المرتبة الثالثة في أكثر الأصوات المجهورة تكراراً في أفكار السورة.

فالصفات التي تميزت بها الأصوات التي تحدثت عنها الباحثة، جعلتها تحتل المراتب الأولى في الأصوات المجهورة؛ لكي تصبح مناسبة لطبيعة الموضوع العام للسورة، وهو الحديث عن حادث بني النضير، وهذا يحتاج إلى أصوات قوية، ذات وضوح سمعي عالٍ، ليكون لها الأثر الواضح في نفس المتلقي.

¹ النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربية، ص 164.

² ينظر: عباس، حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 72.

³ عمر، أحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي، ص 126.

وأقل الصوامت المجهورة ورودا في هذه السورة، هي: (ض، ظ، غ)، مع أن هذه الصوامت تتميز بصفات تميزها عن غيرها من الأصوات، إلا أن هذه الصفات لا تتناسب وطبيعة السورة، وأفكارها، فصوتا الضاد و الظاء يُعدّان من الأصوات التي تتسم بصعوبة نطقها، و (يتصفان بالصلابة، والشدّة، والضخامة)¹ أما صوت الغين، (فيوحي بالغموض والخفاء)² وهذه الصفات لا تتناسب مع موضوع السورة الذي يهدف إلى جذب الانتباه، والإقناع، أكثر من الزجر والترهيب للسامع، فكانت الأصوات الأكثر ورودا، والأقل ورودا في مكانها، وهذا من ملامح إعجاز القرآن الكريم.

أما بالنسبة للصوامت المهموسة، التي تتسم بالحسّ الخفي والسهولة التي يجري معها النفس³، فقد كان صوت (الهاء، والتاء، والقاف) من أكثر الأصوات التي تحمل ملمح الهمس في السورة، أما صوت (الشين، والطاء، والثاء)، فقد كانت من أقل الصوامت المهموسة ورودا في سورة الحشر وأفكارها، ولعل سبب ظهور هذه الأصوات بنسبة أعلى من غيرها في ملمح الهمس، مردّه إلى صفات هذه الأصوات، فطبيعة الفكرة تستدعي صفة الصوت الظاهر في ذلك الملمح.

فصوت الهاء " صوت حنجري مهموس، يتخذ الفم الوضع الصالح لنطق حركة كالفتحة، مثلا، عند النطق به، ويمر الهواء خلال الانفراج الواسع الناتج عن تباعد الوترين الصوتيين في الحنجرة⁴، محدثا صوتا ضعيفا ؛ لكونه احتكاكيا خفيا "⁵ وهذا الصوت " يدل على الاضطراب، والانفعال النفسي، ويدل على خفوت في الصوت،⁶ ويدل على الضعف والرقّة،⁷ وهذه الدلالات تتناسب ومفهوم الهمس، الذي يدل على الخفة والسهولة، فقد جاء هذا الصامت متناسبا مع

¹ ينظر: عباس، حسن: **خصائص الحروف العربية**، ص 120-123.

² المرجع السابق، ص 126.

³ ينظر: القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب: **الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة**، ص 116.

⁴ النوري، محمد جواد: **فصول في علم الأصوات**، ص 242.

⁵ ينظر: ابن جني، أبو الفتح بن عثمان، **سر صناعة الإعراب**، ج1، ص 70.

⁶ ينظر: عباس، حسن: **خصائص الحروف العربية ومعانيها**، ص 40.

⁷ ينظر: المرجع السابق، ص 55-59.

موضوع السورة، وأفكارها، وكان يدل على الانفعال والاضطراب النفسي لليهود والمنافقين، أما عند سياق الحديث عن المؤمنين ودعاء المؤمن لأخيه المؤمن، والوصايا الربانية، كان يحمل معنى الرقة والهدوء، فنلاحظ أن دلالات هذه الصوامت جاءت منسجمة ومعاني السورة، فهذا الصوت من الأصوات التي تصدر عن الإنسان بسبب الإرهاق والتعب، أو حالة نفسية دون قصد منه، ولو تتبعنا الأفكار الموجودة في سورة الحشر، لوجدت معظمها، تتحدث عن حادث بني النضير وعن المنافقين، وبيان لعظمة الله تعالى.

ويلي صوت الهاء في ترتيب الأصوات المهموسة صوت التاء، "وينتج هذا الصوت بالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا، ومقدم اللثة، وانحباس الهواء مدة من الزمن خلف طرف اللسان، ثم انفصاله فجأة تاركا نقطة الالتقاء"¹، ويدل صوت التاء أيضا على معان لها علاقة "بالليونة، والضعف، والرقة"² ويعد صوت التاء صوتا أجدا، يطول معه التقاء طرف اللسان، وأصول الثنايا العليا، وبالتالي يمكن أن نستوحي من صفاته هذه، معاني المشقة، والعذاب، ولو نظرنا إلى الفكرة الأولى التي تحدثت عن حرب المسلمين مع يهود بني النضير، فعند الحرب بدأت نفسية اليهود، تضطرب، وعانوا من المشقة والعذاب، فصوت التاء حمل دلالات أدت المعنى المراد.

أما بالنسبة لصوت (القاف) فهو صوت ينتج "بوساطة التقاء أقصى اللسان مع أدنى الحلق واللهاة، مما يؤدي إلى احتباس تيار الهواء خلف منطقة الالتقاء، ثم تتفصل هذه الأعضاء، فيندفع الهواء محدثاً صوتاً انفجارياً، لا يتذبذب أثناء النطق به، الوتران الصوتيان."³ ومن معاني صوت القاف، "القساوة، والصلابة، والشدة"⁴ ولو نظرت للفكرة الخامسة التي تحدثت عن المنافقين وبيان لصفاتهم، وكشف كذبهم، فالفكرة هذه استدعت وجود صوت القاف؛ لأنها تحتاج إلى شدة وصلابة لإيصال المعنى المراد.

¹ أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، ص 61.

² ينظر: عباس، حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 55-59.

³ النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربية، ص 163.

⁴ عباس، حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 144.

في حين أن أصوات (الشين، والطاء، والثاء) كانت تحمل أقل نسبة لملمح الهمس في أفكار السورة كلها، ولو تتبعنا صفات هذه الأصوات ؛ لوجدت أنها لا تتناسب وطبيعة أفكار السورة، فصوت الشين يوحى " بالبعثرة والجفاف والانتشار"¹ ولا يتناسب وطبيعة أفكار السورة، وصوت الطاء " من الأصوات الصعبة في النطق، " ويدل على القوة والصلابة والضخامة"² وصوت الثاء قليل الوجود في الجذور العربية، وذلك عائد إلى أن النطق بهذا الصوت يتطلب جهداً عضلياً يتمثل في إخراج طرف اللسان، ووضعه بين أطراف الثنايا العليا والسفلى للأسنان"³ ولا شك أن ذلك جهد عضلي، تخلصت منه لغة الكلام، وهذا الجهد لا يتناسب مع طبيعة السورة وأفكارها.

ب. الانفجار والاحتكاك

الأصوات الانفجارية " هي الأصوات التي تتكوّن من اجتماع أمرين: حبس النفس الخارج من الرئتين في مخرج من مخارج الأصوات، ثم إطلاق النفس المضغوط، بانفصال العضويين انفصالاً سريعاً، فيندفع الهواء محدثاً صوتاً انفجارياً أو ما يشبه الانفجار"⁴ وتسمى الأصوات الانفجارية " أصواتاً وقفية، وعند النطق بها يستمر الالتقاء والالتحام، مدة من الزمن قد تطول أو تقصر، بحسب الصوت المراد إصداره، في الوقت الذي يكون فيه الهواء، في حالة تراكم وضغط خلف نقطة الالتقاء."⁵ والصوامت الانفجارية في اللغة العربية هي: الهمزة، والباء، والتاء، والذال، والضاد، والطاء، والقاف، والكاف."⁶

أما بالنسبة للصوامت الاحتكاكية فهي على العكس مما سبق، فالصوت الاحتكاكي لا ينحبس الهواء انحباساً محكماً عند النطق به، وإنما يكتفي بأن يكون مجراه عند المخرج ضيقاً،

¹ عباس، حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 115.

² المرجع السابق، ص 122.

³ النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربية، ص 157.

⁴ ينظر: أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، ص 23.

⁵ النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربية، ص 146.

⁶ المرجع نفسه.

على تفاوت في ذلك، ويترتب على ذلك أن النفس، أثناء مروره بمخرج الصوت، يحدث نوعاً من الصفير، أو الحفيف، تختلف نسبته تبعاً لنسبة ضيق المجرى،¹ والأصوات الاحتكاكية في اللغة العربية هي ثلاثة عشر صوتاً: الثاء، والحاء، والخاء، والذال، والزاي، والسين، والشين، والصاد، والظاء، والغين، والفاء، والهاء.

وما يعني الباحثة دراسته، أيّ الأصوات السابقة وردت بنسبة أعلى من غيرها في سورة الحشر، وفق أفكارها؟ وما السبب الذي جعل إحدى المجموعتين تتفوق على حساب الأخرى؟ وللإجابة عن السؤالين السابقين، لا بد من عرض جدول، يمثل مجموع كل من الأصوات الانفجارية والاحتكاكية، مقرونة بنسبها، في جميع الأفكار، والجدول كالاتي:

رقم الفكرة	الآية	الأصوات الانفجارية المجموع النسبة	الأصوات الاحتكاكية المجموع النسبة
1	الآية (1-5)	57 %45.2	69 %54.7
2	الآية (6-7)	37 %45.6	44 %54.3
3	الآية (8-9)	33 %50	33 %50
4	الآية (10)	16 %59.2	11 %40.7
5	الآية (11-17)	16 %21.3	59 %78.6
6	الآية (18-20)	28 %48.2	30 %51.7
7	الآية (21-24)	31 %34.8	58 %65.1

ستقوم الباحثة بدراسة هذه الملامح بالطريقة نفسها التي درست بها ملمح الجهر والهمس، فستدرس في البداية هذه الملامح، من حيث ورودها في الأفكار، ثم ستدرس أكثر الأصوات وروداً في الصوامت الانفجارية، والاحتكاكية، وتبين سبب شيوع صوت على حساب بقية الأصوات.

نلاحظ، عند النظر للجدول السابق، أن جميع الأفكار التي تحدثت عنها السورة، قد تميزت بتفوق نسب ملمح الاحتكاك، على حساب ملمح الانفجار، فبلغت نسبة ملمح الاحتكاك

¹ ينظر: أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، ص25.

(22.3%) بينما بلغت نسبة ملمح الانفجار (16%)، وهذا أمر طبيعي، إذ إن عدد الصوامت الاحتكاكية ثلاثة عشر صوتاً، يفوق عدد الصوامت الانفجارية البالغة ثمانية صوامت.

لقد جاءت الصوامت الاحتكاكية في سورة الحشر أعلى من نسبة الصوامت الانفجارية ؛ وذلك يعود إلى طبيعة الصوامت الاحتكاكية الصعبة والفخمة في النطق، "فالأصوات الاحتكاكية تعد أصواتاً صعبة في النطق، إذا ما قورنت بنظائرها الانفجارية؛ لأنه عند النطق بالأصوات الاحتكاكية يلامس الناطق صعوبة كبيرة في إنتاجها"¹، وجاء تكرارها متناسبا مع طبيعة أفكار سورة الحشر، وكانت أعلى نسبة لتكرار الأصوات الاحتكاكية في الفكرة الخامسة، إذ بلغت نسبة التكرار 78.6% وجاءت لتلائم طبيعة الفكرة التي تحدثت عن صفات اليهود والمنافقين، فاحتاجت إلى أصوات ذات قوة ومتانة في النطق؛ لإيصال المعنى المراد للسامع وإقناعه، وحملت هذه الفكرة أقل نسبة من الصوامت المهموسة 21.3%، ولذلك لعدم مناسبتها لطبيعة الفكرة.

وبلغت نسبة الصوامت الاحتكاكية في الفكرة السابعة 65.1% وهي نسبة مرتفعة مقارنة بنظائرها من الصوامت المهموسة، فالفكرة تتحدث عن عظمة الله تعالى وصفاته العلى، وبدأت الآيات بتسبيح الله تعالى، وذكر قدرته على الخلق، وجاءت الصوامت الاحتكاكية متناسبة مع طبيعة الفكرة التي تحتاج إلى السكون والهدوء، فالأصوات الاحتكاكية تدل على معاني "التؤدة والليونة، والسكون، والهدوء، التي تعد من سمات النطق الحضري والمدني".² وتلي الفكرة السابعة الفكرة الأولى، وبلغت نسبة الأصوات الاحتكاكية فيها 54.7% وتليها الفكرة الثانية بنسبة 54.3%، ثم الفكرة السادسة بنسبة 51.7%، ثم الفكرة الثالثة بنسبة 50%، وأخيراً الفكرة الرابعة 40.7%، وهي أقل الأفكار تكراراً للصوامت الاحتكاكية، مقارنة بغيرها.

أما بالنسبة للصوامت الانفجارية التي كانت أقل تكراراً من نظائرها الاحتكاكية، فبلغت أعلى نسبة تكرار للصوامت الانفجارية 59.2% في الفكرة الرابعة التي تحدثت عن دعاء المؤمن لأخيه المؤمن، وتطلبت هذه الفكرة غلبة الأصوات الانفجارية التي لا تتطلب جهداً في إنتاجها،

¹ أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، ص 211.

² أنيس، إبراهيم: في اللهجات العربية، ص 100.

وتتسم بالقوة والوضوح، وسهولة النطق، لتناسب المعنى المراد، ثم تبعثها الفكرة السادسة بنسبة 48.2% ثم الفكرة الثانية بنسبة 45.6% ثم الفكرة الأولى 45.2%، وتليها الفكرة السابعة 34.8%، وكانت أقل نسبة لتكرار الصوامت الانفجارية في الفكرة الخامسة بنسبة 21.3%، وتساوت الفكرة الثالثة، في نسبة تكرار ملمح الانفجار والاحتكاك، فبلغت في كلا الملمحين 50%، وتحدثت الفكرة الثالثة عن مجتمع الصحابة، وتراحمهم وفضائلهم، فاحتاجت الفكرة إلى أصوات تحمل ملامح القوة، وأصوات تحمل ملمح الهدوء والسكون، لإيصال المعنى المراد.

فالأفكار الموجودة في السورة، مع اختلاف نسب ملمح الانفجار عن ملمح الاحتكاك فيها، إلا أنها جمعت بين الملمحين، وكانت النسب قريبة بينهما نوعاً ما، مع التأكيد على تفوق ملمح الاحتكاك في جميع الأفكار، ما عدا الفكرة الرابعة التي كانت فيها نسبة ملمح الانفجار أعلى من ملمح الاحتكاك، فطبيعة الأفكار تحتاج إلى ملمح يتسم بالصعوبة النطقية، ويحمل صفات الليونة، والتؤدة، والسهولة، والوضوح السمعي، وذلك موجود في ملمح الاحتكاك، وهو الأعم في الأفكار جميعاً، وفي الوقت نفسه تحتاج الأفكار إلى ملمح يتسم بالقوة والسهولة النطقية، وشدة تأثيره على السامع بصوته المدوّي، وذلك موجود في ملمح الانفجار.

وبعد أن تحدثت الباحثة عن ملمح الانفجار والاحتكاك في أفكار السورة كافة، سنتناول الحديث عن أصوات الملمحين كليهما، وتبيين سبب تفوق صوت على حساب صوت آخر في الملمحين.

وستعرض في البداية الأصوات الانفجارية والاحتكاكية، مرتبة ترتيباً تنازلياً في السورة كاملة.

ترتيب الصوامت الانفجارية تنازلياً	(الهمزة، التاء، الباء، القاف، الكاف، الدال، الضاد، الطاء)
ترتيب الصوامت الاحتكاكية تنازلياً	(الهاء، السين، الفاء، الحاء، الخاء، الجيم، الصاد، العين، الشين، الذال، الزاي، الظاء، الثاء).

يتبين من الجدول السابق، أن أكثر الأصوات الانفجارية وروداً في سورة الحشر وأفكارها، هو صوت (الهمزة)، يليه صوت (التاء) ثم صوت (الباء)، وأقل الأصوات الانفجارية وروداً هو صوت (الضاد، والطاء)

أما بالنسبة للأصوات الاحتكاكية فقد كان أكثر الأصوات الاحتكاكية وروداً في السورة، هو صوت (الهاء ثم السين ثم الفاء) وأقل الأصوات الاحتكاكية وروداً هي (الطاء، والتاء).

وستبين الباحثة سبب كثرة ورود الأصوات الانفجارية، والاحتكاكية، في بعض الحالات، وقلة ورودها في حالات أخرى.

أما فيما يتعلق بالأصوات الانفجارية فصوت الهمزة يعد من أكثر الأصوات الانفجارية ذكراً في آيات سورة الحشر وأفكارها، ويحمل نسبة 1.6% من أصوات السورة، فعند النطق بصوت الهمزة "تقل الفتحة بين الوترين الصوتيين، وهي فتحة المزمار، إقفالاً تاماً، مما يؤدي إلى احتباس الهواء الصادر من الرئتين، فيخرج الهواء فجأة عبر المزمار، محدثاً صوتاً انفجارياً".¹ فطبيعة هذا الصوت التي تحدثت عنها في سياق الحديث عن اللامهموس واللامجهور² أهله لكي يكون أكثر الأصوات الانفجارية تكراراً في سورة الحشر، لوضوحه السمعي، وأثره في المتلقي، واتسامه بالظهور والبروز.

ويلي صوت الهمزة صوتُ التاء، إذ تكرر بنسبة (3.7%) في أفكار السورة جميعها، وينتج صوت التاء "عندما يحتبس تيار الهواء المنتج له احتباساً تاماً، خلف منطقة التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا، ومقدم اللثة، ثم يبتعد اللسان فجأة عن نقطة الالتقاء، مما يؤدي إلى انطلاق الهواء محدثاً صوتاً انفجارياً، غير مصحوب بذبذبة الوترين الصوتيين".³ وصوت التاء، صوت "متماسك من يوحى بلمس بين الطراوة والليونة"⁴.

¹ النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربية، ص 156.

² ينظر: ص 57، من هذا البحث.

³ النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربية، ص 157.

⁴ عباس، حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 55.

وهذه الصفات، كانت متلائمة مع الفكرة الأولى التي تحدثت عن حرب المسلمين مع يهود بني النضير، فاحتاجت الفكرة إلى حرف مثل التاء يتسم بالتماسك، والمرونة، لإيصال المعنى المراد، وتكرر صوت التاء في جميع أفكار السورة بنسب متقاربة جداً، والصفات التي ذكرتها الباحثة عن صوت التاء جاءت منسجمة مع أفكار السورة، فالفكرة الخامسة التي تحدثت عن صفات المنافقين، وكشفت كذبهم، احتاجت إلى صوت مثل التاء، فيه تماسك وليونة، لتحقيق المعنى المراد.

أما صوت الباء فقد كان أكثر الأصوات الانفجارية وروداً بعد صوت الهمزة والتاء، وينتج صوت الباء الانفجاري " عندما تقفل الشفتان إقفالاً تاماً أمام تيار الهواء، ويصاحب ذلك رفع الحنك اللين، حتى لا يخرج الهواء من التجويف الأنفي، الأمر الذي يؤدي إلى حبس الهواء في التجويف الفموي، مدةً من الزمن، ثم تنفجر الشفتان، فيندفع الهواء من بينهما محدثاً صوتاً انفجارياً"¹.

وصوت الباء يدل على الصلابة، والغلظة، وإلى هذا الرأي ذهب ابن جني، حين قال: "فالباء لغلظها تشبه بصوتها خفة الكف على الأرض"² وهذه الصلابة نابعة من طبيعته النطقية، ولهذا الصوت دلالاته الإيحائية في النص، كما أن في صوت الباء دلالة على بلوغ معنى في الشيء بلوغاً تاماً³، ويتميز صوت الباء "بالاتساع، والامتلاء، والعلو، والانبثاق، والظهور"⁴، وهذه الصفات أعطت إيحاءً قوياً وصلابة لهذا الصوت، ليتناسب والفكرة العامة للسورة، وهو الحديث عن حادثة بني النضير، كيف وقعت؟ ولماذا وقعت؟ والتحدث عن مصير اليهود في المدينة، وبيان صفات المنافقين.

وجاءت صفات صوت الباء منسجمة مع طبيعة الأفكار التي ورد فيها الصوت، فالفكرة الأولى التي تحدثت عن مصير اليهود في المدينة، وإخراجهم من ديارهم، بسبب غدرهم

¹ النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربية، ص 156.

² ابن جني: الخصائص، 163/2.

³ العلايلي، عبد الله: مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نصنع المعجم الجديد، ص 210.

⁴ عباس، حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 101-102.

بالرسول -صلى الله عليه وسلم- وبينت مصير من يشاقق الله تعالى، ويعصيه ويتحداه، اشتملت على حرف الباء الذي حمل فيها معنى الصلابة والقوة، والظهور، لإثارة الرعب في قلوب اليهود. وفي الفكرة الخامسة التي بينت صفات المنافقين، وكشفت كذبهم، وعلاقتهم مع اليهود، أدى صوت الباء معنى الصلابة والامتلاء. أما الفكرة السابعة فجاء صوت الباء فيها يحمل معاني الاتساع والعلو والظهور، فتحدثت عن أسماء الله تعالى ووصفاته، ووحدانيته، ونزهت الله تعالى عن كل نقص.

ومن أقل الأصوات الانفجارية ذكراً في سورة الحشر وأفكارها (الضاد، والطاء) وقد تحدثت الباحثة عنهما في سياق حديثها عن المهموس والمجهور، وبينت أنها من أقل الأصوات ذكراً، على مستوى سورة الحشر وأفكارها؛ لأن طبيعتها الصوتية لا تتناسب، وطبيعة سورة الحشر وأفكارها.¹

أما بالنسبة للأصوات الاحتكاكية التي غلبت على أفكار السورة كلها، فكان صوت الهاء هو الصوت المسيطر على سورة الحشر وأفكارها، وجاء الحديث عن هذا الصوت في سياق الحديث عن الأصوات المهموسة والمجهورة،² وصوت الهاء من الأصوات التي تصدر عن الإنسان، لا لغرض الكلام وحسب، بل بسبب إرهاق، أو تعب، أو حالة نفسية معينة، دون قصد منه، فهو اندفاع غزير للهواء في عملية تنفسية ينتج عنها سماع صوت الهاء، فصوت الهاء، إذا لُفظ مشبَعاً مشدداً عليه، أوحى الاهتزازات بالاضطرابات النفسية،³ التي جاءت منسجمة مع حالة اليهود والمنافقين، حيث يعيشون بتخبط وخوف.

يلي صوت الهاء، صوت السين الاحتكاكي، ويتم النطق بهذا الصامت عندما ترتفع مقدمة اللسان، في اتجاه اللثة العليا، مع وجود منفذ ضيق، يتسرب منه تيار الهواء، محدثاً صوتاً احتكاكياً، لا يتذبذب عند النطق به الوتران الصوتيان.⁴ وصوت السين من الأصوات التي تحمل

¹ ينظر: ص 62 من هذا البحث

² ينظر، ص 61 من هذا البحث.

³ ينظر: عباس، حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 192.

⁴ النوري، محمد جواد: فصول في علم الأصوات، ص 236، 237.

معنى "الرقعة والخفة والسهولة، وفيها أيضاً معنى الشدة والفاعلية"¹، واحتل صوت السين المرتبة الثانية في الأصوات الاحتكاكية الأكثر تكراراً في سورة الحشر، وجاءت معاني صوت السين متلائمة مع أفكار السورة وموضوعها، فمثلاً لو نظرنا للفكرة الثانية التي تحدثت عن الغنيمة وأحكامها، حيث تكرر صوت السين في هذه الفكرة، وحمل معنى الرقة والسهولة والفاعلية، لأن الفكرة تحدثت عن أساس من أساسيات الإسلام، وهو العدل والرحمة، وعدم التفرقة بين الناس، فجاء صوت السين يتوافق مع المعنى المراد.

ومن الأصوات الاحتكاكية التي تكررت في سورة الحشر صوت الفاء الشفوي الأسناني، وينتج " عند ملامسة الشفة السفلى للأسنان العليا التي تسمح لتيار الهواء بالمرور، بين هذين العضوين محدثاً صوتاً احتكاكياً، لا يتذبذب في أثناء النطق به، الوتران الصوتيان"²، وصوت الفاء بحفيف صوته الرقيق، وبعثرة النفس لدى خروجه من بين الأسنان العليا، وطرف الشفة السفلى، يوحى بلمس مخملي دافئ، يعش قلب كل سامع لذكر الله - عز وجل -، مطيعاً له في أمور العقيدة، والدين بعامة، وهذا يتناسب مع كل مؤمن آمن بالله عز وجل، ووحدّه عن كل شرك، كما يوحى بالبعثرة والتشتت، والانتشار³، وهذا يتناسب مع حال اليهود والمنافقين، الذين يعانون التشتت والبعثرة في تفكيرهم، والفكرة الأولى التي تحدثت عن حادثة بني النضير، يظهر اليهود فيها يتخبطون، فيما بينهم ويخربون بيوتهم بأيديهم، وهنا جاء حرف الفاء يحمل المعنى المراد.

ومن أقل الأصوات الاحتكاكية ذكراً في سورة الحشر وأفكارها (الظاء، والثاء) وقد تحدثت الباحثة عنهما في سياق حديثها عن المهموس والمجهور، وبيّنت أنها من أقل الأصوات ذكراً، على مستوى سورة الحشر وأفكارها؛ لأن طبيعتها الصوتية لا تتناسب، وطبيعة سورة الحشر وأفكارها.⁴

¹ ينظر: عباس، حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها 113-114.

² النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربية، ص 163.

³ ينظر: عباس، حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 132، 134.

⁴ ينظر: ص 61 من هذا البحث

ح. التفخيم والترقيق

يعرف التفخيم بأنه: "أثر سمعي ينتج عن عوامل فسيولوجية متداخلة، ندرك منها عاملين مهمين: أولهما: ارتفاع مؤخر اللسان إلى أعلى قليلاً في اتجاه الطبق اللين، وتحركه إلى الخلف باتجاه الجدار الخلفي للحلق، وثانيهما: رجوع اللسان إلى الخلف بصورة أسرع مما يحدث في أثناء النطق بالأصوات المرققة."¹

والأصوات المفخمة في اللغة العربية تنقسم إلى قسمين، مفخمة تفخيماً كلياً: (الصاد، الضاد، الطاء، الظاء)، ومفخمة تفخيماً جزئياً: (الخاء، والغين، والقاف).

وبعد الترقيق الملمح التمييزي المقابل لملمح التفخيم، يحدث الترقيق عندما يصاحب إنتاج الصامت ارتفاع مقدم اللسان في اتجاه الغار.² والصوامت المرققة في اللغة العربية، تبلغ 21 صامتاً، أي جميع صوامت اللغة العربية صوامت مرققة باستثناء الصوامت المفخمة التي أشرت إليها سابقاً.

والجدول الآتي يوضح لنا مجموع الأصوات المفخمة بنوعيه؛ الكلي والجزئي، والأصوات المرققة، ونسبها في سورة الحشر.

رقم الفكرة	الآية	الأصوات المفخمة المجموع النسبة	الأصوات المرققة المجموع النسبة
1	الآية (5-1)	18 %13.9	111 %86
2	الآية (7-6)	9 %4.8	176 %95.1
3	الآية (9-8)	14 %19.4	58 %80.5
4	الآية (10)	5 %17.2	24 %82.7
5	الآية (17-11)	26 %8.4	280 %91.5
6	الآية (20-18)	10 %8.6	105 %91.3
7	الآية (24-21)	11 %5.8	178 %96.2

¹ بشر، كمال: علم الأصوات، ص 394.

² النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربية، ص 154.

عند النظر في الجدول السابق نلاحظ أن نسبة الأصوات المرققة في سورة الحشر أعلى من نسبة الأصوات المفخمة؛ والسبب في ذلك يعود إلى أن عدد الأصوات المرققة في اللغة العربية أكثر من عدد الأصوات المفخمة؛ لأن الأفكار التي تتحدث عنها السورة، تتطلب صوتاً قريباً من القلب، تتقبله النفس بسهولة، وهذه السهولة والليونة موجودة في الترقيق.

ولو أعدنا النظر مرة أخرى للجدول، لوجدنا أن نسبة الأصوات المرققة، في الأفكار جميعها، تراوحت بين (86% و 96.2%)، في حين كانت نسبة الأصوات المفخمة تتراوح بين (4.8% و 19.4%).

يتضح من هذه النسب أن الأصوات المرققة غلبت على سورة الحشر، مقارنة بالأصوات المفخمة، وذلك يعود إلى الطبيعة النطقية الأسهل للأصوات المرققة، إذ إن مقدم اللسان عند إنتاج هذه الأصوات يرتفع في اتجاه الغار، وهذا ما يطلق عليه مصطلح التغير¹، بينما الأصوات المفخمة تحتاج إلى جهد كبير، عند نطقها أكثر مما تحتاجه الأصوات المرققة، وملح التخميم، بشكل عام، يمنح الصوت قوة أكثر من غيره، وطبيعة الموضوع الرئيس الذي تدور حوله الآيات، هو الحديث عن غزوة بني النضير، وكشف خبث اليهود والمنافقين، وهذا يحتاج إلى أصوات فيها رقة؛ لتكون قريبة للسامع مؤثرة فيه، وملح الترقيق يكسب الصوت ضعفاً، ينسجم مع معاني الرقة والهدوء، فالآيات في مجملها تحدثت عن حال اليهود والمنافقين، وإخراجهم من ديارهم، وعن دعوة المؤمنين للتقوى والخشوع، والتفكير في تدبير الله الحكيم، وذكرت أسماء الله تعالى، وعظمت صفاته، حيث ابتدأت السورة بتسبيح الله تعالى، واختتمت بتسبيح الله تعالى، وهذا يحتاج إلى أصوات مرققة لتؤدي المعنى المراد.

وإذا تتبعنا معاً نسبة كل من الأصوات المفخمة، والمرققة في كل فكرة من أفكار السورة، لوجدنا أن الفكرة السابعة حملت أعلى نسبة من الأصوات المرققة، وبلغت (96.2%) بينما كانت نسبة الأصوات المفخمة (5.8%) ويعود السبب في غلبة الأصوات المرققة على الأصوات المفخمة إلى طبيعة الفكرة التي بينت عظمة الله تعالى، وصفاته العلى التي أولها

¹ النوري: محمد جواد: علم الأصوات العربية، ص 154.

الرحمة والربوبية، والعزة والحكمة، وتنزيه الله تعالى عن كل نقص، فهذه الفكرة تحتاج إلى أصوات رقيقة تتسم بالمرونة والسهولة واليسر والبساطة، أصوات تؤثر في السامع وتصل إلى القلوب قبل العقول، لتؤدي المعنى المراد من الآيات موضع الدرس.

ويلي الفكرة السابعة، الفكرة الثمانية، حيث بلغت نسبة الأصوات المرققة (95.1%)، في حين بلغت نسبة الأصوات المفخمة (4.8%) وهي أقل نسبة على مستوى الأصوات المفخمة في السورة، ويعود السبب في ذلك إلى طبيعة الفكرة التي تحدثت عن الغنيمة وأحكامها، وأن الفقراء لهم اعتبار في المجتمع المسلم، وبينت أن الرحمة هي أساس التعامل في كافة أمور الحياة، فالمؤمنون يتراحمون فيما بينهم، وأن الدين الإسلامي لا يفرق بين غني وفقير، فاحتاجت هذه الفكرة إلى غلبة الأصوات المرققة على المفخمة؛ لأن فكرة كهذه تحتاج إلى أصوات رقيقة سهلة النطق، تتسم بالمرونة والليونة، فالآية تخاطب المسلمين، وتبين لهم أحكام الغنيمة، وأساسيات المجتمع المسلم؛ فاستدعت استخدام أصوات رقيقة سهلة لينة؛ لإيصال المعنى المراد لهم. بينما كانت نسبة الصوامت المفخمة في هذه الفكرة أقل نسبة في أفكار السورة كلها، وذلك لأن طبيعة الفكرة لا تحتاج إلى أصوات شديدة تتسم بالصلابة والقوة.

ويلي الفكرة السابعة الفكرة الخامسة، حيث بلغت نسبة الأصوات المرققة (91.5%) والأصوات المفخمة (8.4%) فالفكرة الخامسة التي تحدثت عن صفات المنافقين، وكشفت كذبهم ونقضهم للعهود، وكشفت علاقتهم مع اليهود ضد المسلمين، احتاجت للأصوات المرققة لإيصال المعنى المراد للسامع.

ويلي الفكرة الخامسة الفكرة السادسة، حيث بلغت نسبة الأصوات المرققة (91.3%) والأصوات المفخمة (8.6%) فبينت الفكرة أن التقوى هي دستور في حياة المسلم، وبينت بعض الوصايا الربانية للمؤمنين، وهذه الأفكار تحتاج إلى أصوات سهلة مرنة، لها أثر في نفس السامع لدعوته إلى التزامه بتعاليم الإسلام وتشريعاته واقناعه بها.

ويلي الفكرة الخامسة الفكرة الأولى، حيث بلغت نسبة الأصوات المرققة (86%)، والأصوات المفخمة نسبة (13.9%)، فهذه الفكرة احتاجت إلى الأصوات المرققة والأصوات

المفخمة؛ لإيصال المعنى المراد للسامع والتأثير فيه، وتحدثت هذه الفكرة عن مصير يهود بني النضير وإخراجهم من ديارهم، ووصف حالة التشنت والذعر الذي أصابهم؛ فاحتاجت إلى الأصوات المرققة اللينة السهلة السلسة، للتأثير في نفس السامع، وإيصال الفكرة له، بينما احتاجت إلى الأصوات المفخمة التي تحمل معنى الصلابة والقوة، ولتكون منذرة لليهود بما سيحلّ بهم؛ جراء نقضهم للعهد مع المسلمين.

ويلي الفكرة الأولى الفكرة الرابعة والثالثة التي جاءت نسب الأصوات المرققة بينهما متقاربة بشكل كبير، فالفكرة الرابعة تحدثت عن دعاء المؤمن لأخيه المؤمن بالمغفرة، وأن الله غفور رحيم، أما الفكرة الثالثة التي تحدثت عن مجتمع الصحابة، المهاجرين والأنصار، وعن فضائل كلٍّ منهم، فاستدعت هذه الأفكار غلبة الأصوات المرققة؛ لأنها تحتاج إلى معاني الرقة والسهولة والليونة؛ لأنها تخاطب المؤمنين وتحدث معهم.

إن طبيعة الصوت لها الأثر الواضح في نفس المتلقي، فالصوت يناسب الموضع الذي قيل فيه، وكما ذكر سابقاً، فالسورة في معظم أفكارها تدور حول حادثة بني النضير، وتكشف حقيقة المنافقين واليهود، وتقسيم الغنيمة، والحديث عن المجتمع المسلم، ووصف عظمة الله تعالى وقدرته، فالفكرة التي تتحدث عن المنافقين واليهود، وتخاطبهم تحتاج إلى ملمح التفخيم الذي يعد ملمح قوة في الصوت، يكسب المعنى قوة وفخامة، ليعطي جواً من الرهبة، وليناسب طبيعة المقام الذي قيل فيه، أما الترفيق، فهو ملمح ضعيف، وهو يناسب المعاني الرقيقة والهادئة، وفي أفكار السورة جميعها، كانت النسبة الأعلى لملمح الترفيق على حساب ملمح التفخيم، ولعل ذلك عائد إلى الطبيعة النطقية السهلة، للأصوات المرققة.

أما الأصوات المفخمة فيعزى سبب قلة نسبها في أفكار السورة؛ إلى سبب وضعها النطقي الذي يتصف بالصعوبة، إضافة إلى المعاني التي يحملها هذا الملمح، من حيث القوة والضخامة، بعكس المرقق الذي يتسم باللين والرقّة.

ويظهر في الجدول الآتي الأصوات المرققة والأصوات المفخمة مرتبة ترتيباً تنازلياً،

على مستوى سورة الحشر

ترتيب المرقق تنازلياً	(ل، ن، و، م، ي، ه، ء، ر، ت، ب، س، ك، ف، ح، ع، ج، د، ش، ذ، ز، ث)
ترتيب المفخم تنازلياً	(ق، خ، ص، ض، غ، ظ، ط)

يلاحظ من الجدول السابق أن أكثر الأصوات المرققة ذكراً في سورة الحشر، هي: (ل، ن، و، م، ي، ه، ء، ر) وأن أقل الأصوات المرققة ذكراً هي: (ذ، ز، ث). في حين كانت أكثر الأصوات المفخمة ذكراً في السورة هي: (ق)، وأقل الأصوات المفخمة ذكراً هي: (ظ، ط).

فالأصوات المرققة كان لها النصيب الأكبر في سورة الحشر، واجتمعت فيما بينها بصفات مشتركة، فأصوات (ل، ن، م، ر) تتميز بأنها أصوات مائعة، ذات وضوح سمعي، وصوتا (ء، ه) صوتان حنجريان، وصوتا (و، ي) يعدان من أنصاف الحركات، وأنصاف الحركات تتميز بوضوحها السمعي.

إن معظم الأصوات المرققة الوارد ذكرها، تجمعها صفة السهولة في النطق، والخفة في الأداء، وشدة الوضوح السمعي، وخاصة أصوات (ل، م، ن، ر، و، ي) فهذه الأصوات بصفاتها، (الغنة) في النون والميم، و (الجانبية) في اللام، و (التكرارية) في الراء، و (الوضوح السمعي) في الواو والياء، و (البروز والظهور) في الهمزة، و (الاضطراب والانفعال النفسي) في الهاء، مكنتها أن تحتل ترتيباً متقدماً على مستوى ملمح الترقيق، في سورة الحشر وأفكارها، وذلك بسبب وضوحها السمعي، وقربها من ذهن السامع، وشدة تأثيرها فيه أكثر من غيرها من الأصوات.

ولو وقفت الباحثة عند الأصوات المرققة الأكثر ذكراً في السورة، وتناسبها مع الأفكار الموجودة في الآيات، لوجدنا أن الأصوات كانت منسجمة، مع الدلالات التي وردت فيها، فأصوات (ل، ن، م، ر) تعد من الأصوات المائعة أو الرنانة، وهذه الأصوات تشبه الحركات في خاصية سمعية مهمة، تتمثل فيما يعرف بالوضوح السمعي، "1 فقد سبق الحديث في سياق الحديث عن ملمح الجهر والهمس، وتحدثنا أيضاً عن صوت الهمزة في سياق الحديث عن

¹ بشر، كمال: علم الأصوات، ص 358.

اللامهموس، واللامجهور،¹ وصوت الهمزة من أعرس الأصوات وأشققها في النطق، وهذا يتناسب وحالة الشقاء النفسية التي يعاني منها اليهود والمنافقون، وصوت الهمزة حمل معاني تتناسب ملمح الترفيق، فهو صوت تلمح فيه معاني الرقة والرأفة، وما يجيش في النفس من انفعالات. أما صوت الهاء فقد سبق الحديث عنه في سياق الأصوات الانفجارية والاحتكاكية"، وهو صوت سهل في النطق واضح في السمع، ومن المعاني التي يعبر عنها هذا الصوت "الاضطرابات والانفعالات النفسية".² وجاء هذا في سياق الآيات التي تحدثت عن اليهود والمنافقين.

أما صوت الراء التكراري المرقق فقد احتل المرتبة الثامنة على مستوى أصوات سورة الحشر، ويعود السبب في ذلك إلى طبيعة صوت الراء التكرارية، "فصوت الراء فيه حركة وتردد واضطراب، ويحمل في طياته معنى الرقة والمرونة"³، فمثلاً الفكرة الخامسة التي بينت صفات المنافقين، وكشفت كذب وفساد علاقتهم مع اليهود، احتاجت إلى وجود صوت الراء؛ لأنه يحمل معنى الحركة والتردد والاضطراب النفسي، الذي كان يسيطر على المنافقين واليهود، عندما كشف نفاقهم، فهو أدى وظيفة دلالية ترتبط بالمعنى المراد إيصاله.

أما صوتا (الواو، والياء) فكانا من أكثر الأصوات تكراراً، على مستوى سورة الحشر، فصوت الواو احتل المرتبة الثالثة بنسبة (3.7%)، وصوت الياء احتل المرتبة الخامسة بنسبة (1.3%) على مستوى سورة الحشر، ويعود السبب في ذلك إلى أن أنصاف الحركات، لا تنتمي كلياً إلى الصوامت، أو الحركات⁴ فأنصاف الحركات، من حيث النطق تقترب من الحركات في صفاتها، ولكنها في التركيب الصوتي للغة تسلك مسلك الأصوات الصامتة،⁵ وتعد صفة أنصاف الحركات المتمثلة بصوت الواو والياء، من أكثر الأصوات الصامتة وضوحاً في السمع، وهذا

¹ ينظر، ص 61، من هذا البحث.

² عباس، حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 40.

³ ينظر: المرجع السابق، ص 80-85.

⁴ النوري، محمد جواد: فصول في علم الأصوات، ص 243.

⁵ ينظر: بشر، كمال: علم اللغة العام، ص 133.

الوضوح السمعي أهلها لأن تكون من أكثر الأصوات المرققة ذكراً ؛ ليتناسب وطبيعة أفكار السورة، والتي تحتاج إلى أصوات واضحة في السمع، ليكون لها الأثر الواضح على السامع.

أما بالنسبة لأقل الأصوات المرققة ذكراً، فهي: (ذ، ز، ث)، فهذه الأصوات برغم اتصافها بالسهولة والليونة، لكونها تحمل صفة الترقيق، إلا أنها لا تتسجم والموضوع الأساس للسورة، وهو الحديث عن غزوة بني النضير، وكشف كذب اليهود ونفاقهم، فعند النطق بصوت الذال " يتم وضع طرف اللسان بين أطراف الثنايا العليا والسفلى، بحيث يكون معظم جسم اللسان مستوياً، ثم يمر تيار الهواء عبر منفذ ضيق، من منطقة الاقتراب محدثاً صوتاً احتكاكياً، يتذبذب في أثناء النطق به الوتران الصوتيان.¹ وهذا الصوت من أقل الأصوات المرققة ذكراً في سورة الحشر، وخاصة في الفكرة الأولى، والثالثة والرابعة، و السادسة والسابعة، فلم يرد ذكر حرف الذال فيها بتاتاً، ويعود السبب في ذلك؛ إلى أن حرف الذال يحمل معاني الخشونة، والاهتزاز والاضطراب،² وهذا لا يتناسب وطبيعة أفكار السورة.

أما صوت الزاي الذي " ترتفع مقدمة اللسان في اتجاه اللثة العليا في أثناء النطق به، مع وجود منفذ ضيق يتسرب منه تيار الهواء، محدثاً صوتاً احتكاكياً يتذبذب في أثناء النطق به الوتران الصوتيان.³ فقد ورد بأقل نسب من غيره من الأصوات المرققة، وذلك عائد إلى طبيعة هذا الصوت، " الذي يتسم بالاضطراب والاهتزاز والانزلاق، بما يحاكي ذبذبة صوته، ويعطي إحياء بالشدة والفاعلية.⁴ وهذه الصفات لا تتسجم وطبيعة أفكار سورة الحشر، فلو نظرنا إلى الفكرة السادسة التي تتحدث عن وصايا الله تعالى للمؤمنين، ودعوتهم إلى تقوى الله، لوجدنا أن طبيعة الفكرة تتطلب صوتاً قريباً من النفس، له الأثر الواضح في السمع، وهذه الصفات لا يتسم بها صوت الزاي، فالفكرة تتحدث عن أمور لا تحتاج إلى أصوات لا تتسم بالاضطراب، والشدة والفاعلية، حتى تكون قريبة من ذهن السامع.

¹ النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربية، ص 160.

² عباس، حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 65-66.

³ النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربية، ص 161.

⁴ عباس، حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 139-142.

وتحدثت الباحثة عن صوت (الناء) في سياق حديثها عن الجهر والهمس¹، وبينت أنه صوت قليل الورد في الجذور العربية، ومع أن هذا الصوت، صوت قوي الشخصية منفتح، إلا أن طبيعة الأفكار لا تنسجم مع معاني هذا الصوت، وصفاته الدلالية، فالفكرة السابعة التي بينت عظمة الله تعالى وصفاته، تحتاج إلى أصوات ذات ملمح رقيق أكثر من غيرها، وصوت الناء- كما ذكر- صوت قوي الشخصية منفتح لا ينسجم مع الفكرة التي ذكرتها.

أما الأصوات المفخمة فكان أكثر الأصوات تكراراً فيها صوت (القاف)، الذي "يتكون بواسطة التقاء أقصى اللسان مع أدنى الحلق واللهاة، مما يؤدي إلى احتباس تيار الهواء خلف منطقة الالتقاء، ثم تنفصل هذه الأعضاء، فيندفع الهواء".² وهذا الصوت فيه "قوة، وصلابة، وقسوة، وشدة"³ تتناسب والحال الذي يكون فيه الخطاب لليهود والمنافقين، فهذا الصوت يضيف درجة من القوة على وقع السامع، ويعد صوت القاف من الأصوات التي تضيف مفاجأة على النص، كما وصفه العلايلي، ولديه القدرة على جذب انتباه السامع، وخاصة في موضوع التهديد والوعيد والانداز، ويتسم بتفخيمه الجزئي، ولكن ليس بقوة الأصوات المفخمة تفخيماً كلياً، فالفكرة الخامسة التي تحدثت عن المنافقين وصفاتهم، وكشفت كذبهم، احتاجت إلى صوت قوي له وقع وأثره في السامع.

وكانت الأصوات (ق، خ، ص، ض، غ، ظ، ط) من أقل الأصوات ذكراً على مستوى مختلف الأفكار، وأول صفة تجمع هذه الأصوات، هي صفة الضخامة، والفخامة، والقوة، والصلابة، وخاصة في الأصوات المفخمة تفخيماً كلياً، فالأصوات (الصاد، الضاد، الظاء، الطاء) تتسم بالقوة والصلابة، والصقل، والقسوة، والضخامة⁴، وهذه الصفات لا تنسجم مع الأفكار الجزئية للسورة، فهي تحتاج إلى قوة في غير موضع، ولكن ليس بقوة هذه الأصوات.

¹ ينظر: ص 63 من هذا البحث.

² النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربية، ص 163.

³ ينظر: أنيس، إبراهيم: موسيقى الشعر، ص 265.

⁴ ينظر: أنيس، إبراهيم: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 149-155، ص 120-123.

وصوت (الغين) فيه اهتزاز واضطراب، وصوت (الخاء) فيه رخاوة، أكثر من غيره من الأصوات المفخمة، وهذا لا ينسجم مع أفكار السورة.

ورغم كل ذلك فقد كان ذكر الأصوات المفخمة أقل، مقارنة بالأصوات المرققة، وهذا ناتج عن طبيعة الموضوع العام الذي تدور حوله الآيات، وهو الحديث عن حرب المسلمين مع يهود بني النضير، التي تحتاج إلى أصوات فيها ليونة غير مفرطة، وقوة غير مبالغ فيها.

د. التركيب

يقصد به أن يكون الصوت ناتجاً عن مزيج من الانفجار، والاحتكاك، وهي صفة خاصة بصوت الجيم الفصيحة، فهذا الصوت يعتمد على الأساس المخرجي في تكوينه، وينتج صوت الجيم، " عندما يرتفع مقدم اللسان تجاه مؤخر اللثة، ومقدم الغار حتى يتصل بهما، فيحتبس الهواء الصادر من الرئتين خلف منصة الاتصال، غير أن انفصال العضوين المتصلين لا يحدث فجأة، على نحو ما يحدث في الأصوات الانفجارية المحضة، وإنما يتحقق ببطء، فيعطي الفرصة للهواء، بعد الانفجار، أن يحتك بالأعضاء المتباعدة، احتكاكاً شبيهاً بما يُسمع من صوت الجيم الشامية، ولذا فإن هذا الصوت يبدأ انفجارياً وينتهي احتكاكياً".¹

وصوت الجيم " يوحى بالضخامة، كإحساس بصري، وبشيء من الطراوة والحلاوة، كإحساس لمسي، وهو صوت يتصف بمعنى الصلابة والقوة".²

يعد صوت الجيم من أقل الأصوات تكراراً في سورة الحشر، وفقاً لأفكارها، فقد تكرر 17 مرة، بنسبة 1.3%، ويعود ذلك إلى طبيعة صوت الجيم الصلبة والضخمة، ولصعوبة نطقها، فأفكار السورة تحتاج إلى أصوات ليّنة؛ لتتناسب المعنى المراد.

¹ النوري، محمد جواد: فصول في علم الأصوات العربية، ص 233.

² ينظر: عباس، حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 38.

هـ. الصغير

تعد الأصوات الصفيرية من أكثر الأصوات وضوحاً سمعياً، والأصوات الصفيرية " تحدث عن طريق إحداث تضيق أودودي بين نصل اللسان والجزء الخلفي من حافة اللثة.¹ فهذه الأصوات تحدث إيقاعات رنانة، ودوياً موسيقياً في التراكيب اللغوية.

والأصوات الصفيرية في اللغة العربية هي: السين، والشين، والزاي، والصاد.

ويعد الصغير ملمح قوة في الأصوات، والجدول الآتي يبين مجموع الأصوات الصفيرية، مقرونةً بنسبها في أفكار السورة.

رقم الفكرة	الآية	الأصوات الصفيرية المجموع النسبة
1	الآية (1-5)	15 18.9%
2	الآية (6-7)	11 13.2%
3	الآية (8-9)	9 11.3%
4	الآية (10)	1 1.2%
5	الآية (11-17)	14 17.7%
6	الآية (18-20)	10 12.6%
7	الآية (21-24)	19 24%

عند النظر إلى الجدول السابق، نلاحظ أن نسبة تكرار الأصوات الصفيرية متقاربة في جميع الآيات، وتتراوح النسب بين 1.2% و24%، وكانت أقل نسبة لتكرار الأصوات الصفيرية 1.2% في الفكرة الرابعة، ويعود السبب في ذلك إلى طبيعة الأصوات الصفيرية الشديدة والصلبة والقوية، ذات الوضوح السمعي العالي، وعدم مناسبتها لموضوع الفكرة، فالفكرة تحدثت عن دعاء المؤمن لأخيه المؤمن، فاحتاجت إلى أصوات رقيقة، لينة، سهلة. وكانت أعلى نسبة لتكرار الأصوات الصفيرية في الفكرة السابعة بنسبة 24%، ويعود السبب في ذلك إلى طبيعة الفكرة التي تبين عظمة الله تعالى وصفاته العلى، وتنزيهه الله تعالى عن كل نقص، وبينت خشوع

¹ النوري، محمد جواد، علم الأصوات العربية، ص 147-148.

المخلوقات لكلام الله تعالى، وهذا كله احتاج إلى أصوات قوية شديدة صلابة، ذات وضوح سمعي عالٍ؛ لإيصال المعنى المراد. ويأتي الفكرة السابعة الفكرة الأولى بنسبة 18.9% وتحدثت عن مصير يهود بني النضير، وأخرجهم من المدينة، واحتاجت هذه الفكرة إلى أصوات صفيرية ذات ملامح قوية؛ لتناسب المعنى المراد، ويأتي الفكرة الأولى الفكرة الخامسة بنسبة 17.7%، ثم الفكرة الثانية بنسبة 13.2% ثم الفكرة السادسة بنسبة 12.6% ثم الفكرة الثالثة بنسبة 11.3%، فطبيعة هذه الأفكار احتاجت إلى أصوات صفيرية قوية، فالأصوات الصفيرية واضحة في السمع؛ "لأنها تكون مصحوبة باهتياج، وهي لذلك من ذوات التردد العالي، الناتج عن سرعة حركة الهواء في منطقة التضيق، عند موضع النطق".¹

وهنا جدول يبين ترتيب الأصوات الصفيرية في سورة الحشر تنازلياً

ترتيب الأصوات الصفيرية تنازلياً: (س، ص، ش، ز)

عند النظر إلى ترتيب الأصوات الصفيرية، في سورة الحشر، يتبين أن أكثر الأصوات الصفيرية وروداً، هو صوت السين، وتكرر (34) مرة، بنسبة 2.5%، ويليه صوت الصاد، وتكرر (17) مرة، بنسبة 1.2% ويليه صوت الشين، وتكرر (16) مرة، بنسبة 1.1% ويليه صوت الزاي، وتكرر (10) مرات، بنسبة 0.6%.

والأصوات التي تمتاز بملح الصفير، تمتاز بصفات قوة، فصوت الصاد صوت مطبق، وصوت الزاي صوت مجهور، وصوت السين صوت مهموس، وصوت الشين فيه تفشٍ.

ولكن عند النظر إلى ترتيب هذه الأصوات، على مستوى السورة، والأفكار، يتبين أن أكثر الأصوات وروداً هي صوت السين، فالشين، فالصاد، فالزاي، ومرد ذلك إلى طبيعة السورة وأفكارها، وكذلك الصفات التي تمتاز بها هذه الأصوات، والتي مكنتها من أن تحتل مراكز الصدارة، مع العلم بأنها الأقل قوة، من حيث صفيها. فطبيعة أفكار السورة تحتاج إلى أصوات تحمل ملح الصفير؛ ليكون لها الأثر الواضح في نفس السامع، ولكن مع مراعاة بقية الصفات

¹ أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، ص 74.

الأخرى التي يحملها الصوت، فالسورة بموضوعها العام تتحدث عن غزوة بني النضير، وعن حال اليهود والمنافقين، وموضوع مثل هذا يحتاج إلى أصوات صفيرية، تحمل ملامح القوة والوضوح.

احتل صوت (السين) المرتبة الأولى، على مستوى تكرار الأصوات الصفيرية، وقد سبق الحديث عن طريقة نطقه في سياق الحديث عن الأصوات الاحتكاكية، "ويوحى صوت السين المتماسك بإحساس لمسي بين النعومة، والرقّة والسلاسة، واللامسة، وإحساس بصري من الانزلاق، والامتداد، وإحساس سمعي هو الأقرب للصفير...¹"، وصوت السين له وضوح سمعي عالٍ، وله صفير يجذب النفوس، ويؤثر فيه، مع اتصافه بالسلاسة، والرقّة، والنعومة؛ ليكون له وقعه في نفس السامع، وليكون قريباً من نفس المؤمن، عند سماعه الوصايا الربانية، والأمر بالتقوى.

أما بالنسبة لصوت (الصاد) الذي احتل المرتبة الثانية على مستوى الأصوات الصفيرية، فينتج بالكيفية التي يتكون منها صامت السين الذي ذكر سابقاً، مع فارق التخميم الذي يتسم به صامت الصاد، دون تذبذب الوترين الصوتيين، عند النطق به. فالصاد صامت: قموي، أسناني لثوي، احتكاكي، مهموس، مفخم، صفيري، فصوت الصاد يحمل ملامح " القوة، والشدة، والفعالية، والوضوح السمعي، والنقاء"². وهذا جاء مناسباً لطبيعة الأفكار في السورة.

ويلي صوت الصاد صوت (الشين) وينتج عندما " يقترب مقدم اللسان من مقدم الغار ومؤخر اللثة، ويمر تيار الهواء في منطقة الاقتراب، عبر منفذ ضيق، دون حدوثذبذبة في الوترين الصوتيين، وقد وصفه اللغويون القدماء بصفة الاستطالة والتفشي."³ وصوت الشين يوحى بالبعثرة والجفاف والانتشار. فكان صوت الشين من الأصوات الأقل انتشاراً في سورة الحشر، وذلك لأن طبيعة الصوت ولامحه لا يناسب أفكار السورة.

¹ عباس، حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 110-114.

² المرجع السابق، ص 149.

³ النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربية، ص 161-162.

ويلي صوت الشين صوت (الزاي) وينتج " عندما ترتفع مقدمة اللسان في اتجاه اللثة العليا، مع وجود منفذ ضيق، يتسرب منه تيار الهواء محدثاً صوتاً احتكاكياً يتذبذب في أثناء النطق به الوتران الصوتيان.¹

فكان صوت الزاي من أقل الأصوات تكراراً، في سورة الحشر، وذلك عائد إلى طبيعة هذا الصوت، "الذي يعطي إحاءاً بالشدة والفاعلية، وإذا لفظ بشيء من الشدة يوحى بالاضطراب، والتحرك والاهتزاز، وإذا لفظ مخففاً، فهو يوحى بالبعثرة والانزلاق."² وهذه الصفات لا تتسجم وطبيعة أفكار سورة الحشر.

والصفات التي يمتاز بها صوت الشين وصوت الزاي، جعلتهما في موقع متأخر بالنسبة لملمح الصفيير، نظراً لطبيعة الأفكار التي تناولتها الآيات، والتي تحتاج إلى صوت سلس سهل، كصوت السين، وأما صوت الصاد الذي يوحى بالصلابة، فلا يتناسب بشكل كبير مع أفكار السورة، وهذا ظاهر في الفكرة الثانية التي لم يرد فيها صوت الصاد بتاتاً، فطبيعة الفكرة تحدثت عن الغنيمة، وأساسيات التعامل في المجتمع الإسلامي، فهي لا تحتاج إلى أصوات تحمل معنى الصلابة والقوة، ولذلك لم يرد صوت الصاد في هذه الفكرة، والأصوات الصفييرية، برغم اختلاف مجموعها، والتفاضل فيما بينها، تسهم، بجرسها الموسيقي، في الدلالة على المعنى المراد.

و. أنصاف الحركات

يطلق على الأصوات التي يقترب عضو النطق فيها من عضو نطق آخر، دون أن يصل هذا الاقتراب بينهما حد الاحتكاك، بالأصوات التقاربية، ويطلق بعض اللغويين على هذا النوع من الأصوات الصوت المستمر غير الاحتكاكي.³

¹ النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربية، ص 161.

² ينظر: عباس، حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 139-142.

³ النوري، محمد جواد: فصول في علم الأصوات، ص 94.

وما يهمننا الحديث عنه هو مصطلح الأصوات ذات التقارب الضيق (أنصاف الحركات)، فهذا المصطلح يطلق على الأصوات التي تبدأ أعضاء النطق بها من منطقة حركة من الحركات، ثم تنتقل من هذا المكان بسرعة ملحوظة، إلى مكان حركة أخرى، ولأجل هذه الطبيعة الانتقالية، وقصرها، وقلة وضوحها في السمع، إذا قيسَت بالحركات الصرفة، عُدَّت هذه الأصوات أصواتاً صامتة، لا حركات، بالرغم من التشابه الواضح بينها وبين الحركات، وفي اللغة العربية تنطبق هذه الصفة على صوت الواو والياء، ولد، بيت.¹

وفيما يأتي جدول خاص بأنصاف الحركات، يظهر مجموع هذه الأصوات، ونسبها في سورة الحشر وأفكارها.

الصوت	الترتيب في أصوات السورة	عدده في آيات السورة	النسبة
الواو	3	114	%8.3
الياء	5	96	%7

رقم الفكرة	الآية	أنصاف الحركات المجموع النسبة	
1	الآية (1-5)	47	%22.3
2	الآية (6-7)	30	%14.2
3	الآية (8-9)	32	%15.2
4	الآية (10)	12	%5.7
5	الآية (11-17)	50	%23.8
6	الآية (18-20)	17	%8
7	الآية (21-24)	22	10.4

يتبين للباحثة لدى دراسة الأصوات اللغوية في سورة الحشر، أن صوتي اللين (الواو، والياء) هما من أكثر الأصوات اللغوية ذكراً في السورة، فقد ذكر هذان الصوتان (210) مرة في السورة، واحتل الصوتان كلاهما مراكز متقدمة في ترتيب الأصوات، في سورة الحشر فقد احتل

¹ ينظر: بشر، كمال: علم اللغة العام (الأصوات)، ص 132.

الواو المركز الثالث بنسبة 8.3%، فيما جاء صوت الياء في المركز الخامس بنسبة 7%، في ترتيب أصوات سورة الحشر، وستبين الباحثة سبب حصول هذين الصوتين هذه المراكز المتقدمة في السورة.

بالنظر الى الجدول السابق نلاحظ أن الأفكار (الخامسة والأولى والثالثة) كانت نسبة أنصاف الحركات فيها أعلى مما في باقي الأفكار، فصوت الواو والياء يتميزان عن غيرهما من الأصوات الصامتة، بأنهما أكثر الصوامت وضوحاً في السمع، فطبيعة هذه الأفكار احتاجت الى أصوات ذات وضوح سمعي عالٍ.

فالفكرة الخامسة بلغت نسبة تكرار صوتي الواو والياء فيها 23.8%، وهذه الفكرة تتحدث عن صفات المنافقين، ونقضهم للعهود، وكشف علاقتهم مع اليهود ضد المسلمين، فطبيعة الفكرة تتطلب أن تكون نسبة أنصاف الحركات فيها أكثر من غيرها، وهي أصوات ذات وضوح سمعي عالٍ.

ثم يلي ذلك الفكرة الأولى، حيث بلغت نسبة تكرار صوتي الواو والياء فيها، 22.3%، وهذه الفكرة تتحدث عن حادث بني النضير، وإخراجهم من ديارهم بسبب نقضهم للعهود، وغدرهم بالرسول، صلى الله عليه وسلم، وطبيعة الفكرة احتاجت أصوات ذات وضوح سمعي عالٍ.

ويلي ذلك الفكرة الثالثة، إذ بلغت نسبة تكرار صوتي الواو والياء فيها 15.2%، وتحدثت الفكرة عن مجتمع الصحابة في المدينة المهاجرين والأنصار، وفضائلهم. فالفكرة احتاجت إلى أصوات ذات وضوح سمعي عالٍ لإيصال المعنى المراد للسامع.

ولو أمعنا النظر في بقية الأفكار، لوجدنا أنها تتطلب صوتاً له الأثر الواضح في السمع، فجاءت الأفكار مقرونة بنسب متفاوتة، بحسب طبيعة الفكرة التي تتحدث عنها الآيات، فالفكرة الثانية بلغت نسبة تكرار صوتي الواو والياء 14.2% وتحدثت عن الغنيمة وأحكامها، وأساسيات التعامل في المجتمع المسلم، فطبيعة الفكرة احتاجت إلى أصوات واضحة لإيصال الفكرة للسامع.

ويليها الفكرة السابعة التي تحدثت عن عظمة الله تعالى، وصفاته العلى، وخشوع المخلوقات والجمادات له، وبلغت نسبة التكرار 10.4%، ويليها الفكرة السادسة، وبلغت نسبة تكرار صوتي الواو والياء 8%، وتحدثت الفكرة عن وصايا ربانية للمؤمنين، وأنّ التقوى هي أساس دستور الحياة. وتليها الفكرة الرابعة، وكانت أقل الأفكار تكراراً لصوت الواو والياء، وبلغت 5.7% وتحدثت عن دعاء المؤمن لأخيه المؤمن، وطبيعة هذه الفكرة لا تحتاج إلى أصوات ذات وضوح سمعي عالٍ.

الخلاصة

بعد دراسة الأصوات الصامتة في سورة الحشر توصلت الباحثة إلى ما يأتي:

1- بلغ عدد المكونات الصوتية الصامتة في سورة الحشر 1359 صامتاً، وكان الصوت الأكثر تكراراً، صوت (اللام) حيث تكرر 248 مرة، وكانت نسبته على مستوى أفكار السورة 18.2 %، وأقل الأصوات تكراراً كان صوتي (الشاء، والظاء) حيث تكرر الصوتان مرتين فقط.

2- غلبت الأصوات المجهورة على الأصوات المهموسة، في آيات سورة الحشر، ويعود السبب في ذلك إلى طبيعة الموضوع العام للسورة، الذي تحدث عن حادثة بني النضير، وعن غدرهم للرسول - صلى الله عليه وسلم - ونقض العهد بينهم، ودعوة المؤمنين للتقوى والخشوع والتفكير في تدبير الله الحكيم، وهذه الأفكار تحتاج إلى أصوات فيها قوة وصلابة، ووضوح سمعي عالٍ، وقدرة على التأثير في المتلقي، وهذه الصفات موجودة في الأصوات المجهورة أكثر من الأصوات المهموسة التي تحمل معنى الخفاء.

3- أكثر الصوامت المجهورة تكراراً، (ل، ن، و، م، ي) على التوالي، واحتلت المراكز المتقدمة على مستوى أصوات السورة، وهي جزء من الأصوات المائعة، ذات الوضوح السمعي. بينما كانت (ض، ظ، غ) من أقل الصوامت المجهورة تكراراً، وهذه الأصوات لا تتناسب وطبيعة موضوع السورة، فصوت (ض، ظ) من الأصوات التي تتسم بصعوبة النطق والصلابة، وتحمل ملمح التخميم، أما صوت (غ) فهو يوحي بالغموض والخفاء، وهذا لا يتناسب مع موضوع السورة الذي يهدف إلى جذب الانتباه والإقناع.

4- الأصوات المهموسة كانت أقل الأصوات تكراراً مقارنة بالأصوات المجهورة، ومن أكثر الأصوات المهموسة تكراراً في أفكار سورة الحشر (ه، ت، ق)، فصوت (الهاء) يدل على الاضطراب والانفعال النفسي، ويحمل معنى الخفوت، والضعف والرقّة، وصوت (ت) يدل على الليونة والضعف والرقّة، ونستوحي منه معاني العذاب والمشقة، وصوت (ق) يدل على القساوة والصلابة والشدة. وهذه الأصوات جاءت متناسبة مع بعض أفكار سورة الحشر. وأقل الأصوات المهموسة وروداً في سورة الحشر كانت (ش، ط، ث)، فصوت (ش) يوحي بالبعثرة والجفاف والانتشار، وصوت (الطاء) من الأصوات الصعبة في النطق، وتحمل معنى القوة والصلابة والضخامة، وصوت (ث) يحتاج إلى جهد عضلي كبير، عند نطقه، فهو قليل الورد في الجذور العربية، وهذه الأصوات لا تتناسب مع طبيعة السورة ودلالاتها.

5- كانت الأصوات الاحتكاكية أكثر وروداً في سورة الحشر من الأصوات الانفجارية، فبلغت نسبة الأصوات الاحتكاكية، 22.3%، بينما بلغت نسبة الأصوات الانفجارية، 16%. وهذا جاء متناسباً مع طبيعة سورة الحشر وأفكارها، فهي تحتاج إلى أصوات ذات قوة ومثانة، في النطق لإيصال المعنى المراد للسامع.

6- كانت أكثر الصوامت الاحتكاكية تكراراً، (ه، س، ف)، صوت (السين) يحمل معنى الرقة والخفاء والسهولة، و (الفاء) يوحي بالبعثرة والتشتت والانتشار، وأقل الصوامت الاحتكاكية كان صوتي (ظ، ث).

7- كان أكثر الصوامت الانفجارية تكراراً، (الهمزة، والتاء، والباء)، فالهمزة تتسم بالظهور والبروز، والتاء، توحى بالتماسك والطراوة والليونة، والباء، تدل على الصلابة والظهور والعلو والامتلاء، وهذا كله يتناسب مع موضوع السورة. بينما كانت أقل الصوامت الانفجارية تكراراً (ض، ط).

8- غلبت الأصوات المرققة في سورة الحشر، على الأصوات المفخمة، فالسورة تحتاج إلى أصوات سهلة قريبة من القلب، وهذه السهولة والليونة موجودة في ملمح الترقيق، وكانت أكثر الأصوات المرققة تكراراً (ل، ن، و، م، ي) وأقلها (ذ، ز، ث).

9-احتلت الأصوات المفخمة المراتب الأخيرة في سورة الحشر، وذلك نظراً لما تتطلبه من جهد عضلي في أثناء عملية النطق، ومن أكثر الصوامت المفخمة وروداً صوت (القاف) وهو يحمل معنى القوة والصلابة والقسوة والشدّة. وأقلها تكراراً (ظ، ط).

10-كان أقل الأصوات تكراراً على مستوى سورة الحشر صوتي (ث، ط) فقد تكرر كل منهما مرتين فقط، يليهما (ظ، غ) فقد تكرر كل منهما 4 مرات، ثم يليهما صوت (ض) الذي تكرر 5 مرات. وهذه الأصوات لا تتناسب مع سورة الحشر، ومجمل أفكارها.

11-بلغ تكرار صوت الهمزة 88 مرة بنسبة (6.4%) واحتل المرتبة السادسة، على مستوى أصوات السورة، وهو صوت يتصف بالصعوبة، وشدّة الوضوح السمعي.

12-تكرر صوت (الجيم) المركب 17 مرة بنسبة 1.3%، ويعود ذلك إلى طبيعة صوت الجيم الصلبة والضخمة، وصعوبة نطقه.

13-جاءت الأصوات الصفيرية متقاربة النسب، من حيث التكرار، فصوت (س) تكرر 34 مرة، وصوت (ص) 17 مرة، وصوت (ش) 16 مرة وصوت (ز) 10 مرات. وهي نسب قليلة، إذا قورنت بغيرها من الأصوات، وهذا يعود إلى طبيعة هذه الأصوات، فهي لا تتناسب بشكل كبير مع أفكار السورة.

14-أما أنصاف الحركات فكانت من أكثر الأصوات تكراراً، على مستوى سورة الحشر وأفكارها، فقد تكرر صوت (الواو) 114 مرة، واحتل المرتبة الثالثة على مستوى سورة الحشر، وتكرر صوت الياء (96) مرة، واحتل المرتبة الخامسة، وهذه الأصوات تحمل نسبة عالية من الوضوح السمعي، الذي يناسب موضوع السورة.

ثانياً: الصوامت وملامحها التمييزية ودلالاتها في سورة الملك

سورة الملك هي إحدى السور المكيّة في القرآن الكريم، والتي يبلغ عدد آياتها ثلاثين آية، ويقع ترتيبها في القرآن الكريم في المرتبة السابعة والستين، وهي أول سورة في الجزء التاسع والعشرين من القرآن الكريم.

لقد قسمت الباحثة آيات سورة الملك إلى موضوعات وأفكار جزئية، يدور فلكها حول الفكرة العامة للسورة، وقد ورد ذكرها سابقاً¹ فكل مجموعة من الآيات حملت موضوعاً وفكرة معينة.

وبعد أن قسّمت الباحثة السورة إلى أفكارها الجزئية، قامت بتحليلها تحليلاً صوتياً، بواسطة إحصاء عدد الصوامت، والحركات القصيرة والطويلة التي كوّنت بمجموعها الأساس للنص القرآني، في هذه السورة الكريمة حيث قامت الباحثة بإحصاء تكرار الصوت المنطوق، وليس الحرف المكتوب، وقد بلغ عدد المكونات الصوتية بمكونيها، الصامت والحركي (1763) وحدة صوتية.

الرقم	الصوت	عدده في آيات السورة	النسبة
1	الهمزة	68	%6.9
2	الباء	37	%3.8
3	التاء	36	%3.6
4	الثاء	1	%0.1
5	الجيم	10	%1
6	الحاء	12	%1.2
7	الخاء	9	%0.9
8	الدال	17	%1.7
9	الذال	16	%1.6
10	الراء	60	%6.1
11	الزاي	9	%0.9
12	السين	29	%2.9
13	الشين	13	%1.3
14	الصاد	15	%1.5
15	الضاد	6	%0.6
16	الطاء	4	%0.4
17	الظاء	1	%0.1

¹ ينظر: ص 19 من هذا البحث.

18	العين	31	%3.1
19	الغين	5	%0.5
20	الفاء	39	%4
21	القاف	24	%2.4
22	الكاف	41	%4.2
23	اللام	101	%10.3
24	الميم	91	%9.3
25	النون	71	%7.2
26	الهاء	40	%4.1
27	الواو	51	%5.2
28	الياء	79	%8.1

ترتيب الأصوات الصامتة تنازلياً في السورة
اللام
الميم
الياء
النون
الهمزة
الراء
الواو
الكاف
الهاء
الباء
التاء
العين
السين
الفاء
القاف
الذال
الذال

الصاد
الشين
الحاء
الجيم
الخاء
الزاي
الضاد
الغين
الطاء
الظاء
الناء

وستنتقل الباحثة إلى دراسة الملامح التمييزية التي وسمت الأصوات العربية الواردة في آيات السورة، ثم ستحدث عن كثرة الصفات وقُلَّتْها، ودلالاتها على النص القرآني، أي الحديث عن التزاوج بين الدور الصوتي والإيحاءات الدلالية في النص.

أ - الجهر والهمس

وستعرض الباحثة جدولاً خاصاً بملحي الجهر والهمس، الخاص بكل فكرة من الأفكار التي تم ذكرها:

رقم الفكرة	الآية	الأصوات المهموسة المجموع النسبة	الأصوات المجهورة المجموع النسبة	لا مجهور ولا مهموس المجموع النسبة
1	الآية (5-1)	51 %31.6	105 %65.2	5 %3.1
2	الآية (6-11)	43 %27.3	100 %63.6	14 %8.9
3	الآية (12)	7 %18.4	29 %76.3	2 %5.2
4	الآية (13-15)	22 %22.9	64 %66.6	6 %6.2
5	الآية (16-23)	75 %31.8	143 %59.8	21 %8.7
6	الآية (24-27)	28 %27.1	66 %64	9 %8.7
7	الآية (28-30)	25 %22.3	76 %67.8	11 %9.8

قبل الحديث عن ملمحي الجهر والهمس، توّد الباحثة أن تشير إلى أنها ستدرس، في البداية، هذين الملمحين في الأفكار السبعة، بشكل عام، وستقوم بتتبع أعلى نسبة، وأقل نسبة لكلا الملمحين، وتبين السبب في ذلك مع ربطها بأفكار السورة، بعد ذلك ستقوم الباحثة بتتبع أكثر الأصوات المجهورة والمهموسة وروداً في كل السورة، وترتبها ترتيباً تنازلياً، ثم ستدرسها في كل فكرة من أفكار السورة، وترتب الأصوات المجهورة والمهموسة، بحسب ورودها في هذه الأفكار، من حيث أكثر الأصوات وأقلها وروداً، وتبين سبب شيوع بعض الأصوات، أو قلّة شيوعها في هذين الملمحين، ثم ستدرس نسبة صوت الهمزة، وتبين سبب وروده بكثرة في بعض الأفكار، وقلته في أفكار أخرى.

عند النظر في الجدول السابق وجدت الباحثة، أن الأصوات المجهورة التي وردت في سورة الملك بأفكارها السبعة غالبية على النسبة المئوية لورود الأصوات المهموسة، والسبب يعود إلى أن هذه السورة في جميع أفكارها تناقش إثبات ملك الله تعالى وعظمته، وقدرته على كل شيء، فهو مالك الدنيا والآخرة، ومليكهما، فهي تتحدث عن القدرة المطلقة لله تعالى، وتثبتها.

وهذه الأفكار، فيما ترى الباحثة، تحتاج إلى أصوات تكون منسجمة مع طبيعتها، أصوات فيها قوة وصلابة وشدة، وفيها وضوح سمعي عالٍ، وقدرة في التأثير على نفس المتلقي، وهذه الصفات يتسم بها ملمح الجهر الذي يتسم بالقوة، والوضوح في السمع، بسبب اهتزاز الوترين الصوتيين، وذلك مقابل ملمح الهمس الذي يتسم بالليونة والضعف، بسبب الخفوت المصاحب لنطق الصوت، وعدم اهتزاز الوترين الصوتيين.

فطبيعة الموضوع العام في سورة الملك هو إثبات ملك الله تعالى وعظمته، وقدرته على كل شيء، فهو مالك الدنيا والآخرة ومليكهما، وبيان أهم خصائص هذا الملك، وهي القدرة المطلقة لله تعالى، فالموضوع يحتاج إلى أصوات تناسبه، وتتوافق معه، والصوامت المجهورة هي الأكثر قرباً لطبيعة هذا الموضوع، فحين تتحدث الآيات عن عظمة الله تعالى وعلوه على خلقه، وقدرته المطلقة، لا بد من استخدام أصوات تتميز بالقوة، والشدة، والوضوح السمعي؛ ليكون لها الأثر الواضح في النفوس، والحجة والدليل على الكافرين النافرين لقدرة الله وعظمته.

وعند النظر إلى الجدول نلاحظ أنّ أعلى نسبة للأصوات المجهورة كانت في الفكرة الثالثة، التي تحدثت عن عاقبة المؤمنين الذين يخافون الله تعالى، وبلغت نسبتها (76.3%)، في حين بلغت نسبة ملمح الهمس فيها، (18.4%) وهي أقل نسبة في السورة كلها، ولم تكن نسبة ملمح الجهر فيها عالية، دون سبب، فالمتتبع للفكرة يرى أنه لا بد أن تكون نسبة هذا النوع من الأصوات مرتفعة؛ لأن طبيعة الفكرة تتطلب ذلك، والفكرة تبين مدى خشية المؤمنين من الله تعالى، سرّاً وعلانية، وجزاء خشيتهم سيكون المغفرة والأجر الكبير، وهذه الآية وضحت جزاء الذين يخشون ربهم، فكان لهذه الفكرة النسبة العالية من الأصوات المجهورة، لتؤدي المعنى المراد.

وتلت الفكرة السابقة، **الفكرة السابعة**، التي تحذر الكافرين من عذاب الله، وبلغت نسبة ملمح الجهر فيها (67.8%) وملمح الهمس (22.3%)، يلي ذلك **الفكرة الرابعة**، التي تحدثت عن مراقبه واطلاع الله تعالى على خلقه، وعن نعم الله عليهم، وأن اطلاع الله على عباده هو أساس العدل الإلهي المطلق يوم القيامة، وبلغت نسبة ملمح الجهر فيها (66.6%)، وملمح الهمس (22.9%)، ثم جاءت بعد ذلك **الفكرة الأولى** التي تحدثت عن قدرة الله تعالى الخالق، وقصة بداية الخلق وغاية الحياة، وأن الدنيا دار عمل، لا دار حساب، والآخر دار حساب، وبلغت نسبة ملمح الجهر فيها، (65.2%)، وملمح الهمس (31.6%)، ثم جاءت بعد ذلك **الفكرة السادسة** التي تحدثت عن حقيقة يوم القيامة وقدمه المفاجئ، وخسارة الكافرين وحسرتهم، وبلغت نسبة ملمح الجهر فيها (64%)، وملمح الهمس (27.1%)، ثم جاءت بعدها **الفكرة الثانية** التي تحدثت عن طريق المجرمين الكافرين وعاقبتهم، ووصف حالة جهنم عند لقاء الكافرين، وبلغت نسبة ملمح الجهر فيها (63.6%) وملمح الهمس (27.3%) ثم جاءت بعد ذلك **الفكرة الخامسة** التي ذكرت أدلة قدرة الله على الخلق وفضله على عباده، وهي حجج الله على خلقه، وبلغت نسبة ملمح الجهر فيها (59.8%) وملمح الهمس (31.8%).

نلاحظ مما سبق أن معظم الأفكار، التي تحدثت عنها، تطلبت ملمحاً مثل الجهر ؛ لأن طبيعة الأفكار التي تناولتها الآيات، كانت تتطلب أصواتاً تتسم بملمح القوة، والوضوح السمعي

والظهور في النطق، لنتناسب وطبيعة الأفكار، فجاءت نسبة ملمح الجهر عالية وقريبة من بعضها بعضاً؛ لتتوافق وطبيعة هذه الأفكار، ومن الخصائص التي تميز سورة الملك الوحدة الموضوعية في جميع أفكار السورة، فالسورة بمجملها تبارك وتمجد الله تعالى وعظمته وقدرته على البعث والنشور، وإقامة الحجة على المكذبين بالله وقدرته، لذلك ابتدأت بقوله تعالى: " تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ أَلَمٌ كُلُّ شَيْءٍ □ قَدِيرٌ"¹

وعند النظر إلى ملمح الهمس في الأفكار السبعة، يتبين أن الفكرة الخامسة، التي ذكرت أدلة على قدرة الله وفضله على عباده، وهي حجج الله على خلقه، احتوت على أعلى نسبة في ملمح الهمس، وبلغت (31.8%)، ولم يكن ذلك دون سبب، فطبيعة الفكرة التي تتحدث عنها الآيات تظهر لنا حالة البأس والفرع التي تحيط بالكافرين، عند رؤية قدرة الله تعالى المطلقة، وهي تحتاج إلى ملمح فيه ليونة وسهولة، وخفاء في النطق؛ وهذه الصفة تناسب ملمح الهمس الذي يتسم بالخفة والسهولة، والقوة والمتانة، في آن واحد.

ومن الأفكار التي احتوت على نسبة عالية من ملمح الهمس **الفكرة الأولى** التي بينت قدرة الله تعالى الخالق، وقصة بداية الخلق والنشأة الأولى، وأن الغاية من الحياة هي عبادة الله تعالى، فالله تعالى قدرته مطلقة، وهو على كل شيء قدير، فلا يعجزه شيء، ولا يفوته شيء، فالله سبحانه وتعالى خلق الموت والحياة، وهذه القدرة تسكب في قلوب المؤمنين الطمأنينة وبلغت نسبة ملمح الهمس فيها (31.8%)، فهذه الفكرة تحتاج إلى أصوات فيها ليونة وسهولة وخفاء، لتطمئن المؤمنين بأن القدرة بيد الله وحده، وتليها **الفكرة الثانية** بنسبة (27.3%) التي تحدثت عن حال المجرمين والكافرين، ووصف لجهم عند لقائهم، وهذه الفكرة احتاجت لأصوات المهموسة لتصف شعور المجرمين في نار جهنم، وتليها **الفكرة السادسة** بنسبة (27.1%) التي تحدثت عن حقيقة يوم القيامة وخسارة الكافرين وحسرتهم، وتليها **الفكرة الرابعة** بنسبة (22.9%) التي تتحدث عن مراقبة وإطلاع الله -جل وعلا- على خلقه وعلمه بكل أحوالهم، وتليها **الفكرة السابعة** بنسبة (22.3%) التي حذرت الكافرين من عذاب الله، وأخيراً

¹ الملك: الآية 1.

الفكرة الثالثة التي حملت أقل نسبة لملح الهمس في أفكار السورة جميعها بنسبة (18.4)، والتي تحدثت عن عاقبة المؤمنين الذين يخافون الله تعالى.

وخلاصة ما سبق أن الأفكار الموجودة في سورة الملك احتوت على ملمحي الجهر والهمس، ولكن بنسب متفاوتة بينهما ؛ وذلك لأن ملح الجهر يعطي معاني وأفكاراً فيها قوة وصلابة، ووضوح شديد في السمع، وذلك يتناسب مع الفكرة الأساسية في السورة، والتي تدور حولها جميع الأفكار الفرعية، وهي إثبات ملك الله تعالى وعظمته وقدرته على كل شيء، فهو مالك الدنيا والآخرة ومليكهما، وبيان أهم خصائص هذا الملك، وهي القدرة المطلقة لله تعالى، في حين يعد ملح الهمس من الملامح التي تنسم، بالخفة والسهولة والليونة، والمرونة والقوة والمتانة، في آن واحد، وهذه السمات تتناسب وطبيعة الأفكار، فالتناسب بين الملمحين ضروري، ليتحقق الانسجام بين أصوات السورة ودلالاتها.

أما بالنسبة لصوت الهمزة الذي يعدّ من أشق الأصوات وأعسرها، حين النطق؛ لأن مخرجه فتحة المزمار، ويحس المرء حين ينطق به كأنه يختنق.¹ فهذا الصامت متميز بالوضوح بإثارة سمعية، يستوجب تنشيطاً ذهنياً وتيقظاً فكرياً، تتطلبه الفكرة الرئيسية التي تحملها السورة، وهي إثبات ملك الله تعالى وعظمته، وقدرته على كل شيء فهو مالك الدنيا والآخرة ومليكهما، وبيان أهم خصائص هذا الملك، وهي القدرة المطلقة لله تعالى، فموضوع مثل هذا يحتاج إلى أصوات يكون لها الأثر الواضح في نفس المتلقي، فصوت الهمزة في الطبيعة يتميز بالظهور والبروز والنتوء² أكثر من غيره من الأصوات، وهو صوت يحمل معنى القوة، وهذه الأمور تلائم الجو العام للسورة.

وعند النظر إلى الأفكار الموجودة، يتبين أن نسبة صوت الهمزة كانت متفاوتة بين (3.1% - 9.8%) وكانت أعلى نسبة لصوت الهمزة في الفكرة السابعة التي حذرت الكافرين

¹ أنيس، إبراهيم: موسيقى الشعر، ص 26.

² ينظر: عباس، حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1998م، ص 95-96.

من عذاب الله، وطبيعة الفكرة جاءت متناسبة مع صوت الهمزة المتصف بالظهور والبروز والوضوح السمعي؛ لإيصال التحذير للكافرين، والتأثير فيهم، ونسبة صوت الهمزة فيها (9.8%)، ومن الأفكار التي كانت قريبة منها الفكرة الثانية التي تحدثت عن طريق المجرمين الكافرين وعاقبتهم، ووصف جهنم عند لقاء الكافرين، وبلغت نسبة صوت الهمزة في هذه الفكرة (8.9%)، ثم تليها الفكرتان الخامسة والسادسة بنسبة (8.7%) فالفكرة الخامسة ذكرت أدلة على قدرة الله تعالى وفضله على عباده، أما الفكرة السادسة فتحدثت عن حقيقة يوم القيامة، وخسارة الكافرين، ثم تليها الفكرة الرابعة بنسبة (6.2%) وهذه الفكرة تحدثت عن مراقبة الله - عز وجل - لخلقه وتحدثت عن نعم الله تعالى على عباده، وتليها الفكرة الثالثة التي بينت جزاء المؤمنين الذين يخافون الله، وبلغت نسبة الصوت (5.2%)، ثم تليها الفكرة الأولى بنسبة (3.1%) التي تحدثت عن قدرة الله تعالى الخالق، وهي أقل الأفكار تكراراً لصوت الهمزة، وطبيعة هذه الفكرة لا تحتاج إلى صوت يحمل ملامح الهمزة، لأنها تحدثت عن قدرة الله تعالى الخالق، وغاية الحياة.

وبعد دراسة ملمح الجهر والهمس في أفكار السورة، بشكل عام، ستأخذ الباحثة في دراسة ملمح الجهر والهمس على مستوى الأصوات التي ظهرت بأعلى نسبة في كل سورة، وترتيبها ترتيباً تنازلياً، من الأعلى وروداً إلى الأقل وروداً، في الملمحين كليهما، وتبين سبب ذلك.

(ل، م، ي، ن، ر، و، ب، ع، د، ذ، ج، ز، ض، غ، ظ).	ترتيب المجهور تنازلياً
(ك، ه، ت، س، ف، ق، ص، ش، ح، خ، ط، ث).	ترتيب المهموس تنازلياً

يتبين مما سبق أن أكثر الصوامت المجهورة في سورة الملك وأفكارها هي: (اللام) و (الميم) و (الياء) وهذه الصوامت المجهورة جميعها، تجمعها صفة القوة والوضوح السمعي، وجاءت هذه الصوامت مناسبة لطبيعة الموضوع العام، الذي تحدثت عنه سورة الملك، ولو أعدنا النظر إلى الجدول لوجدنا أن صوت (اللام) جاء حاملاً أعلى نسبة من الأصوات المجهورة، يليه صوت (الميم) ثم صوت (الياء).

وجاء صوت اللام في مقدمة الأصوات المجهورة بنسبة (10.3%)، لتمييزه بصفات ثلاث سور الملك، وأفكارها، فصوت اللام " يمتاز بالليونة والوضوح السمعي "¹ وهو صوت جانبي ذوذبذبة لطيفة، ويحمل هذا الصوت الدلالة على القوة، ويوحى بالثبات والتماسك، بسبب تحفز أعضاء النطق في إنتاجه، حيث يخرج من " حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان، وما بينهما، وبين ما يليها من الحنك الأعلى، وما فوق الضاحك والنباب والرباعية والثنية."² وينحرف اللسان إلى الجانب الأيمن من الفم، ويتصل طرفه، بأصول الثنايا العليا، وبذلك يحال بين الهواء، ومروره من وسط الفم ؛ فيتسرب من جانبه."³ وقد وصفه حسن عباس بأنه يوحى " بمزيج من الليونة والمرونة والتماسك والالتصاق "⁴ وفي التماسك والالتصاق قوة.

ويمكن تطبيق الصفات التي ذكرتها الباحثة على الفكرة الأولى التي احتلت النسبة الأكبر لتكرار الصوت مقارنة بغيره من الآيات الأخرى، تحدثت هذه الفكرة عن قدرة الله تعالى الخالق، فقد ابتدأت بقوله تعالى " تَبْرَكَ الَّذِي يَبْدِئُ الْخَلْقَ وَمُنْجِئُ الْخَلْقِ وَمُنْزِلُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَمُنْزِلُ الْوَحْيِ الْمُنِيرِ " فهي تعظم قدرة الله تعالى، ثم تحدثت عن دلائل إلهية على عظمة ملك الله وقوته، مثل خلق الموت والحياة، وخلق السماوات السبع، وهذه الأفكار جاءت متلائمة مع طبيعة حرف اللام الذي يتسم بالليونة، والمرونة، والوضوح السمعي لإيصال المعنى المراد، وكان حجة على الكافرين الذين ينكرون قدرة الله. أما الفكرة السادسة التي تحدثت عن حقيقة يوم القيامة وقدمه المفاجئ، وخسارة الكافرين وحسرتهم، فقد أدّى فيها صوت اللام معنى الانحراف، وخاصة عند خسارة الكافرين وحسرتهم على كفرهم، حيث إنهم كانوا يعاندون الله.

ومن أكثر الأصوات المجهورة ذكراً صوت الميم، ونسبته (9.3%) ولتكرار صوت (الميم) دلالات ثلاث الأفكار الموجودة في الآيات، فما يحدث عند إنتاجه من انطباق تام للشفيتين،

¹ ينظر: عباس، حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 41.

² سيبيويه، أبو بشر عمرو بن عثمان: كتاب سيبيويه، 573/4.

³ أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، ص 64.

⁴ ينظر: عباس، حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 41.

⁵ الملك، 1.

وتتذبذب الوترين، وخروج الهواء من الأنف بسبب انخفاض سقف الحنك اللين (الحنك الأقصى) إلى أسفل¹ كلها ملامح تجعل الصوت يحمل دلالة الليونة، والمرونة، والتماسك،² ويبعث جواً من الهدوء والوقار، عند التفكير بالآيات، فصوت الميم ينسجم مع الدلالة الموضوعية للأفكار، فحملت الفكرة الخامسة أعلى نسبة لتكرار حرف الميم، وهذا يتلاءم وطبيعة فكرة الآيات التي ذكرت أدلة على قدرة الله تعالى، وفضله على عباده، وهي حجج الله على خلقه، ولإيضاح الفكرة للسامع كان لا بد من استخدام صوت الميم الذي يتسم بالاستمرارية والوضوح السمعي.

ففي الفكرة الثالثة التي تحدثت عن عاقبة المؤمنين الذين يخافون الله كان لا بد من استخدام صوت الميم، الذي يتسم بالليونة والمرونة، ويحمل معنى الهدوء والوقار، وهذا يتناسب مع طبيعة الفكرة. ومن الصفات التي يحملها هذا الصوت، الغنة، وكذلك "يعد صوت الميم من الصوامت الاستمرارية، وهي الأصوات التي يمكن للمتكلم إطالتها"³، كما يعد من أوضح الصوامت في السمع، وكل هذه الصفات التي تميز هذا الصوت جعلته يحتل المرتبة الثانية في أكثر الأصوات المجهورة تكراراً في أفكار السورة.

ومن أكثر الأصوات المجهورة ذكراً صوت الياء وينتج " عندما يقترب مقدم اللسان تجاه الغار اقتراباً يسمح لتيار الهواء بالمرور، دون إحداث احتكاك مسموع، وتفتح الشفتان، ويتذبذب الوتران الصوتيان في أثناء مرور الهواء بالحنجرة، عند إنتاج هذا الصوت."⁴ واحتل صوت الياء المرتبة الثالثة، على مستوى أصوات سورة الملك، ويقول عنه العلايلي " أنه للانفعال المؤثر في البواطن، وهو قريب من الواقع، لكنه قاصر"⁵، وهو من أنصاف الحركات ذات الوضوح السمعي العالي، فمثلاً الفكرة الثانية التي تحدثت عن طريق الكافرين وعاقبتهم، ووصفت حال جهنم عند لقاء الكافرين، حملت أعلى نسبة تكرار لحرف الياء، في جميع أفكار

¹ النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربية، ص 164.

² ينظر: عباس، حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 72.

³ عمر، أحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي، ص 126.

⁴ النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربية، ص 166.

⁵ عباس، حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 99.

السورة، وطبيعة هذه الفكرة احتاجت صوتاً مثل صوت الياء الذي يتسم بالقوة والوضوح والسمعي، ومخاطبة الأنفس والتأثير فيهم.

فالصفات التي تميزت بها الأصوات التي تحدثنا عنها، جعلتها تحتل المراتب الأولى في الأصوات المجهورة، لكي تصبح مناسبة لطبيعة الموضوع العام للسورة، وهو إثبات ملك الله تعالى وعظمته وقدرته على كل شيء، فهو مالك الدنيا والآخرة ومليكهما، وبيان أهم خصائص هذا الملك، وهي القدرة المطلقة لله تعالى، وهذا يحتاج إلى أصوات قوية، ذات وضوح سمعي عال، ليكون لها الأثر الواضح في نفس المتلقي.

وأقل الصوامت المجهورة وروداً في هذه السورة، هي: (ظ، غ)، مع أن هذه الصوامت تتميز بصفات تميزها عن غيرها من الأصوات، إلا أن هذه الصفات لا تتناسب وطبيعة السورة، وأفكارها، فصوت الظاء، يعد من الأصوات الصعبة النطق، و (يتصف بالصلابة، والشدة، والضخامة)¹ أما صوت الغين، (فيوحي بالغموض والخفاء)² وهذه الصفات لا تتناسب مع موضوع السورة الذي يهدف إلى جذب الانتباه، والإقناع، أكثر من الزجر والترهيب للسامع، فكانت الأصوات الأكثر وروداً، والأقل وروداً في مكانها، وهذا من ملامح إعجاز القرآن الكريم.

أما بالنسبة للصوامت المهموسة، التي تتسم بالحسّ الخفي والسهولة التي يجري معها النفس³، فقد كان صوت (الكاف، والهاء، والتاء) من أكثر الأصوات التي تحمل ملمح الهمس في السورة، أما صوت (الطاء، والثاء)، فقد كانت من أقل الصوامت المهموسة وروداً في سورة الملوأفكارها، ولعل سبب ظهور هذه الأصوات بأعلى نسب من غيرها في ملمح الهمس، عائداً إلى صفات هذه الأصوات، فطبيعة الفكرة تستدعي صفة الصوت الظاهر في ذلك الملمح.

فصوت الكاف، صوت فموي، مهموس، انفجاري، وينتج " عندما يلتقي أقصى اللسان بالطبق، مما يؤدي إلى احتباس تيار الهواء خلف نقطة الالتقاء، ثم ينفصل العضوان الملتقيان،

¹ ينظر: عباس، حسن: **خصائص الحروف العربية ومعانيها**، ص 120-123.

² المرجع السابق، ص 126.

³ ينظر: القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب: **الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة**، ص 116.

فيندفع الهواء محدثاً صوتاً انفجارياً لا يتذبذب معه الوتران الصوتيان.¹ وهذا الصوت يوحي "بالخشونة، والقوة والضخامة، والفعالية والامتلاء والتجميع"² وهذه الدلالات تتناسب مع موضوع السورة وأفكارها، فعند الحديث عن جهنم يوحي الصوت بالقوة والضخامة والحرارة، وهذا تجلّي في الفكرة الثانية التي وصفت جهنم، وحالها عند لقاء الكافرين.

ويلي صوت الكاف في ترتيب الأصوات المهموسة صوت الهاء، وهذا الصوت "يدل على الاضطراب، والانفعال النفسي، ويدل على خفوت في الصوت،³ ويدل على الضعف والرقّة،⁴ وهذه الدلالات تتناسب ومفهوم الهمس الذي يدل على الخفة والسهولة، فقد جاء هذا الصامت متناسباً مع موضوع السورة، وأفكارها، وكان يدل على الانفعال والاضطراب النفسي للكافرين، عند لقاء نار جهنم، وخسارتهم وحسرتهم يوم القيامة، أما في سياق الحديث عن المؤمنين وعاقبتهم يوم القيامة، وإطلاع الله على خلقه وإبراز العدل الإلهي المطلق، فقد حمل معنى الرقة والهدوء، ليناسب المعنى المراد، فنلاحظ أن دلالات هذه الصوامت جاءت منسجمة ومعاني السورة.

ويلي صوت الهاء في ترتيب الأصوات المهموسة صوت التاء، ويدل صوت التاء على معان لها علاقة "بالليونة، والضعف، والرقّة"⁵ ويعد صوت التاء صوتاً أجلاً، يطول معه النقاء طرف اللسان، وأصول الثنايا العليا، وبالتالي يمكن أن نستوحي من صفاته هذه، معاني المشقة، والعذاب، ولو نظرنا إلى الفكرة الثانية التي بينت طريق الكافرين وعاقبتهم يوم القيامة، ووصف لجهنم عند لقاء الكافرين، فوصفت حال الكافرين يوم القيامة، وهم يعانون المشقة والعذاب والحسرة، أما الفكرة الأولى التي أثبتت ملكية الله الخالق لكل شيء، وبينت أن الدنيا دار عمل، والآخرة دار حساب، لا عمل، فمعها يشعر المؤمنون بالراحة والطمأنينة والسكينة؛ لأن الله على

¹ النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربية، ص 163.

² عباس، حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 70.

³ ينظر: نفسه، ص 40.

⁴ ينظر: عباس، حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 55-59.

⁵ ينظر: المرجع السابق، ص 55-59.

كل شيء قدير، وتجلّى في هذه الفكرة معنى الرقة والليونة، لبثّ السكينة في قلوب المؤمنين، فصوت التاء حمل دلالات أدت المعنى المراد.

في حين إن صوت (الطاء، والتاء) كانا يحملان أقل نسبة لملمح الهمس في أفكار السورة كلها، ولو تتبععت صفات هذه الأصوات؛ لوجدت أنها لا تتناسب وطبيعة أفكار السورة، فـصوت الطاء " من الأصوات الصعبة في النطق، " ويدل على القوة والصلابة والضخامة"¹ وصوت التاء قليل الورد في الجذور العربية، وذلك عائد إلى أن النطق بهذا الصوت يتطلب جهداً عضلياً يتمثل في إخراج طرف اللسان، ووضعه بين أطراف الثنايا العليا والسفلى للأسنان² ولا شك أن ذلك جهد عضلي، تخلصت منه لغة الكلام، وهذا الجهد لا يتناسب مع طبيعة السورة وأفكارها.

ب. الانفجار والاحتكاك

وستعرض الباحثة جدولاً خاصاً بملمحي الانفجار والاحتكاك، الخاص بكل فكرة من الأفكار الواردة في السورة:

رقم الفكرة	الآية	الأصوات الانفجارية المجموع النسبة	الأصوات الاحتكاكية المجموع النسبة
1	الآية (1-5)	31 %40.2	46 %59.7
2	الآية (6-11)	25 %35.2	46 %64.7
3	الآية (12)	6 %42.8	8 %57.1
4	الآية (13-15)	15 %44.1	19 %55.8
5	الآية (16-23)	41 %39.8	62 %60.1
6	الآية (24-27)	23 %52.2	21 %47.7
7	الآية (28-30)	16 %42.1	22 %57.8

¹ عباس، حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 122.

² النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربية، ص 157.

ستقوم الباحثة بدراسة هذه الملامح بالطريقة نفسها التي درست بها ملمح الجهر والهمس، فستدرس في البداية هذه الملامح، من حيث ورودها في الأفكار، ثم ستدرس أكثر الأصوات وروداً في الصوامت الانفجارية، والاحتكاكية، وتبين سبب شيوع صوت على حساب بقية الأصوات.

نلاحظ، عند النظر للجدول السابق، أن جميع الأفكار التي تحدثت عنها السورة قد تميزت بتفوق نسب ملمح الاحتكاك، على حساب ملمح الانفجار، فبلغت نسبة ملمح الاحتكاك (23%) بينما بلغت نسبة ملمح الانفجار (16.1%)، وهذا أمر طبيعي، إذ إن عدد الصوامت الاحتكاكية البالغة ثلاثة عشر صوتاً، يفوق عدد الصوامت الانفجارية البالغة ثمانية صوامت.

لقد كانت نسبة الصوامت الاحتكاكية في سورة الملك أعلى من نسبة الصوامت الانفجارية؛ وذلك يعود إلى طبيعة الصوامت الاحتكاكية الصعبة والفخمة في النطق، "فالأصوات الاحتكاكية تعد أصواتاً صعبة في النطق، إذا ما قورنت بنظائرها الانفجارية؛ لأنه عند النطق بالأصوات الاحتكاكية يلامس الناطق صعوبة كبيرة في انتاجها"¹، وجاء تكرارها متناسباً مع طبيعة أفكار سورة الملك، وكانت أعلى نسبة لتكرار الأصوات الاحتكاكية في الفكرة الثانية حيث بلغت نسبة التكرار 64.7% وجاءت لتلائم طبيعة الفكرة التي تحدثت عن طريق الكافرين وعاقبتهم، ووصفت جهنم عند لقاء الكافرين، فاحتاجت إلى أصوات ذات قوة ومتانة في النطق؛ لإيصال المعنى المراد للسامع وإقناعه، وحملت هذه الفكرة أقل نسبة من الصوامت 35.2%، ولذلك لعدم مناسبتها لطبيعة الفكرة.

وبلغت نسبة الصوامت الاحتكاكية في الفكرة الخامسة 60.1%، وهي نسبة مرتفعة، مقارنة بنظائرها من الصوامت الاحتكاكية، فالفكرة تتحدث عن عظمة الله تعالى، وأدلة على قدرته في الخلق، وفضله على عباده، وجاءت الصوامت الاحتكاكية متناسبة مع طبيعة الفكرة التي تحتاج إلى السكون والهدوء؛ لإقناع السامع والتأثير فيه، فالأصوات الاحتكاكية تدل على

¹ أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، ص 211.

معاني " التؤدة والليونة، والسكون، والهدوء التي تعد من سمات النطق الحضري والمدني.¹ وتلي الفكرة الخامسة الفكرة الأولى، وبلغت نسبة الأصوات الاحتكاكية فيها 54.7% وتليها الفكرة الثانية بنسبة 54.3%، ثم الفكرة السادسة بنسبة 59.7%، ثم الفكرة الثالثة بنسبة 57.1%، ثم الفكرة الرابعة بنسبة 55.8%، وأخيراً الفكرة السادسة بنسبة 47.7% وهي أقل الأفكار تكراراً للصوامت الاحتكاكية مقارنة بغيرها.

أما بالنسبة للصوامت الانفجارية التي كانت أقل تكراراً من نظائرها الاحتكاكية، فبلغت أعلى نسبة تكرار للصوامت الانفجارية 52.2% في الفكرة السادسة التي تحدثت عن حقيقة يوم القيامة، وقدمه المفاجئ، وخسارة الكافرين وحسرتهم، وتطلبت هذه الفكرة غلبة الأصوات الانفجارية التي لا تتطلب جهداً في إنتاجها على الأصوات الاحتكاكية، وتتسم الأصوات الانفجارية بالقوة والوضوح، وسهولة النطق، لتتناسب المعنى المراد، ثم تبتعث الفكرة الرابعة بنسبة 44.1% ثم تبتعث الفكرة الثالثة بنسبة 42.8% ثم الفكرة السابعة بنسبة 42.1% ثم الفكرة الأولى 40.2%، وتليها الفكرة الخامسة بنسبة 39.8%، وكانت أقل نسبة لتكرار الصوامت الانفجارية في الفكرة الثانية، بنسبة 35.2%، فاحتاجت هذه الأفكار إلى أصوات تحمل ملامح القوة، وأصوات تحمل ملمح الهدوء والسكون، لإيصال المعنى المراد.

فالأفكار الموجودة في السورة، مع اختلاف نسب ملمح الانفجار عن ملمح الاحتكاك فيها، إلا أنها جمعت بين الملمحين، وكانت النسب قريبة بينهما نوعاً ما، مع التأكيد على تفوق ملمح الاحتكاك في جميع الأفكار، ما عدا الفكرة السادسة التي كانت فيها نسبة ملمح الانفجار أعلى من ملمح الاحتكاك، فطبيعة الأفكار تحتاج إلى ملمح يتسم بالصعوبة النطقية، ويحمل صفات الليونة، والتؤدة، والسهولة، والوضوح السمعي، وذلك موجود في ملمح الاحتكاك، وهو الأعم في الأفكار جميعاً، وفي نفس الوقت تحتاج الأفكار إلى ملمح يتسم بالقوة والسهولة النطقية، وشدة تأثيره على السامع بصوته المدوي، وذلك موجود في ملمح الانفجار.

¹ أنيس، إبراهيم: في اللهجات العربية، ص 100.

وبعد أن تحدثت الباحثة عن ملمح الانفجار والاحتكاك، في أفكار السورة كافة، سنتناول الحديث عن أصوات الملمحين كليهما، وتبين سبب تفوق صوت على حساب صوت آخر، في الملمحين.

ترتيب الصوامت الانفجارية تنازلياً	(الهمزة، الباء، التاء، القاف، الدال، الضاد، الطاء)
ترتيب الصوامت الاحتكاكية تنازلياً	(الكاف، العين، السين، الفاء، الصاد، الشين، الحاء، الخاء، الزاي، الغين، الظاء، الثاء).

يتبين من الجدول السابق أن أكثر الأصوات الانفجارية وروداً في سورة الملك وأفكارها، هو صوت الهمزة، يليه صوت (الباء) ثم صوت (التاء)، وأقل الأصوات الانفجارية وروداً هو صوت (الضاد، والطاء)

أما بالنسبة للأصوات الاحتكاكية، فقد كان أكثر الأصوات الاحتكاكية وروداً في السورة، هو صوت (الكاف ثم العين ثم السين) وأقل الأصوات الاحتكاكية وروداً هي (الطاء، والثاء).

وستبين الباحثة سبب كثرة ورود الأصوات الانفجارية، والاحتكاكية، في بعض الحالات، وقلة ورودها على حساب غيرها في حالات أخرى.

أما بالنسبة للأصوات الانفجارية فصوت الهمزة يعد من أكثر الأصوات الانفجارية ذكراً في آيات سورة الملك وأفكارها، ويحمل نسبة 6.9 % من أصوات السورة، فعند النطق بصوت الهمزة "تقل الفتحة بين الوترين الصوتيين، وهي فتحة المزمار، إقفالاً تاماً مما يؤدي إلى احتباس الهواء الصادر من الرئتين، فيخرج الهواء فجأة عبر المزمار، محدثاً صوتاً انفجارياً".¹ فطبيعة هذا الصوت التي سبق الحديث عنها، في سياق الحديث عن اللامهموس واللامجهور² أهله لكي يكون أكثر الأصوات الانفجارية تكراراً، في سورة الملك، لوضوحه السمعي، وأثره في المتلقي، واتسامه بالظهور والبروز.

¹ النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربية، ص 156.

² ينظر: ص 86، من هذا البحث.

أما صوت الباء فقد كان أكثر الأصوات الانفجارية وروداً، بعد صوت الهمزة، وينتج صوت الباء الانفجاري " عندما تقفل الشفتان إقفالاً تاماً، أمام تيار الهواء، ويصاحب ذلك رفع الحنك اللين، حتى لا يخرج الهواء من التجويف الأنفي، الأمر الذي يؤدي إلى حبس الهواء في التجويف الفموي، مدة من الزمن، ثم تنفجر الشفتان، فيندفع الهواء من بينهما محدثاً صوتاً انفجارياً".¹

وصوت الباء يدل على الصلابة، والغلظة، وإلى هذا الرأي ذهب ابن جني، حين قال: "فالباء لغلظها تشبه بصوتها خفة الكف على الأرض"² وهذه الصلابة نابعة من طبيعته النطقية، ولهذا الصوت دلالاته الإيحائية في النص، كما أن في صوت الباء دلالة على بلوغ معنى في الشيء بلوغاً تاماً³، ويتميز صوت الباء "بالاتساع، والامتلاء، والعلو، والانبثاق، والظهور"⁴، وهذه الصفات أعطت إيحاءً قوياً وصلابة لهذا الصوت، ليتناسب والفكرة العامة للسورة، وهي إثبات ملك الله تعالى وعظمته وقدرته على كل شيء، فهو مالك الدنيا والآخرة ومليكها، وبيان أهم خصائص هذا الملك، وهي القدرة المطلقة لله تعالى.

وجاءت صفات صوت الباء منسجمة مع طبيعة الأفكار التي ورد فيها الصوت، فالفكرة الأولى تحدثت عن قدرة الله تعالى الخالق، وقصة بداية الخلق، وتبارك الله تعالى الخالق، فهو خالق السماوات والأرض والكواكب، وهو على كل شيء قدير، فجاء صوت الباء يحمل معنى الاتساع والظهور، لإثبات قدرة الله وملكيته.

ويلي صوت الباء صوت التاء، حيث تكرر بنسبة (3.6%) في أفكار السورة جميعها، وينتج صوت التاء "عندما يحتبس تيار الهواء المنتج له احتباساً تاماً خلف منطقة التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا، ومقدم اللثة، ثم يبتعد اللسان فجأة عن نقطة الالتقاء، مما يؤدي إلى

¹ النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربية، ص 156.

² الخصائص، 163/2.

³ العلايلي، عبد الله: مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نصنع المعجم الجديد، ص 210.

⁴ عباس، حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 101-102.

انطلاق الهواء محدثاً صوتاً انفجارياً، غير مصحوب بذبذبة الوترين الصوتيين.¹ وصوت التاء، صوت "متماسك مرن يوحى بملمس بين الطراوة والليونة"².

وهذه الصفات، كانت متلائمة مع الفكرة الرابعة التي تحدثت عن مراقبة، الله تعالى وإطلاعه على أحوال عباده، وأن علم الله تعالى بأحوال خلقه هي أساس العدل الإلهي المطلق، فاحتاجت الفكرة إلى حرف مثل الباء يتسم بالتماسك، والمرونة، لإيصال المعنى المراد.

ومن أقل الأصوات الانفجارية ذكراً في سورة الملك وأفكارها (الضاد، والطاء) فصوتا الضاد والطاء من الأصوات الصعبة في النطق، "ويدلان على القوة والصلابة والضخامة"³، فهما من أقل الأصوات استعمالاً على مستوى سورة الملك وأفكارها؛ لأن طبيعتها الصوتية لا تتناسب، وطبيعة سورة الملك وأفكارها.

أما بالنسبة للأصوات الاحتكاكية، فصوت الكاف يعد من أكثر الأصوات الانفجارية ذكراً، في آيات سورة الملك وأفكارها، ويحمل نسبة 4.2% من أصوات السورة وينتج "عندما يلتقي أقصى اللسان بالطبق، مما يؤدي إلى احتباس تيار الهواء خلف نقطة الالتقاء، ثم ينفصل العضوان الملتقيان، فيندفع الهواء محدثاً صوتاً انفجارياً لا يتذبذب معه الوتران الصوتيان".⁴ وهذا الصوت يوحى "بالخشونة، والقوة والفعالية والامتلاء والتجميع"⁵ وهذه الدلالات تتناسب مع موضوع السورة وأفكارها، فعند الحديث عن جهنم يوحى هذا الصوت بالقوة، فمثلاً في الفكرة السادسة التي تحدثت عن حقيقة يوم القيامة وقدمه المفاجئ، وخسارة الكافرين وحسرتهم، في هذا السياق كان صوت الكاف يحمل معنى القوة والفعالية والتجميع، ليصف حالة الكافرين وحسرتهم، فجاءت دلالات هذا الصوت تؤدي المعنى المراد. وكان صوت الكاف من أكثر الأصوات المهموسة تكراراً في السورة.

¹ النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربية، ص 157.

² عباس، حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 55.

³ المرجع السابق، ص 122.

⁴ النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربية، ص 163.

⁵ عباس، حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 70.

ويلي صوت الكاف صوت العين، حيث تكرر بنسبة (3.1%) في أفكار السورة جميعها، وينتج صوت العين " عند تضيق الفراغ الحلقي من فوق الحنجرة، بحيث يحدث مرور تيار الهواء احتكاكاً مسموعاً في المضيق الحلقي معذباً للوترين الصوتيين،¹ فالعين صامت فموي، حلقي، احتكاكي، مجهور. وصوت العين يحمل معنى " المرونة والعذوبة والنقاء والفعالية والقوة"²، وهذه الصفات كانت متلائمة مع الفكرة الثالثة التي تحدثت عن عاقبة المؤمنين الذين يخافون الله، وهنا كان صوت العين يحمل معنى المرونة والفعالية، أما الفكرة الخامسة فقد ذكرت أدلة على قدرة الله تعالى وفضله على عباده، وهنا تحمل العين معنى القوة والفعالية، لتؤدي المعنى المراد.

ويلي صوت العين، صوت السين الاحتكاكي، ويتم النطق بهذا الصامت عندما ترتفع مقدمة اللسان، في اتجاه اللثة العليا، مع وجود منفذ ضيق، يتسرب منه تيار الهواء، محدثاً صوتاً احتكاكياً، لا يتذبذب عند النطق به الوتران الصوتيان. " وصوت السين من الأصوات التي تحمل معنى " الرقة والخفة والسهولة، وفيها أيضاً معنى الشدة والفاعلية"³، واحتل صوت السين المرتبة الثالثة في الأصوات الاحتكاكية الأكثر تكراراً في سورة الملك، وجاءت معاني صوت السين متلائمة مع أفكار السورة وموضوعها، فمثلاً لو نظرنا للفكرة الأولى التي تحدثت عن قدرة الله تعالى الخالق، وقصة بداية الخلق، وغاية الحياة، حيث تكرر صوت السين في هذه الفكرة وحمل معنى الرقة والسهولة والفاعلية، لأن هذه الفكرة تثبت ملكية الله وقدرته وعظمته في الخلق، وهذا يتوافق مع المعنى المراد.

ومن أقل الأصوات الاحتكاكية ذكراً في سورة الملك وأفكارها (الظاء، والثاء) فصوت الظاء يعد من الأصوات التي تتسم بصعوبة نطقها، ويتصف بالصلابة، والشدة، والضخامة⁴، وصوت الثاء قليل الورد في الجذور العربية، وذلك عائد إلى أن النطق بهذا الصوت يتطلب

¹ النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربية، ص 158، 162.

² عباس، حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 212-213.

³ ينظر: المرجع السابق، ص 113-114.

⁴ ينظر: المرجع السابق، ص 120-123.

جهداً عضلياً يتمثل في إخراج طرف اللسان، ووضعه بين أطراف الثنايا العليا والسفلى للأسنان¹ ولا شك أن ذلك جهد عضلي، تخلصت منه لغة الكلام، وهذا الجهد لا يتناسب مع طبيعة السورة وأفكارها.

ج. التفخيم والترقيق

والجدول الآتي يوضح لنا مجموع الأصوات المفخمة (كلياً وجزئياً)، والأصوات المرفقة، ونسبها في سورة الملك.

رقم الفكرة	الآية	الأصوات المفخمة المجموع النسبة	الأصوات المرفقة المجموع النسبة
1	الآية (1-5)	13 %8.2	144 %91.7
2	الآية (6-11)	12 %8	138 %92
3	الآية (12)	2 %5.2	36 %94.7
4	الآية (13-15)	8 %18.1	36 %81.8
5	الآية (16-23)	18 %8.6	201 %91.7
6	الآية (24-27)	6 %6.3	88 %93.6
7	الآية (28-30)	5 %4.9	96 %95

عند النظر في الجدول السابق نلاحظ أن نسبة الأصوات المرفقة، في سورة الملك، أعلى من نسبة الأصوات المفخمة؛ والسبب في ذلك يعود إلى أن عدد الأصوات المرفقة في اللغة العربية أكثر من عدد الأصوات المفخمة؛ لأن الأفكار التي تتحدث عنها السورة، تتطلب صوتاً قريباً من القلب، تتقبله النفس بسهولة، وهذه السهولة والليونة موجودة في الترقيق.

ولو أعدنا النظر مرة أخرى للجدول، لوجدنا أن نسبة الأصوات المرفقة، في الأفكار جميعها، تراوحت بين (81.8%-95%)، في حين كانت نسبة الأصوات المفخمة تتراوح بين (4.9% و18.1%).

¹ النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربية، ص 157.

يتضح من هذه النسب أن الأصوات المرققة غلبت على الأصوات المفخمة في سورة الملك، وذلك يعود إلى الطبيعة النطقية الأسهل للأصوات المرققة، إذ إن "مقدم اللسان عند إنتاج هذه الأصوات يرتفع في اتجاه الغار، وهذا ما يطلق عليه مصطلح التغير" ¹، بينما الأصوات المفخمة تحتاج إلى جهد كبير عند نطقها أكثر مما تحتاجه الأصوات المرققة، وملح التفخيم، بشكل عام، يمنح الصوت قوة أكثر من غيره، وطبيعة الموضوع الرئيسي الذي تدور حوله الآيات، هو إثبات ملك الله تعالى وعظمته وقدرته على كل شيء، فهو مالك الدنيا والآخرة ومليكها، وبيان أهم خصائص هذا الملك، وهي القدرة المطلقة لله تعالى، وهذا يحتاج إلى أصوات فيها رقة ؛ لتكون قريبة للسامع مؤثرة فيه، وملح الترقيق يكسب الصوت ضعفاً، ينسجم مع معاني الرقة والهدوء، فالآيات، في مجملها، تحدثت عن إثبات ملكية الله وقدرته على كل شيء، حيث افتتحت السورة بقوله تعالى " تَبْرَكَ الَّذِي يَبْدِئُ الْخَلْقَ وَيُعِيدُهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" ²، وذكرت أدلة على قدرة الله تعالى في الخلق، وبيّنت أن علم الله تعالى بمخلوقاته وإطلاعه عليهم هو أساس العدل الإلهي المطلق، وهذا يحتاج إلى أصوات مرققة، لتؤدي المعنى المراد.

وإذا تتبع القارئ نسبة كل من الأصوات المفخمة، والمرققة في كل فكرة من أفكار السورة، يجد أن الفكرة السابعة حملت أعلى نسبة من الأصوات المرققة، وبلغت (95%) بينما كانت نسبة الأصوات المفخمة (4.9%) وهي أقل نسبة للأصوات المفخمة في السورة كلها، ويعود السبب في غلبة الأصوات المرققة على الأصوات المفخمة إلى طبيعة الفكرة التي حذرت المكذبين من عذاب الله، فخاطبتهم الآيات بأصوات لينة رقيقة، فهذه الفكرة تحتاج إلى أصوات رقيقة تنسم بالمرونة والسهولة واليسر والبساطة، أصوات تؤثر في السامع، وتصل إلى القلوب قبل العقول، لتؤدي المعنى المراد من الآيات.

ويلي الفكرة السابعة الفكرة الثالثة، حيث بلغت نسبة الأصوات المرققة (94.7%)، وفي حين بلغت نسبة الأصوات المفخمة (5.2%) وتحدثت هذه الفكرة عن عاقبة المؤمنين الذين

¹ النوري: محمد جواد: علم الأصوات العربية، ص 154.

² الملك: الآية 1.

يخافون الله تعالى، فاحتاجت إلى أصوات سهلة لينة ذات وضوح سمعي، لإيصال المعنى المراد، ويلى الفكرة الثالثة الفكرة السادسة، حيث بلغت نسبة الأصوات المرققة (93.6%) والأصوات المفخمة (6.3%) فالفكرة السادسة تحدثت عن حقيقة يوم القيامة، وقدومه المفاجئ، وخسارة الكافرين وحسرتهم، ويليهما الفكرة الثانية التي تحدثت عن طريق المجرمين الكافرين، وعاقبتهم في جهنم، وبلغت نسبة الأصوات المرققة (92%)، والأصوات المفخمة (8%)، ويليهما الفكرة الخامسة والأولى، وبلغت نسبة الأصوات المرققة فيهما (91.7%)، والأصوات المفخمة (8.2%) والفكرة الأولى تحدثت عن قدرة الله تعالى الخالق، والفكرة الخامسة ذكرت أدلة على قدرة الله تعالى في الخلق، فالفكرتان تربطهما صلة وثيقة، فاحتاجت إلى أصوات سهلة لينة؛ لأنها تتحدث عن قدرة الله تعالى، وفضله على عباده، أما الفكرة الرابعة التي حملت أقل نسبة من الأصوات المرققة مقارنة بغيرها من الأفكار فبلغت (81.1%) والأصوات المفخمة (18.1%).

إن طبيعة الصوت لها الأثر الواضح في نفس المتلقي، فالصوت يناسب الموضع الذي قيل فيه، وكما ذكر سابقاً، السورة في معظم أفكارها تدور حول إثبات ملكية الله تعالى، وقدرته على الخلق، وفضله على عباده وهذه الأفكار يناسبها ملمح الترقيق، فهو ملمح ضعيف، وهو يناسب المعاني الرقيقة والهادئة، وفي أفكار السورة جميعها، كانت النسبة الأعلى لملمح الترقيق على حساب ملمح التفخيم، ولعل ذلك عائد إلى الطبيعة النطقية السهلة، للأصوات المرققة، وعند الحديث عن جهنم وأهوالها عند لقاء الكافرين، غلبت الأصوات المفخمة، وهذا أكسب المعنى قوة وفخامة، ليعطي جواً من الرهبة، وليناسب طبيعة المقام الذي قيل فيه.

أما الأصوات المفخمة فيعزى سبب قلة نسبها في أفكار السورة إلى وضعها النطقي الذي يتصف بالصعوبة، إضافة إلى المعاني التي يحملها هذا الملمح، من حيث القوة والضخامة، بعكس المرقق الذي يتسم باللين والرقّة.

ويظهر في الجدول الآتي الأصوات المرققة والأصوات المفخمة، مرتبة ترتيباً تنازلياً،

على مستوى سورة الملك

ترتيب المرقق تنازلياً	(ل، م، ي، ن، ع، ر، و، ك، ه، ب، ت، ع، س، ف، د، ذ، ش، ح، ج، ز، ث)
ترتيب المفخم تنازلياً	(ق، ص، خ، ض، غ، ط، ظ)

يلاحظ من الجدول السابق أن أكثر الأصوات المرققة ذكراً، في سورة الحشر، هي: (ل، م، ي، ن، ع، ر، و) وأن أقل الأصوات المرققة ذكراً هي: (ز، ث). في حين كانت أكثر الأصوات المفخمة ذكراً في السورة هي: (ق)، وأقل الأصوات المفخمة ذكراً هي: (ط، ظ).

فالأصوات المرققة كان لها النصيب الأكبر في سورة الملك، واشتركت بصفات معينة، فأصوات (ل، ن، م، ر) تتميز بأنها أصوات مائعة ذات وضوح سمعي، وصوتا (و، ي) يعدان من أنصاف الصوامت، وأنصاف الصوامت تتميز بوضوحها السمعي.

ولو وقفنا عند الأصوات المرققة الأكثر ذكراً في السورة، وتناسبها مع الأفكار الموجودة في الآيات، لوجدنا أن الأصوات كانت منسجمة، ودلالاتها، فأصوات (ل، م، ي، ن) تعد من الأصوات المائعة، أو الرنانة وهذه الأصوات "تشبه الحركات في خاصية سمعية مهمة، تتمثل فيما يعرف بالوضوح السمعي،" ¹ فقد سبق الحديث في سياق الحديث عن ملمح الجهر والهمس، ²

أما صوت الراء التكراري المرقق فقد احتل المرتبة الخامسة، على مستوى أصوات سورة الملك، ويعود السبب في ذلك إلى طبيعة صوت الراء التكرارية، "فصوت الراء فيه حركة وتردد واضطراب، ويحمل في طياته معنى الرقة والمرونة"³، فمثلاً الفكرة السادسة التي وصفت حال الكافرين، يوم القيامة، وحسرتهم، احتاجت إلى وجود صوت الراء؛ لأنه يحمل معنى الحركة والتردد والاضطراب النفسي، الذي كان يسيطر على الكافرين، يوم القيامة، فهو أدى وظيفة دلالية ترتبط بالمعنى المراد إيصاله.

¹ بشر، كمال: علم الأصوات، ص 358.

² ينظر: ص 94-97، من هذا البحث.

³ ينظر: عباس، حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 80-85.

أما بالنسبة لأقل الأصوات المرققة ذكراً، فهي: (ز، ث)، فهذه الأصوات برغم اتصافها بالسهولة والليونة لكونها تحمل صفة الترقيق، إلا أنها لا تتسجم والموضوع الأساسي للسورة، وهو إثبات ملكية الله تعالى وقدرته على الخلق.

فصوت الزاي الذي " ترتفع مقدمة اللسان في اتجاه اللثة العليا، في أثناء النطق به، مع وجود منفذ ضيق يتسرب منه تيار الهواء، محدثاً صوتاً احتكاكياً يتذبذب في أثناء النطق به الوتران الصوتيان.¹ فقد ورد بأقل نسب من غيره من الأصوات المرققة، وذلك عائد إلى طبيعة هذا الصوت، " الذي يتسم بالاضطراب والاهتزاز والانزلاق بما يحاكيذب صوتاً، ويعطي إحاءاً بالشدة والفاعلية.² وهذه الصفات لا تتسجم وطبيعة أفكار سورة الملك، فلو نظرنا إلى الفكرة الثالثة التي نتحدث عن عاقبة المؤمنين الذين يخافون الله، لوجدنا أن طبيعة الفكرة تتطلب صوتاً قريباً من النفس، له الأثر الواضح في السمع، وهذه الصفات لا يتسم بها صوت الزاي، فالفكرة تتحدث عن أمور لا تحتاج إلى أصوات تتسم بالاضطراب والشدة والفاعلية، حتى تكون قريبة من ذهن السامع.

وتحدثت الباحثة عن صوت (الثاء) في سياق حديثها عن الجهر والهمس³، وبينت أنه صوت قليل الورد في الجذور العربية، ومع أن هذا الصوت، صوت قوي الشخصية منفتح، إلا أن طبيعة الأفكار لا تتسجم مع معاني هذا الصوت، وصفاته الدلالية، فقد خلا من جميع أفكار السورة، باستثناء الفكرة الخامسة، فقد ورد فيها مرة واحدة فقط، فأفكار السورة تحتاج إلى أصوات ذات ملمح رقيق أكثر من غيرها، وصوت الثاء كما ذكرت صوت قوي الشخصية منفتح لا ينسجم مع أفكار السورة.

أما الأصوات المفخمة فكان أكثر الأصوات تكراراً فيها صوت (القاف)، الذي " يتكون بواسطة النقاء أقصى اللسان مع أدنى الحلق واللهاة، مما يؤدي إلى احتباس تيار الهواء خلف

¹ النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربية، ص 161.

² عباس، حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 139-142.

³ ينظر: ص 97 من هذا البحث.

منطقة الالتقاء، ثم تنفصل هذه الأعضاء، فيندفع الهواء.¹ وهذا الصوت فيه "قوة، وصلابة، وقسوة، وشدة"² تتناسب والحال الذي يكون فيه الخطاب للكافرين المجرمين، وللمكذبين، فهذا الصوت يضيفي درجة من القوة على وقع السامع، ويعد صوت القاف من الأصوات التي تضيف مفاجأة على النص، كما وصفه العلايلي، ولديه القدرة على جذب انتباه السامع، وخاصة في موضوع التهديد والوعيد، والإنذار، ويتسم بتفخيمه الجزئي، ولكن ليس بقوة الأصوات المفخمة تفخيماً كلياً، فالفكرة السابعة التي حذرت الكافرين من عذاب الله، احتاجت إلى صوت قوي له وقعه وأثره في السمع.

وكانت الأصوات (ق، ص، خ، ض، غ، ط، ظ) من أقل الأصوات ذكراً على مستوى مختلف الأفكار، وأول صفة تجمع هذه الأصوات، هي صفة الضخامة، والفقامة، والقوة، والصلابة، وخاصة في الأصوات المفخمة تفخيماً كلياً، فالأصوات (الصاد، الضاد، الظاء، الطاء) تتسم بالقوة والصلابة، والصلق، والقسوة، والضخامة،³ وهذه الصفات لا تتسجم مع الأفكار الجزئية للسورة، فهي تحتاج إلى قوة في غير موضع، ولكن ليس بقوة هذه الأصوات، أما صوت (الغين) ففيه اهتزاز واضطراب، وصوت (الخاء) فيه رخاوة، أكثر من غيره من الأصوات المفخمة، وهذا لا ينسجم مع أفكار السورة.

د. التركيب

يقصد به أن يكون الصوت ناتجاً عن مزيج من الانفجار، والاحتكاك، وهي صفة خاصة بصوت الجيم الفصحى، فهذا الصوت يعتمد على الأساس المخرجي في تكوينه، وينتج صوت الجيم،" عندما يرتفع مقدم اللسان تجاه مؤخر اللثة، ومقدم الغار حتى يتصل بهما، فيحتبس الهواء الصادر من الرئتين خلف منصة الاتصال، غير أن انفصال العضوين المتصلين لا يحدث فجأة، على نحو ما يحدث في الأصوات الانفجارية المحضة، وإنما يتم ببطء فيعطي الفرصة للهواء،

¹ النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربية، ص 163.

² ينظر: أنيس، إبراهيم: موسيقى الشعر، ص 265.

³ ينظر: عباس، حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 149-155، ص 120-123.

بعد الانفجار أن يحتك بالأعضاء المتباعدة، احتكاكاً شبيهاً بما يسمع من صوت الجيم الشامية، ولذا فإن هذا الصوت يبدأ انفجارياً، وينتهي احتكاكياً.¹

وصوت الجيم " يوحى بالضخامة، كإحساس بصري، وبشيء من الطراوة والحلاوة، كإحساس لمسي، وهو صوت يتصف بمعنى الصلابة والقوة".²

رقم الفكرة	الآية	الصوت المركب المجموع النسبة
1	الآية (5-1)	4 25%
2	الآية (11-6)	3 18.7%
3	الآية (12)	1 6.2%
4	الآية (15-13)	2 12.5%
5	الآية (23-16)	4 25%
6	الآية (27-24)	1 6.2%
7	الآية (30-28)	1 6.2%

عند النظر إلى الجدول السابق نلاحظ أن صوت الجيم من أقل الأصوات تكراراً، في سورة الملك وأفكارها، فقد تكرر 10 مرات، بنسبة 1%، فكانت أعلى نسبة لتكرار الجيم في الفكرتين الأولى والخامسة بنسبة 25%، ويليهما الفكرة الثانية بنسبة 18.7% ثم الفكرة الرابعة بنسبة 12.5% وأخيراً في الفكرتين السادسة والسابعة بنسب متساوية 6.2%، ويعود ذلك إلى طبيعة صوت الجيم الصلبة والضخمة، ولصعوبة نطقها، فأفكار السورة تحتاج إلى أصوات لينية؛ لتتناسب المعنى المراد.

هـ. الصغير

تعد الأصوات الصفيرية من أكثر الأصوات وضوحاً سمعياً، والأصوات الصفيرية " تحدث عن طريق إحداث تضيق أخدودي بين نصل اللسان والجزء الخلفي من حافة اللثة".³ فهذه الأصوات تحدث إيقاعات رنانة، ودوياً موسيقياً في التراكيب اللغوية.

¹ النوري، محمد جواد: فصول في علم الأصوات العربية، ص 233.

² ينظر: عباس، حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 38.

³ النوري، محمد جواد، علم الأصوات العربية، ص 147-148.

وبعد الصغير ملمح قوة في الأصوات، والجدول الآتي يبين مجموع الأصوات الصغيرية، مقرونة بنسبها في أفكار السورة.

رقم الفكرة	الآية	الأصوات الصغيرية المجموع النسبة
1	الآية (1-5)	16 24.2%
2	الآية (6-11)	16 24.2%
3	الآية (12)	1 1.5%
4	الآية (13-15)	5 7.5%
5	الآية (16-23)	22 33.3%
6	الآية (24-27)	4 6%
7	الآية (28-30)	2 3%

عند النظر إلى الجدول السابق، نلاحظ أن نسبة تكرار الأصوات الصغيرية متقاربة في جميع الآيات، وتتراوح النسب بين 1.5% و 33.3%، وكانت أقل نسبة لتكرار الأصوات الصغيرية 1.5% في الفكرة الثالثة، ويعود السبب في ذلك إلى طبيعة الأصوات الصغيرية الشديدة والصلبة والقوية، ذات الوضوح السمعي العالي، وعدم مناسبتها لموضوع الفكرة، فالفكرة تحدثت عن عاقبة المؤمنين الذين يخافون الله تعالى، فاحتاجت إلى أصوات رقيقة، لينية، سهلة. وكانت أعلى نسبة لتكرار الأصوات الصغيرية في الفكرة الخامسة، بنسبة 33.3% ويعود السبب في ذلك لكون طبيعة الفكرة ذكرت أدلة على قدرة الله تعالى على الخلق، وفضله على عباده، وهذه الأدلة حجج الله على خلقه، وهذا كله احتاج إلى أصوات قوية شديدة صلابة، ذات وضوح سمعي عال؛ لإيصال المعنى المراد. وتلي الفكرة الخامسة الفكرتان الأولى والثانية، بنسبة 24.2%، فالفكرة الأولى تحدثت عن قدرة الله تعالى الخالق، والفكرة الثانية تحدثت عن طريق المجرمين الكافرين، وعاقبتهم يوم القيامة، ووصفت جهنم، وحالها عند لقائهم، واحتاجت هذه الأفكار إلى أصوات صغيرية ذات ملامح قوية، لتتناسب المعنى المراد، ثم الفكرة الرابعة بنسبة 7.5%، ثم الفكرة السادسة بنسبة 6%، ثم الفكرة السابعة بنسبة 3%، فطبيعة هذه الأفكار احتاجت إلى أصوات صغيرية قوية، فالأصوات الصغيرية واضحة في السمع؛ لأنها تكون مصحوبة باهتياج، وهي

لذلك من ذوات التردد العالي الناتج عن سرعة حركة الهواء في منطقة التضيق، عند موضع النطق.¹

وفي الجدول الآتي يظهر ترتيب الأصوات الصفيرية في سورة الملك تنازلياً:

ترتيب الأصوات الصفيرية تنازلياً: (س، ص، ش، ز)

بالنظر إلى ترتيب الأصوات الصفيرية، في سورة الملك، يتبين أن أكثر الأصوات الصفيرية وروداً، هو صوت السين، وقد تكرر (29) مرة، بنسبة 2.9%، ويليه صوت الصاد، وتكرر (15) مرة، بنسبة 1.5%، ويليه صوت الشين، وقد تكرر (13) مرة، بنسبة 1.3%، ويليه صوت الزاي، وعدد مرات تكراره (9)، بنسبة 0.9%، والأصوات التي تمتاز بملح الصفير، تمتاز بصفات قوة، فصوت الصاد صوت مطبق، وصوت الزاي صوت مجهور، وصوت السين صوت مهموس، وصوت الشين فيه تفشٍ.

ولكن عند النظر إلى ترتيب هذه الأصوات، على مستوى السورة، والأفكار، يتبين أن أكثر الأصوات وروداً هو صوت السين، فالشين، فالصاد، فالزاي، ومرد ذلك إلى طبيعة السورة وأفكارها، وكذلك الصفات التي تمتاز بها هذه الأصوات، والتي مكنتها من أن تحتل مراكز الصدارة، مع العلم بأنها الأقل قوة، من حيث صفيها، فطبيعة دلالات السورة تحتاج إلى أصوات تحمل ملح الصفير، ليكون لها الأثر الواضح في نفس السامع، وخاصة عند مخاطبة الكافرين، وتحذيرهم، ولكن مع مراعاة بقية الصفات الأخرى التي يحملها الصوت، فالسورة بموضوعها العام تتحدث عن إثبات ملكية الله تعالى وعظمته، وموضوع مثل هذا يحتاج إلى أصوات صفيرية تحمل ملامح القوة والوضوح.

احتل صوت (السين) المرتبة الأولى، على مستوى تكرار الأصوات الصفيرية، وقد تحدثت الباحثة عن طريقة نطقه في سياق الحديث عن الأصوات الاحتكاكية²، ويوحى صوت

¹ أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، ص 74.

² ينظر، ص 103 من هذا البحث

السين المتماسك بإحساس لمسي بين النعومة، والرقّة والسلاسة، والملامسة، وإحساس بصري من الانزلاق، والامتداد، وإحساس سمعي هو الأقرب للصغير...¹، وصوت السين له وضوح سمعي عالٍ، وله صفير يجذب النفوس، ويؤثر فيها، مع اتصافه بالسلاسة، والرقّة، والنعومة؛ ليكون له وقعه في نفس السامع، وليكون قريباً من نفس المؤمن، عند سماعه الوصايا الربانية، وإلزامه بالتقوى.

أما بالنسبة لصوت (الصاد) الذي احتل المرتبة الثانية، على مستوى الأصوات الصفيرية، فينتج بالكيفية التي يتكون منها صامت السين الذي ذكر سابقاً، مع فارق التفخيم الذي يتسم به صامت الصاد، مع عدم تذبذب الوترين الصوتيين عند النطق به. فالصاد صامت: فموي، أسناني لثوي، احتكاكي، مهموس، مفخم، صفيري. فصوت الصاد يحمل ملامح " القوة، والشدة، والفعالية، والوضوح السمعي، والنقاء"² وهذا جاء مناسباً لطبيعة الأفكار في السورة.

ويلي صوت الصاد صوت (الشين)، وينتج عندما " يقترب مقدم اللسان من مقدم الغار ومؤخر اللثة، ويمر تيار الهواء في منطقة الاقتراب، عبر منفذ ضيق، دون حدوثذبذبة في الوترين الصوتيين، وقد وصفه اللغويون القدماء بصفة الاستطالة والتفشي."³ وصوت الشين يوحى بالبعثرة والجفاف والانتشار. فكان صوت الشين من الأصوات الأقل انتشاراً، في سورة الملك، وذلك لأن طبيعة الصوت وملامحه لا يناسب أفكار السورة.

ويلي صوت الشين صوت (الزاي) وينتج " عندما ترتفع مقدمة اللسان في اتجاه اللثة العليا، مع وجود منفذ ضيق، يتسرب منه تيار الهواء محدثاً صوتاً احتكاكياً يتذبذب في أثناء النطق به الوتران الصوتيان."⁴

فكان صوت الزاي من أقل الأصوات تكراراً، في سورة الملك، وذلك عائد إلى طبيعة هذا الصوت، " الذي يعطي إحياء بالشدة والفاعلية، وإذا لفظ بشيء من الشدة يوحى

¹ عباس، حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 110-114.

² المرجع السابق، ص 149.

³ النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربية، ص 161-162.

⁴ المرجع السابق، ص 161.

بالاضطراب، والتحرك والاهتزاز، وإذا لفظ مخففاً، فهو يوحى بالبعثرة والانزلاق.¹ وهذه الصفات لا تتسجم وطبيعة دلالات سورة الملك.

والصفات التي يمتاز بها صوت الشين، وصوت الزاي، جعلتهما في موقع متأخر بالنسبة لملمح الصفير، نظراً لطبيعة الدلالات التي تتحدث عنها الآيات، والتي تحتاج الى صوت سلس سهل، كصوت السين، وأما صوت الصاد الذي يوحى بالصلابة، فلا يتناسب، بشكل كبير، مع أفكار السورة ودلالاتها، وهذا ظاهر في الفكرة الثالثة التي لم يرد فيها صوت الصاد بتاتاً، فطبيعة الفكرة تحدثت عن عاقبة المؤمنين الذين يخافون الله تعالى، فهي لا تحتاج إلى أصوات تحمل معنى الصلابة والقوة، ولذلك لم يرد صوت الصاد في هذه الفكرة. والأصوات الصفيرية، رغم اختلاف مجموعها، والتفاضل فيما بينها، تسهم بجرسها الموسيقي في الدلالة على المعنى المراد.

و. أنصاف الحركات

يطلق على الأصوات التي يقترب عضو النطق فيها من عضو نطق آخر، دون أن يصل هذا الاقتراب بينهما حدَّ الاحتكاك، بالأصوات التقاربية، ويطلق بعض اللغويين على هذا النوع من الأصوات الصوت المستمر غير الاحتكاكي.²

وما يهمننا الحديث عنه هو مصطلح الأصوات ذات التقارب الضيق (أنصاف الحركات)، فهذا المصطلح يطلق على الأصوات التي تبدأ أعضاء النطق بها من منطقة حركة من الحركات، ثم تنتقل من هذا المكان بسرعة ملحوظة، إلى مكان حركة أخرى، ولأجل هذه الطبيعة الانتقالية، وقصرها، وقلة وضوحها في السمع، إذا قيست بالحركات الصرفة، عُدَّت هذه الأصوات أصواتاً صامتة، لا حركات، بالرغم من التشابه الواضح بينها وبين الحركات، وفي اللغة العربية تنطبق هذه الصفة على صوت الواو والياء، ولد، بيت.³

¹ ينظر: عباس، حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 139-142.

² النوري، محمد جواد: فصول في علم الأصوات، ص 94.

³ ينظر: بشر، كمال: علم اللغة العام (الأصوات)، ص 132.

وفيما يأتي ستعرض الباحثة جدولاً خاصاً بأنصاف الحركات، تبين فيه مجموع هذه الأصوات، ونسبها في سورة الملك وأفكارها.

الصوت	الترتيب في أصوات السورة	عدده في آيات السورة	النسبة
الواو	7	51	5.2%
الياء	3	79	8.1%

يتبين من خلال دراسة الباحثة للأصوات اللغوية، في سورة الملك، أن صوتي اللين (الواو، والياء) يعدّان من أكثر الأصوات اللغوية ذكراً في سورة الملك، فقد ذكر هذان الصوتان (130) مرة في السورة، واحتل الصوتان كلاهما مراكز متقدمة في ترتيب الأصوات، في سورة الحشر، فقد احتل الواو المركز السابع، بنسبة 5.2%، فيما جاء صوت الياء في المركز الثالث، بنسبة 8.1%، في ترتيب أصوات سورة الملك، وستبين الباحثة سبب حصول هذين الصوتين على المراكز المتقدمة في السورة.

والجدول الآتي يوضح لنا مجموع أنصاف الحركات ونسبتها في سورة الملك.

رقم الفكرة	الآية	أنصاف الحركات المجموع النسبة
1	الآية (1-5)	27 19.2%
2	الآية (6-11)	29 20.7%
3	الآية (12)	6 4.2%
4	الآية (13-15)	13 9.2%
5	الآية (16-23)	29 20.7%
6	الآية (24-27)	17 12.1%
7	الآية (28-30)	19 13.5%

بالنظر إلى الجدول السابق، نلاحظ أن الأفكار (الثانية والخامسة والأولى) كانت نسبة أنصاف الحركات فيها أعلى مما في باقي الأفكار، فصوت الواو والياء يتميزان عن غيرهما من الأصوات الصامتة، بأنهما أكثر الصوامت وضوحاً في السمع، فطبيعة هذه الأفكار احتاجت إلى أصوات ذات وضوح سمعي عالٍ.

فالفكرة الثانية والخامسة، بلغت نسبة تكرار صوتي الواو والياء فيها 20.7%، فالفكرة الثانية تحدثت عن طريق المجرمين الكافرين، وعاقبتهم يوم القيامة، ووصفت حال جهنم عند لقاء الكافرين، أما الفكرة الخامسة فذكرت أدلة على قدرة الله تعالى، وفضله على عباده، فطبيعة هذه الأفكار تتطلب أن تكون نسبة أنصاف الحركات فيها أكثر من غيرها، وهي أصوات ذات وضوح سمعي عالٍ.

ثم يلي تلك الأفكار الفكرة الأولى، حيث بلغت نسبة تكرار صوتي الواو والياء فيها، 19.2%، وهذه الفكرة تتحدث عن قدرة الله تعالى الخالق، وقصة بداية الخلق، وغاية الحياة، وأن الإنسان خلق للعبادة، وأن الدنيا دار عمل، والآخرة دار حساب، وطبيعة الفكرة احتاجت أصواتاً ذات وضوح سمعي عالٍ.

ويلي ذلك الفكرة السابعة، حيث بلغت نسبة تكرار صوتي الواو والياء فيها 13.5%، وحملت الفكرة تحذيراً للمكذابين من عذاب الله، فالفكرة احتاجت إلى أصوات ذات وضوح سمعي عالٍ؛ لإيصال المعنى المراد للسامع.

ولو أمعنا النظر في بقية الأفكار، لوجدنا أنها تتطلب صوتاً له الأثر الواضح في السمع، فجاءت الأفكار مقرونة بنسب متفاوتة، بحسب طبيعة الفكرة التي تحدثت عنها الآيات، فالفكرة السادسة بلغت نسبة تكرار صوتي الواو والياء 12.1%، وتحدثت عن حقيقة يوم القيامة، وقدمه المفاجئ، وخسارة الكافرين وحسرتهم، فطبيعة الفكرة احتاجت إلى أصوات واضحة؛ لإيصالها للسامع. وتليها الفكرة الرابعة التي تحدثت عن مراقبة الله -جلّ وعلا- على خلقه وعلمه بأحوالهم، وهذا أساس العدل الإلهي المطلق، وبلغت نسبة التكرار 9.2%، ويليهما الفكرة الثالثة التي حملت أقل نسبة لتكرار صوتي الواو والياء، وبلغت نسبته 4.2%، وتحدثت عن عاقبة المؤمنين الذين يخافون الله تعالى، فطبيعة هذه الفكرة لا تحتاج إلى أصوات ذات وضوح سمعي عالٍ.

الخلاصة

بعد دراسة الأصوات الصامتة، في سورة الملك، توصلت الباحثة إلى ما يأتي:

1- بلغ عدد المكونات الصوتية الصامتة في سورة الحشر 973 صامتاً، وكان الصوت الأكثر تكراراً، صوت (اللام) حيث تكرر 101 مرة، وكانت نسبته على مستوى أفكار السورة 10.3 %، وأقل الأصوات تكراراً كان صوتي (الثاء والظاء) حيث تكرر الصوتان مرةً واحدةً، فقط.

2- غلبت الأصوات المجهورة على الأصوات المهموسة، في آيات سورة الملك، ويعود السبب في ذلك إلى طبيعة الموضوع العام للسورة، وهو إثبات ملك الله تعالى وعظمته، وقدرته على كل شيء، فهو مالك الدنيا والآخرة ومليكهما، فهي تتحدث عن القدرة المطلقة لله تعالى، وتتنبأها، وهذه الأفكار تحتاج إلى أصوات فيها قوة وصلابة، ووضوح سمعي عالٍ، وقدرة على التأثير في المتلقي، وهذه الصفات موجودة في الأصوات المجهورة، أكثر من الأصوات المهموسة التي تحمل معنى الخفاء.

3- كان أكثر الصوامت المجهورة تكراراً، (ل، م، ي، ن، ء) على التوالي، واحتلت المراكز المتقدمة، على مستوى أصوات السورة، وهي جزء من الأصوات المائعة، ذات الوضوح السمعي. في حين كانت أصوات (ض، غ، ظ) من أقل الصوامت المجهورة تكراراً، وهذه الأصوات لا تتناسب وطبيعة موضوع السورة، فصوت (ض، ظ) من الأصوات التي تتسم بصعوبة النطق والصلابة، وتحمل ملمح التفتيح، أما صوت (غ) فيوحي بالغموض والخفاء، وهذا لا يتناسب مع موضوع السورة الذي يهدف إلى جذب الانتباه والإقناع.

4- الأصوات المهموسة كانت أقل الأصوات تكراراً، مقارنةً بالأصوات المجهورة، ومن أكثر الأصوات المهموسة تكراراً في أفكار سورة الملك (ك، هـ، ت)، فصوت (ك) يوحى "بالخشونة، والقوة والضخامة، والفعالية والامتلاء والتجميع"¹، وهذه الدلالات تتناسب مع

¹ عباس، حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 70.

موضوع السورة وأفكارها، فعند الحديث عن جهنم يوحى صوت (الهاء) بالاضطراب والانفعال النفسي، ويحمل معنى "الخفوت، والضعف والرقّة"¹، وصوت (ت) يدل على "الليونة والضعف والرقّة"²، ونستوحى منه معاني العذاب والمشقة، وهذه الأصوات جاءت متناسبة مع بعض أفكار سورة الملك. وأقل الأصوات المهموسة وروداً، في سورة الملك، كانت (خ، ط، ث)، فصوت (خ) فيه رخاوة، أكثر من غيره من الأصوات المفخمة، وهذا لا ينسجم مع أفكار السورة، وصوت (طاء) من الأصوات الصعبة في النطق، وتحمل معنى القوة والصلابة والضخامة، وصوت (ث) يحتاج إلى جهد عضلي كبير، عند نطقه فهو قليل الورد في الجذور العربية، وهذه الأصوات لا تتناسب مع طبيعة السورة وأفكارها.

5- كانت الأصوات الاحتكاكية أكثر وروداً في سورة الملك من الأصوات الانفجارية، فبلغت نسبة الأصوات الاحتكاكية 23%، في حين بلغت نسبة الأصوات الانفجارية، 16.1%. وهذا جاء متناسباً مع طبيعة سورة الملك ودلالة أفكارها، فهي تحتاج إلى أصوات تتسم بالقوة والمتانة، في النطق لإيصال المعنى المراد للسامع.

6- كانت أكثر الصوامت الاحتكاكية تكراراً، (ك، ع، س)، فصوت (الكاف) يوحى بالخشونة والقوة والفعالية والامتلاء والتجميع، و (العين) تحمل معنى المرونة والعذوبة والقوة والفعالية، وأما صوت (السين) فيحمل معنى الرقة والخفاء والسهولة، وهذه المعاني جاءت متناسبة مع موضوع السورة، ومن أقل الأصوات الاحتكاكية ذكراً في سورة الملك وأفكارها (الظاء، والتاء)، فصوت الظاء يعد من الأصوات التي تتسم بصعوبة نطقها، و (يتصف بالصلابة، والشدة، والضخامة)، وصوت التاء قليل الورد في الجذور العربية، وذلك عائد إلى أن النطق بهذا الصوت يتطلب جهداً عضلياً، وهذا الجهد لا يتناسب مع طبيعة السورة ودلالة أفكارها.

7- كانت أكثر الصوامت الانفجارية تكراراً، (الهمزة، والباء، والتاء)، فالهمزة تتسم بالظهور والبروز، والتاء توحى بالتماسك والطراوة والليونة، والباء تدل على الصلابة والظهور والعلو

¹ عباس، حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 40.

² ينظر: المرجع السابق، ص 55-59.

والامتلاء، وهذا كله يتناسب مع موضوع السورة. أما أقل الصوامت الانفجارية تكراراً فهما (ض، ط).

8- غلبت الأصوات المرققة في سورة الملك، على الأصوات المفخمة، فالسورة تحتاج إلى أصوات سهلة قريبة من القلب، وهذه السهولة والليونة موجودة في ملمح الترقيق، وكانت أكثر الأصوات المرققة تكراراً (ل، م، ي، ن) وأقلها (ج، ز، ث).

9- احتلت الأصوات المفخمة المراتب الأخيرة في سورة الملك، وذلك نظراً لما تتطلبه من جهد عضلي، في أثناء عملية النطق، ومن أكثر الصوامت المفخمة تفخيماً جزئياً وروداً صوت (القاف)، وهو يحمل معنى القوة والصلابة والقسوة والشدة. وأقلها تكراراً (ظ، ط).

10- كان أقل الأصوات تكراراً، على مستوى سورة الملك صوتي (ظ، ث)، فقد تكرر كل منهما مرة واحدة فقط، يليهما (ط، غ) فقد تكرر صوت (ط) 4 مرات وصوت (غ) 5 مرات، ثم يليهما صوت (ض) الذي تكرر 6 مرات وهذه الأصوات جاءت لا تتناسب مع سورة الملك وأفكارها.

11- بلغ تكرار صوت الهمزة 68 مرة، بنسبة (6.9%) واحتل المرتبة الخامسة، على مستوى أصوات السورة، وهو صوت يتصف بالصعوبة، وشدة الوضوح السمعي.

12- تكرر صوت (الجيم) المركب 12 مرة، بنسبة 1%، ويعود ذلك إلى طبيعة صوت الجيم الصلبة والضخمة، وصعوبة نطقه.

13- جاءت الأصوات الصفيرية متقاربة النسب، من حيث التكرار، فصوت (س) تكرر 29 مرة وصوت (ص) 15 مرة، وصوت (ش) 13 مرة، وصوت (ز) 9 مرات. وهي نسب قليلة، إذا قورنت بغيرها من الأصوات، وهذا يعود إلى طبيعة هذه الأصوات، فهي لا تتناسب بشكل كبير مع أفكار السورة.

14- أما أنصاف الحركات فكانت من أكثر الأصوات تكراراً، على مستوى سورة الملك وأفكارها، فقد تكرر صوت (الواو) 51 مرة، واحتل المرتبة السابعة، على مستوى سورة الملك، وتكرر صوت الياء (79) مرة، واحتل المرتبة الثالثة، على مستوى أصوات سورة الملك، وهذه الأصوات تحمل نسبة عالية من الوضوح السمعي، الذي يناسب موضوع السورة.

نتائج الدراسة الصوتية والدلالية في سورتي الحشر والملك

بعد الدراسة الصوتية والدلالية لسورتي الحشر والملك قامت الباحثة بإجراء مقارنة بين نسب الملامح التمييزية للأصوات في السورتين، مع ترتيبها ترتيباً تنازلياً، كما هو في الجدول الآتي:

الرقم	الترتيب التنازلي للأصوات في سورة الحشر	النسبة	الرقم	الترتيب التنازلي للأصوات في سورة الملك	النسبة
1	الأصوات المرققة	68.5%	1	الأصوات المرققة	75.9%
2	الأصوات المجهورة	61.9%	2	الأصوات المجهورة	59.9%
3	الأصوات المهموسة	27%	3	الأصوات المهموسة	25.7%
4	الأصوات الاحتكاكية	22.3%	4	الأصوات الاحتكاكية	23.2%
5	الأصوات الانفجارية	16%	5	الأصوات الانفجارية	16.1%
6	الأصوات المفخمة	6.8%	6	الأصوات الصفييرية	6.7%
7	الأصوات الصفييرية	5.8%	7	الأصوات المفخمة	6.5%

وعند النظر إلى الجدول السابق نلاحظ أن الأصوات المرققة حازت على المرتبة الأولى في الأصوات الأكثر تكراراً في السورتين، وبلغت في سورة الحشر (68.5%)، وفي سورة الملك (75.9%)، ويعود السبب في ذلك، بحسب رأي الباحثة، إلى الكثرة العددية التي تمثلها هذه الأصوات، فهي تحوي جميع أصوات العربية، باستثناء الأصوات المفخمة، وهذا يعني أن التراكيب اللغوية ستعتمد في مفرداتها ومكوناتها على هذه الطائفة من الأصوات المرققة، وللوقوف على العلاقة بين الأصوات المرققة، وطبيعة السور المدنية، والمجتمع المدني، والسور

المكية والمجتمع المكي، يلزم أن نتذكر أن هذه الأصوات تخاطب النفس، وتلامس القلب برقتها، وليونة المفردات التي تكونها، فيصبح لها وقع خاص في النفس، وعلى الأذن، فلذلك تفوقت نسبة الأصوات المرققة، في سورة الملك المكية، عن نظيرتها سور الحشر المدنية، وإن كان الفارق بينهما 7.4%، إلا أن في ذلك إشارة إلى حرص سورة الملك على هذه الأصوات التي تحمل بين طياتها الترغيب، وأساليبه المتعددة، فهي تدعو المشركين للإسلام، عن طريق لين الأسلوب، ورقة العبارة، وهذا كله كان سبباً لتفوق الأصوات المرققة في سورة الملك، عن نظيرتها سورة الحشر.

أما الأصوات المجهورة، فقد احتلت المرتبة الثانية، على صوامت سورة الملك، بنسبة (59.9%) والمرتبة الثانية في سورة الحشر، بنسبة (61.9%)، ومن الملاحظ، وفق هذه الدراسة الإحصائية، تقارب النسب المئوية في السورتين، وإن تفوقت سورة الحشر، ولعل السبب في ذلك يعود إلى اعتماد النص اللغوي فيها على هذه الأصوات؛ لأنها تحمل معاني القوة، والأصدا العالية التي يشيعها تردد هذه الأصوات، ويعود السبب في غلبة الأصوات المجهورة في سورة الحشر إلى طبيعة الموضوع العام للسورة الذي تحدث عن حادثة بني النضير، وعن غدرهم بالرسول – صلى الله عليه وسلم – ونقض العهد بينهم، ودعوة المؤمنين للتقوى والخشوع والتفكر في تدبير الله الحكيم، وهذه الأفكار تحتاج إلى أصوات فيها قوة وصلابة، ووضوح سمعي عال، وقدرة على التأثير في المتلقي، ويعود سبب غلبة الأصوات المجهورة، في سورة الملك، بحسب رأي الباحثة إلى طبيعة الموضوع العام للسورة، وهو إثبات ملك الله تعالى وعظمته، وقدرته على كل شيء، فهو مالك الدنيا والآخرة ومليكما، فهي تتحدث عن القدرة المطلقة لله تعالى، وتثبتها، وهذه الأفكار تحتاج إلى أصوات فيها قوة وصلابة، ووضوح سمعي عال، وقدرة على التأثير في المتلقي، وهذه الصفات موجودة في الأصوات المجهورة، فهي تخاطب المجتمع المكي الموغل بالجاهلية والكفر والعناد، فجاءت هذه الأصوات المجهورة، لتقيم نفوس المشركين من سباتها العميق، فتُعلى كلمة الله على كل شيء، وجاءت نسبة الأصوات المجهورة متفقة مع طبيعة المجتمع المكي.

أما الأصوات المهموسة فقد احتلت المرتبة الثالثة في السورتين، حيث بلغت نسبتها في سورة الحشر (27%)، وبلغت في سورة الملك (25.7%)، وبناء على هذه النسب يتبين لنا التقارب بين نسبة شيوع هذه الأصوات في السورتين، بفارق 2.7%، والسُرُّ في ذلك يعود إلى حاجة النص اللغوي في السورتين إلى أسلوب الترغيب، ليتعامل مع النفوس التي آمنت بالله، وهم المؤمنون، فلا بد من اللين في الخطاب والتروى في اختيار مفردات النصوص.

أما الأصوات الاحتكاكية فقد احتلت المرتبة الرابعة في السورتين، وكانت نسبتها في سورة الملك (23.2%) ونسبتها في الحشر (22.3%) فالفارق بين السورتين 0.9%، وفي ذلك إشارة إلى اعتماد النص المكي على هذه الأصوات أكثر من مثيلاتها في النص المدني، والسبب في ذلك يعود إلى طبيعة المجتمع المكي الذي يتوخى الوضوح السمعي، والسهولة في إنتاج هذه الأصوات، فآلية إنتاجها لا تستدعي جهداً عضلياً، وهذه السهولة في إنتاجها تساعد على ترتيل آيات القرآن الكريم، وسهولة حفظه وفهمه، وهذا ما يسعى إليه النص اللغوي في سورة الملك، فهو يتعامل مع المجتمع المكي.

أما الأصوات الانفجارية فقد احتلت المرتبة الخامسة في السورتين، وبلغت نسبتها في سورة الملك (16.1%)، وفي سورة الحشر (16%)، والملاحظ على تلك النسب أنها تكاد تكون متطابقة في شيوعها في السورتين، وفي ذلك إشارة إلى اعتماد السورتين عليها، بقدر ما يكاد يكون متساوياً، والسبب في ذلك يعود إلى ما توحى إليه هذه الأصوات من الانفجارات اللفظية التي تصاحب الجهد العضلي الذي يقوم به القارئ، أثناء نطقها، وما ينتج عنها، من انحباس لمجرى تيار الهواء، خلف انطباق عضوي النطق، وعلى ضوء هذه الإحياءات اللغوية والشديدة، إضافة إلى معاني الحزم والصلابة والقوة، تلتقي معاً لتواجه المجتمع المكي وطبيعته الجاهلية، والمجتمع المدني، وقضايا المستجدة.

أما الأصوات المفخمة فقد احتلت المرتبة السادسة، في سورة الحشر بنسبة 6.8%، والمرتبة السابعة، في سورة الملك، بنسبة 6.5%، وهذه النسب متدنية، إذا ما قورنت مع نسب الأصوات الأخرى، وسبب قلة شيوعها يعود إلى قلة عددها، إذا ما قيس مع الأصوات المرققة،

ولكن بالرغم من هذه القلة، إلا أن ميزة التفخيم التي تحملها تجعلها ذات حضور بارز في الألفاظ التي ترد فيها، وتزيدها حضوراً الشدة والقوة التي ترافق إنتاج هذه الأصوات، عند ارتفاع مؤخرة اللسان إلى أعلى، وهذا يتناسب وحالة البطش الذي عايشها المجتمع المكي.

أما الأصوات الصفيرية فقد احتلت المرتبة السابعة والأخيرة، في سورة الحشر، بنسبة 5.8%، والمرتبة السادسة، في سورة الملك، بنسبة 6.7%، ونلاحظ تقارب هذه النسب بين السورتين، وسبب قلة شيوعها في السورتين يعود إلى قلة عددها، فهي تتمثل في أربعة صوامت (س، ش، ز، ص)، وأنها جاءت غير متناسبة مع موضوع السورتين، وبرغم قلة شيوعها، إلا أنها استطاعت، بوضوحها السمعي، ووصفتها الهيسيسية، تحقيق بعض المعاني المرادة في السورتين.

ثالثاً: الدلالة الصوتية للحركات في سورتي الحشر والملك

تعرف الحركات بأنها " تلك الأصوات التي يواجه معها تيار الهواء، في أثناء خروجه من الرئتين، ماراً بالأعضاء النطقية، أقل قدر ممكن من التضيق والتوتر والاحتكاك، فإن هذا النوع من الأصوات، يشمل الفتحة والضمّة والكسرة، قصيرة وطويلة، وتنتج دون حدوث إعاقة من أي نوع تقريباً، وكل ما يحدث في أثناء إنتاج هذه الأصوات، ينحصر، أو يكاد ينحصر في تعديلات لمجرى الهواء في التجويف الفموي أساساً، ويتمثل في عضوين رئيسيين، هما اللسان والشفتان.¹

فالحركات أصوات مجهورة، يكون الوتران الصوتيان، في أثناء النطق بهما، في وضع اهتزاز، فيندفع الهواء حراً طليقاً، في مجرى مستمر، خلال الحلق، والفم، دون أن يكون هناك عائق، يعترض مجرى الهواء اعتراضاً تاماً، أو تضيقاً لمجرى الهواء، من شأنه أن يحدث احتكاكاً مسموعاً.²

¹ النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربية، ص 132.

² ينظر: بشر، كمال: علم اللغة العام، ص 92.

والحركات في اللغة العربية هي: الفتحة، والضمة، والكسرة، بأنواعها القصيرة والطويلة، والفرق بين الحركات القصيرة والطويلة، فرق في الكمية، لا في الكيفية، أي أن وضع اللسان في كليهما واحد، ولكن الزمن يقصر ويطول في كل صوت، فعندما يقصر الزمن تنتج الحركات القصيرة، وعندما يطول الزمن تنتج الحركات الطويلة.¹

أما بالنسبة لترتيب الحركات، وفق معيار الجهد العضلي، فيتطلب ذلك أن توضع الضمة في المقدمة، لتقلها في النطق، فهي تتكون بتحريك أقصى اللسان، في حين أن الكسرة تتكون بتحريك أدنى اللسان، وتحرك أدنى اللسان أيسر من تحريك أقصاه.² وبذلك تكون الكسرة أخف نطقاً من الضمة، ثم الفتحة التي تعد أقل الحركات كلفة، وأكثرها شيوعاً في أبنية الكلام وتراكيبه، لخفتها وسهولة نطقها، فالحركات التي يتطلب نطقها جهداً عضلياً كبيراً تأبأها الأذن، ولا تستسيغها، في حين أن الحركات التي تمتاز بالموسيقى العالية، والتي تطرب لها الأذن، تكون سهلة النطق، ولعل هذا ما قد يعلل سبب قلة شيوع الضمة بنوعيتها، وكثرة شيوع الفتحة بنوعيتها في النصوص المختلفة.³

بناءً على ما سبق، يتبين أن الكسرة أخف نطقاً من الضمة، ثم الفتحة التي تعد أقل الحركات جهداً، وأكثرها شيوعاً في أبنية الكلام، وتراكيبه، لخفتها، وسهولة لفظها، ووضوحها في السمع.

تسهم الحركات التي تمتاز بالجهر، وعدم الاحتكاك، والوضوح السمعي، في إبراز الدلالات المختلفة، فالحركات لها دلالاتها الخاصة في النص، ولا يمكن دراسة النصوص التي تحتوي على الأصوات الصامتة بمعزل عن الحركات، إذ إن دراسة دلالات الأصوات الصامتة، دون النظر إلى الحركات، يجعل الدلالة ناقصة؛ إذ لا تظهر الأصوات بشكل واضح، إلا في

¹ ينظر: عبد الرحمن، ممدوح: القيمة الوظيفية للصوائت (دراسة لغوية)، الإسكندرية: دار المعارف الجامعية، 1988. ص 16.

² أنيس، إبراهيم: في اللهجات العربية، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1990، ط1، ص 196.

³ ينظر: أنيس، إبراهيم: موسيقى الشعر، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1978م، ط1، ص 26.

الحركات، فالحركة تضيف معاني للأصوات، تساعد في إبراز المعاني الجمالية التي يحملها النص.

وستتبع الباحثة الحركات القصيرة والطويلة، الواردة في سورتي الحشر والملئ، وأفكارهما، وتبين أي الحركات كانت نسبتها أعلى من غيرها، وما السبب في ذلك، وهل كان للحركات دور في التأثير في المعاني العامة للسورة؟ وستعرض الباحثة جدولاً يمثل مجموع الحركات، ونسبتها في السورتين.

الدلالة الصوتية للحركات في سورة الحشر

وتتبعي الإشارة إلى أن عدد الحركات، بنوعها القصير والطويل، في سورة الحشر، بلغ (1225) حركة من أصل (2584) وحدة صوتية، أي ما نسبته (90.1%) وهذا ما دفع الباحثة إلى ضرورة دراسة الحركات.

الحركة	الفتحة القصيرة	الضمة القصيرة	الكسرة القصيرة
المجموع	603	233	209
النسبة على مستوى أصوات السورة	44.3%	17.1%	15.3%
النسبة على مستوى الحركات	49.2%	19.2%	17.6%

الحركة	الفتحة الطويلة	الضمة الطويلة	الكسرة الطويلة
المجموع	95	57	28
النسبة على مستوى أصوات السورة	6.9%	4.19%	2%
النسبة على مستوى الحركات	7.7%	4.6%	2.2%

يتبين من الجداول السابقة، أن سورة الحشر احتوت على الحركات (الفتحة، الضمة، الكسرة) بنوعها: القصير والطويل، حيث وردت الفتحة بنوعها: القصير، والطويل، (698) مرة، وبلغت نسبتها حوالي (56.9%)، تليها الضمة بنوعها: القصير، والطويل التي وردت (290) مرة، وبلغت نسبتها حوالي (23.8%)، وتليها الكسرة بنوعها: القصير والطويل، وتكررت (237) مرة، وبلغت نسبتها حوالي (19.8%) ولهذا دلالاته في السورة، فالسورة تتحدث عن فكرة أساسية، هي حشر يهود بني النضير، وتحدثت عن بعض أحكام المجتمع الإسلامي،

ووصايا ربانية للمؤمنين، وهذه السورة مدنية، في مجملها تخاطب المسلمين، وتبين لهم قواعد التعامل في المجتمع الإسلامي، وهذه الآيات عندما تخاطب المسلمين، تحتاج إلى أصوات ذات وضوح سمعي عالٍ؛ لإيصال المعنى المراد، والتأثير في السامع وإقناعه، أما الفكرة السادسة التي بينت الفرق بين أهل الجنة والنار، فقد خاطبت المسلمين والكافرين، على حد سواء، وعبرت عن الحالة النفسية التي يعيشها الكافر، فهو متخبط مضطرب، وكل ما سبق، ما كان ليبرز، لولا توظيف الحركات، توظيفاً دلاليّاً، ينسجم ومضمون الآيات، فالحركات ينسجم كمّهما الصوتي، واتساع مخرجها، وامتدادها، مع أهمية الموضوع الذي تتحدث عنه الآيات، وهو الحديث عن حشر يهود بني النضير، بسبب غدرهم بالرسول صلى الله عليه وسلم - وتوضيح بعض أحكام المجتمع الإسلامي، وهذا كله احتاج إلى الحركات بنوعها: القصير والطويلة، وهي التي تحتل المرتبة الأولى على الصوامت، في القوة، والوضوح السمعي، لإيصال الفكرة للسامع والتأثير فيه.

وقد ذكر إبراهيم أنيس أن " نسبة شيوع الفتحة في اللغة العربية حوالي 460 في كل ألف من الحركات، قصيرها وطويلها، في حين إن الكسرة حوالي 184، والضمة 146"¹، فأكثر الحركات المستخدمة في سورة الحشر، هي حركة الفتحة، بنوعها: القصير، والطويل، ثم الضمة، ثم الكسرة، بنوعها، فبلغت نسبة الفتحة (56.9%)، ومردّ تفوق الفتحة، بنوعها، على بقية الحركات، يعود إلى أن الفتحة هي أخف الحركات فالفتحة بنوعها تنتج " عندما يكون اللسان في وضع منخفض في الفم، وذلك بالنسبة إلى سقف الحنك الأعلى بقسميه، الغار والطبق"². وتتصف حركة الفتحة، في اللغة العربية، بأنها حركة تميل إلى الاتساع، ولا تكون الشفتان، عند النطق بها، في وضع استدارة.³

فطابع الاتساع النطقي الممتد في الفتحة يساعد في إثراء الطابع الموسيقي العام لهذه السورة، ولم يكن هذا الطابع إلا ليوافق مضمون السورة، فإذا كانت الفتحة كما أكد العالم فوناجي

¹ أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، ص 66.

² ينظر: النوري، محمد جواد، علم الأصوات العربية، ص 192

³ المرجع السابق، ص 195.

بقوائمه الإحصائية، تدل على الكبر والضخامة، فإن مضمون هذه السورة، التي تغلب عليها الفتحة، يدور حول الحديث عن حشر يهود بني النضير، وكشف صفات المنافقين، وأسس التعامل في المجتمع الإسلامي.

ولو نظرت إلى الحركات الطويلة، لوجدت أن أكثر الحركات الطويلة ذكراً، هي الفتحة الطويلة، وهي التي تعد من أخف الحركات، وأقواها إسماعاً، فهي الحركة التي وصفت بالمتسعة؛ لاتساع مخرجها لهواء الصوت، ولأن اللسان يكون " مستوياً في قاع الفم، مع انحراف قليل في أقصاه نحو أقصى الحنك، فينطلق الهواء من الرئتين، ويهز الأوتار الصوتية، وهو مارٌ بها ¹ فهي باتساعها وجهرها تفسح المجال للكافرين للتفكر بعذاب الله يوم القيامة، إمّا أن يسلموا، وإمّا أن يبقوا على كفرهم.

وتلي الفتحة، الضمة بنوعيهما: القصير والطويل: وهي حركة خلفية ضيقة مستديرة ²، وبلغت نسبة الضمة بنوعيهما (23.8%)، وهي تتصف بأنها أثقل الحركات في النطق، والضمة - كما وصفها العالم فوناجي بلوائحه الإحصائية - تدل على الحزن والقوة ³ والضم يؤدي إلى الاجتماع، وكأن الآيات تدعو يهود بني النضير والمنافقين إلى الانضمام والاجتماع حول العقيدة الإسلامية التي تنسم بالعدل والرحمة، وهؤلاء المنافقون واليهود لم يدخلوا الدين الإسلامي، ويوم القيامة عندما يشاهدون نعيم المسلمين في الجنة، وعذابهم في النار؛ جزاء أعمالهم، سيشعرون بالحزن والشقاء.

وتلي الضمة الكسرة بنوعيهما: القصير، والطويل، وهي حركة أمامية ضيقة ⁴، تكون الشفتان فيها في حالة انفراج، وتراجع نحو الخلف ⁵، وبلغت نسبة الكسرة بنوعيهما (19.8%)، وهنا جاءت الكسرة في المرتبة الأخيرة للحركات، لتتناسب أفكار السورة ومعانيها، والكسرة -

¹ عبد التواب، رمضان: المدخل إلى علم اللغة العام ومناهج البحث اللغوي، ص 92.

² النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربية، ص 196.

³ مفتاح، محمد: في سيمياء الشعر القديم، ص 74.

⁴ النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربية، ص 193.

⁵ المرجع نفسه.

كما أكد العالم (فوناجي) بلوائحه الإحصائية - " تدل على الصغر واللفظ"¹ وهذا يتناسب مع سورة الحشر، فهي تدل على حالة المنافقين، وكذبهم واستصغارهم بأفعالهم، فلولا لطف الله بهم لأهلكهم جميعاً.

من المعروف أن التسلسل الصوتي للحركات في الوضوح السمعي يتدرج كالاتي: الفتحة الطويلة، فالكسرة الطويلة، فالضمة الطويلة، فالفتحة القصيرة، فالكسرة القصيرة، فالضمة القصيرة.² أما في السورة -كما ذكر سابقاً- فقد جاء الترتيب كالاتي: الفتحة، والضمة، والكسرة بنوعيهما: القصير والطويل، وذلك لتناسب طبيعة الموضوع العام للسورة.

الدلالة الصوتية للحركات في سورة الملك

في البداية ستعرض الباحثة جدولاً يمثل مجموع الحركات، ونسبها، في سورة الملك.

وتتبعي الإشارة إلى أن عدد الحركات، بنوعيهما القصير والطويل، في سورة الملك بلغ (790) حركة من أصل (1763) وحدة صوتية، أي ما نسبته (44.4%)، وهذا ما ارتقى بدراسة الحركات إلى الضرورة.

الحركة	الفتحة القصيرة	الضمة القصيرة	الكسرة القصيرة
المجموع	396	128	131
النسبة على مستوى أصوات السورة	40.6%	13.1%	13.4%
النسبة على مستوى الحركات	50.1%	16.2%	16.5%

الحركة	الفتحة الطويلة	الضمة الطويلة	الكسرة الطويلة
المجموع	49	40	46
النسبة على مستوى أصوات السورة	5%	4.1%	4.7%
النسبة على مستوى الحركات	6.2%	5%	5.8%

¹ مفتاح، محمد: في سيمياء الشعر القديم، ص 74.

² النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربية، ص 235.

نلاحظ، عند النظر إلى الجدولين السابقين، أن أكثر الحركات تكراراً كانت الفتحة، بنوعيهما القصير والطويل، تليها الكسرة، بنوعيهما القصير والطويل، وأخيراً الضمة، بنوعيهما القصير والطويل.

حيث وردت **الفتحة**، بنوعيهما: القصير، والطويل، (445) مرة، وبلغت نسبتها حوالي (56.3%)، وتليها **الكسرة**، بنوعيهما: القصير والطويل، وتكررت (177) مرة، وبلغت نسبتها حوالي (22.3%)، تليها **الضمة**، بنوعيهما: القصير، والطويل التي وردت (168) مرة، وبلغت نسبتها حوالي (21.2%).

ولهذا دلالاته في السورة، فالسورة تتحدث عن فكرة أساسية، هي إثبات ملكية الله تعالى الخالق، وعظمته وقدرته المطلقة التي لا يحدها شيء، وهذه السورة مكية، وهي في مجملها تخاطب المشركين الكافرين، لتؤثر فيهم وتريهم قدرة الله وعظمة خلقه، لكنهم مع ذلك لا يزالون يكذبون بها، فعندما تتحدث الآيات إلى المشرك، وتخاطبه، وخاصة في سياق الحديث عن يوم القيامة، وقدمه المفاجئ، وخسارة الكافرين وحسرتهم، فهنا تعبر الحركات عن الحالة النفسية، والخوف الذي يعيشه المشرك المكذب، وكل ما سبق ما كان ليبرز، لولا توظيف الحركات، توظيفاً دلاليّاً، ينسجم ومضمون الآيات، فالحركات - بنوعيهما القصير والطويل - ذات الاتساع المخرجي، والوضوح الصوتي العالي، أدّت المعنى المراد في السورة.

وأكثر الحركات وروداً في سورة الملك، هي حركة **الفتحة**، بنوعيهما: القصير، والطويل، ثم **الكسرة**، والضمة بنوعيهما، فقد بلغت نسبة **الفتحة** (56.3%)، ومردّ فوق **الفتحة**، بنوعيهما على جميع الحركات أن **الفتحة** هي أخف الحركات تليها **الكسرة**، ثم **الضمة**، وهذا ما وضّحه السيوطي، حين بيّن أن أثقل الحركات **الضمة** ثم **الكسرة**، ثم **الفتحة**¹.

إن طابع الاتساع النطقي الممتد في **الفتحة** يساعد في إثراء الطابع الموسيقي العام لهذه السورة، ولم يكن هذا الطابع إلا ليوافق مضمون السورة، فإذا كانت **الفتحة** - كما أكد العالم

¹ السيوطي: **الأشباه والنظائر**، 1/ 193.

فوناجي بقوائمه الإحصائية-تدل على الكبر وال ضخامة¹، فإن مضمون هذه السورة، التي تغلب عليها الفتحة، يدور حول إثبات ملكية الله الخالق وقدرته، وعظمته، وإثبات القدرة الإلهية المطلقة وإطلاع الله على خلقه، وأساس العدل الإلهي المطلق، يوم القيامة. فسورة الملك تتسم بالوحدة الموضوعية، في جميع أفكار السورة.

ولو نظرنا إلى الحركات الطويلة، لوجدنا أن أكثر الحركات الطويلة وروداً، هي حركة الفتحة الطويلة التي تعد من أخف الحركات، وأكثرها اتساعاً في المخرج، ووضوحاً في السمع كما ذكر سابقاً، فهي باتساعها وجهرها تفسح المجال لإثبات ملكية الله تعالى وقدرته العظيمة، وإقامة الحجة والدليل على منكري قدرة الله.

وتلي الفتحة الكسرة، بنوعيتها: القصير والطويل، فقد بلغت نسبة الكسرة بنوعيتها (22.3%)، فالكسرة تأتي بعد الفتحة، وقبل الضمة، من حيث السهولة النطقية، والحركات تتدرج في وضوحها السمعي. والكسرة -كما ذكر فوناجي- "تدل على الصغر واللفظ"² وهذا يتناسب مع طبيعة سورة الملك التي تحذر الكافرين من عذاب الله، وتعطيهم فرصة لدخول الإسلام، وهذا من لطف الله تعالى بهم.

وتلي الكسرة الضمة، بنوعيتها: القصير والطويل: وهي حركة خلفية ضيقة مستديرة³، وبلغت نسبة الضمة، بنوعيتها (21.2%) وهي تتصف بأنها أثقل الحركات في النطق، والضمة -كما وصفها العالم فوناجي بلوائحه الإحصائية-تدل على الحزن والقوة⁴ والضم يؤدي إلى الاجتماع، وكأن الآيات تدعو الكافرين والمشركون إلى الانضمام والاجتماع حول الدين الإسلامي، لما يعود عليهم بالقوة والنفع، والآيات تنذر، وتحذر المشركون، إن لم يلتزموا بالدين الإسلامي أنهم سيُهزمون، ويشقون في حياتهم، ويعذبهم الله في نار جهنم.

¹ مفتاح، محمد: في سيمياء الشعر القديم، الدار البيضاء: دار الثقافة، 1989، ص 74.

² المرجع السابق، ص 74.

³ النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربية، ص 196.

⁴ مفتاح، محمد: في سيمياء الشعر القديم، ص 74.

الخلاصة

بعد دراسة الحركات، في سورتي الحشر والملك، توصلت الباحثة إلى النتائج الآتية:

1- بلغ عدد الحركات في سورة الحشر، بنوعيهما القصير والطويل (1225) حركة من أصل (2584) وحدة صوتية، أي ما نسبته (90.1%)، في حين بلغ عدد الحركات بنوعيهما القصير والطويل في سورة الملك (790) حركة من أصل (1763) وحدة صوتية، أي ما نسبته (44.4%)، ونلاحظ مما سبق أن نسبة الحركات في سورة الحشر فاقت نسبة الحركات في سورة الملك، والسبب يعود في ذلك، بحسب رأي الباحثة إلى كون سورة الحشر سورة مدنية، ومعروف أن السور المدنية تتصف بطول الجملة والإطناب، ولطف الإيقاع، ولين الأسلوب، كما أن السور المدنية جاءت لدعوة المشركين إلى الإسلام، والكشف عن أحوال المنافقين، وبيئت بعض الأحكام التشريعية، مثل الغنيمة، وهذه المواضيع كلها لمسناها في سورة الحشر، وبذلك احتاجت إلى أصوات ذات وضوح سمعي عالٍ، بالإضافة إلى لين الصوت وهدوئه؛ لتؤثر في نفس المتلقي، وهذا كله يتوافر في الحركات، بنوعيهما القصير والطويل. أما سورة الملك فقد كانت نسبة الحركات فيها متناسبة مع نسبة الصوامت، وذلك يعود لكونها سورة مكية، ولأنها تحدثت عن ملكية الله الخالق وقدرته المطلقة. فاحتاجت إلى تناسب بين الصوامت والحركات؛ لتأدية المعنى المراد.

2- حازت الفتحة، بنوعيهما القصير والطويل، أعلى نسبة تكرار للحركات في سورة الحشر، وسورة الملك، فبلغت في سورة الحشر (56.9%) وفي سورة الملك (56.3%)، وهي نسب متقاربة جداً، ومردُّ تفوق الفتحة، بنوعيهما، على بقية الحركات، عائدٌ إلى كون الفتحة هي أخف الحركات، فالفتحة، بنوعيهما، تنتج " عندما يكون اللسان في وضع منخفض في الفم، وذلك بالنسبة إلى سقف الحنك الأعلى، بقسميه، الغار والطبق"¹. وتتصف حركة الفتحة في اللغة العربية بأنها حركة تميل إلى الاتساع، ولا تكون الشفتان، عند النطق بها، في وضع

¹ ينظر: النوري، محمد جواد، علم الأصوات العربية، ص 192

استدارة.¹ فطابع الاتساع النطقي الممتد في الفتحة يساعد في إثراء الطابع الموسيقي العام لسورتي الحشر والملك، ولم يكن هذا الطابع إلا ليوافق مضمون السورتين، وقد كانت الفتحة الطويلة، التي تعدُّ من أخف الحركات، وأقواها إسماعاً، من أكثر الحركات الطويلة تكراراً في سورة الحشر والملك، فهي الحركة التي وصفت بالمتسعة، وباتساعها وجهرها فسحت المجال للكافرين بالتفكر بعذاب الله يوم القيامة، إما أن يسلموا، وإما يبقوا على كفرهم.

3- احتلت الكسرة، بنوعيتها القصير والطويل، المرتبة الأخيرة، من حيث تكرار الحركات في سورة الحشر، وبلغت نسبتها (19.8%)، وذلك لتناسب أفكار السورة ومعانيها، والكسرة - كما أكد العالم (فوناجي) بلوائحه الإحصائية- "تدل على الصغر واللفظ"² وهذا يتناسب مع بعض أفكار سورة الحشر التي تدل على حالة المنافقين، وكذبهم واستصغارهم بأفعالهم، فلو لا لطف الله بهم لأهلكهم جميعاً.

4- احتلت الضمة، بنوعيتها القصير والطويل، المرتبة الأخيرة، على مستوى الحركات في سورة الملك، وبلغت نسبة الضمة بنوعيتها (21.2%)، وهي تنصف بأنها أثقل الحركات في النطق، وطبيعة الضمة لا تتلاءم مع أفكار سورة الملك وموضوعها، إلا في بعض الأفكار التي تنذر وتحذر المشركين، والضمة -كما وصفها العالم فوناجي بلوائحه الإحصائية- تدل على "الحزن والقوة"³ والضم يؤدي إلى الاجتماع، وكأن الآيات تدعو الكافرين والمشركين إلى الانضمام والاجتماع حول الدين الإسلامي؛ لما يعود عليهم بالقوة والنفع، والآيات تنذر وتحذر المشركين، إن لم يلتزموا بالدين الإسلامي أنهم سيُهزمون ويشقون في حياتهم، وسيُعذبهم الله في نار جهنم.

¹ النوري، محمد جواد، علم الأصوات العربية، ص 195.

² مفتاح، محمد: في سيمياء الشعر القديم، ص 74.

³ المرجع نفسه.

رابعاً: الفاصلة القرآنية

تعد الفاصلة القرآنية وجهاً من وجوه الإعجاز القرآني، ذلك الإعجاز الذي وقف أمامه العرب متحيرين، غير قادرين عن الإتيان بمثله، وهم أهل الفصاحة والبلاغة، وقد عني القرآن بالفواصل؛ لما لها من تأثير كبير في النفوس، فهي تؤثر في وجدان من يسمعها أو من يقرأها، وذلك بسبب التناغم والإيقاع الموسيقي الذي تحمله، فهي تربط ما قبلها من الكلام فيما بعدها، بحيث تتحدّر على الأسماع، وكأن ما قبلها لم يكن إلا تمهيداً لها، بحيث لو استغينا عنها، فإن المعنى يخل في الآية، فالفاصلة تأتي مستقرة في مكانها، غير قلقة، أو نافرة، تأتي لنشر جو من الموسيقى، محملاً بالمعنى الذي يكمل مضمون الآية التي خُتمت بها.

فالفاصلة ليست مجرد ألفاظ جاء بها القرآن الكريم، دون أثر يذكر، وإنما هي ألفاظ ذات جرس موسيقي مؤثر في النفس البشرية، عمد إليها القرآن لتحقيق أغراضه ومقاصده الدينية والدنيوية، فالفاصلة القرآنية كانت محط اهتمام القدماء والمحدثين، وهذا الاهتمام كان يقتصر على ربط الفاصلة بالسياق الدلالي للآية.

والباحثة ستقوم بربط الدلالة الصوتية للفاصلة القرآنية، في سورتي الحشر والملك، بالدلالة السياقية للآيات، وخاصة الصوت الأخير في الفاصلة، وأثره على الدلالة السياقية، ولكن قبل ذلك لا بد من الوقوف على تعريف الفاصلة لغة، واصطلاحاً.

تعريف الفاصلة لغةً واصطلاحاً

الفاصلة لغةً

اسم فاعل من (فصل)، والفصل: "بون ما بين الشيئين"، وقيل: "الحاجز بين الشيئين"¹. والمعنى العام اللغوي للفاصلة يدل على أنها: الفصل بين شيئين متصلين.

¹ ابن منظور: لسان العرب، مادة (فصل)

الفاصلة اصطلاحاً

تعددت تعريفات الفواصل القرآنية، فعرفها الزركشي بقوله: " هي كلمة آخر الآية، كقرينة الشعر، وقافية السجع"¹، ويعرفها أبو عمرو الداني، بقوله: " كلمة آخر الجملة "².

وقد عرفها فضل عباس بقوله: " ذلك اللفظ الذي ختمت به الآية، فكما سموا ما ختم به ببيت الشعر القافية، أطلقوا على ما ختمت به الآية الكريمة فاصلة."³

وعرفها أحمد بدوي بقوله: " تلك الكلمة التي تختتم بها الآية من القرآن، وتنزل الفاصلة من آياتها، وتكمل معناها، ويتم بها النغم الموسيقي للآية، فتراها أكثر ما تنتهي بالنون، والميم، وحروف المد، وتلك هي الحروف الطبيعية في الموسيقى نفسها."⁴

والفاصلة القرآنية تأتي تسميتها من قوله تعالى في سورة فصلت " كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ"⁵ فكل آية من آيات الذكر الحكيم تنتهي بفاصلة، وزعت بترتيب ربّاني، أكسبت القرآن سحراً عذباً، وإيقاعاً سلساً على القلوب، قبل أن يقع على المسامع.

فالذي يتضح مما سبق أن من وظائف الفاصلة الفصل بين آيات السورة الواحدة بهذا النغم الموسيقي، وبذلك الإيقاع يورثها أهمية محمودة في السورة الكريمة، " فالفاصلة تأتي في القرآن مستقرة في قرارها، مطمئنة في موضعها، غير نافرة، ولا قلقلّة، ويتعلق معناها بمعنى الآية تعلقاً تاماً، بحيث لو طرحت لاختل المعنى واضطرب الفهم، فهي تؤدي في مكانها جزءاً من معنى الآية ينقص ويختل بنقصانها."⁶

¹ الزركشي، بدر الدين: البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص 53.

² الداني، أبو عمرو: التيسير في القراءات السبع، ص 91.

³ عباس، فضل: إعجاز القرآن الكريم، ص 221.

⁴ بدوي، أحمد أحمد: من بلاغة القرآن، ط1، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1950، ص 245.

⁵ فصلت: آية 3.

⁶ بدوي، أحمد أحمد: من بلاغة القرآن، ص 75.

الفاصلة القرآنية في سورتي الحشر والملك

جاءت الفاصلة القرآنية في سورتي الحشر والملك متنوعة، بمعنى أن الفاصلة لم تلتزم فونيمًا محددًا، بل تعددت الفونيمات، مما أعطى النص حيوية نفّاذة إلى القلوب، لأن الانتقال من صوت لآخر، والتناوب فيما بينها، يؤدي إلى تنوع الإيقاع الذي تنتهي به الآيات، وهذا الإيقاع أسهم في إعطاء الآيات القرآنية جرساً موسيقياً له أثره الخاص في النفس والوجدان، فهذه الفواصل جاءت منسجمة ومتوافقة، مع سياق الآيات وجوّها المعنوي، فهي تعد جزءاً لا يتجزأ من الآية، بل هي متممة لمعناها، ومكملة لمضمونها.

ومن أجل دراسة الفاصلة القرآنية ودلالاتها، قامت الباحثة برصد الكلمة الأخيرة في كل آية من آيات سورتي الحشر والملك، فكان عدد الفواصل في سورة الحشر (24) فاصلة، وعددها في سورة الملك (30) فاصلة.

وتكونت سورة الحشر من 24 فاصلة، موزعة على أربعة صوامت، مسبوقة بفتحة طويلة، وضمة طويلة، وكسرة طويلة، وهي: (النون، الميم، الراء، الباء)، وتكونت سورة الملك من 30 فاصلة، موزعة على ثلاثة صوامت، مسبوقة بالكسرة الطويلة، والضمة الطويلة، وهي: (الراء، النون، الميم). وستبين الباحثة سبب ورود هذه الصوامت في نهاية فواصل السورة، وأثرها في توضيح المعنى، وتقريبه من ذهن السامع، وقبل الحديث عن هذا الأمر، لا بد من ذكر جدول إحصائي يبين نسبة الأصوات التي تنتهي بها فواصل السور الكريمة.

جدول أصوات الفاصلة القرآنية ونسبتها في سورة الحشر:

الصوت الذي تنتهي به الفاصلة	عدد مرات وروده	نسبته المئوية
النون	14	58.3%
الميم	5	20.8%
الراء	3	12.5%
الباء	2	8.3%

جدول أصوات الفاصلة القرآنية ونسبتها في سورة الملك:

الصوت الذي تنتهي به الفاصلة	عدد مرات وروده	نسبته المئوية
الراء	21	70%
النون	5	16.6%
الميم	2	6.6%

يتبين من الجدول السابق الخاص بسورة الحشر أن رويَّ الفاصلة القرآنية، في سورة الحشر، بني على أربعة أصوات، وأن صوت النون نال النصيب الأوفر من نهاية هذه الفواصل، فقد بلغت نسبته (58.3%)، يليه صوت الميم بنسبة (20.8%)، ثم صوت الراء بنسبة (12.5%)، وأخيراً صوت الباء بنسبة (8.3%)، الذي لم يرد سوى مرتين فقط.

أما بالنسبة لرويَّ الفاصلة القرآنية في سورة الملك، فقد بني على ثلاثة أصوات، وصوت الراء كان الأكثر تكراراً في نهاية الفواصل، فقد بلغت نسبته (70%)، يليه صوت النون بنسبة (16.6%) وأخيراً صوت الميم بنسبة (6.6%) وقد تكرر مرتين فقط. وهذا التنوع في الفواصل أحدث تنوعاً في الإيقاع؛ تبعاً لنوع الدلالة، يقول أحمد مختار عمر، إن "القرآن يلوّن وينوّع أواخر الفواصل؛ ليحدث تنوعاً في الإيقاع؛ تبعاً لنوع الموضوع والتعبير".¹

وبالنظر إلى تلك الأصوات يظهر أنها قد جمعت بين عناصر كثيرة من الخصائص الصوتية، منها:

1- صفة الجهر التي تنتمي إليها أصوات الروي جميعها، في السورتين، (ر، م، ن، ب)، إذ يتذبذب الوتران الصوتيان، عند نطق بهذه الأصوات، وللملمح الجهر قيمة تأثيرية في النصوص، وخاصة إذا أدرکنا أن سورة الملك، مكية، والسور المكية في المجمل، تعالج موضوعات العقيدة، وإثبات النبوة والإيمان باليوم الآخر، والترغيب والترهيب، فسورة الملك المكية، التي تتسم بالوحدة الموضوعية، جاءت لإثبات ملكية الله تعالى الخالق، وقدرته

¹ مختار، أحمد عمر: دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته، عالم الكتاب، ط 1، القاهرة، 2001م، ص

على كل شيء، وذكرت أدلة على قدرة الله الخالق، ثم حذرت الكافرين من عذاب الله، وهذه الموضوعات احتاجت إلى أصوات شديدة، وأساليب مؤثرة في النفوس، ونغم إيقاعي متسارع، يقرع الآذان والقلوب، وبناء على ما تقدم فقد كان ملمح الجهر ملمحاً مهماً من ملامح القوة في سورة الملك، وبالذات في فواصلها، فحينما تنتهي الآية بصامت مجهور، تكون أكثر وضوحاً في السمع، وأكثر تأثيراً في المتلقي. وكذلك الحال بالنسبة لفواصل سورة الحشر المدنية، حيث تكررت فيها أصوات (النون، الميم، الراء، الباء)، وهذه الأصوات المجهورة تتسم بالوضوح السمعي العالي، وشدة التأثير في المتلقي، فسورة الحشر، في مجملها، تحدثت عن حشر يهود بني الضير، وإخراجهم من ديارهم بسبب غدرهم بالرسول صلى الله عليه وسلم -ونقض العهد، كما أنها كشفت المنافقين، وبينت صفاتهم وكذبهم، فجاءت نهاية هذه الفواصل متناسبة مع موضوع السورة.

2- تشكل أصوات (والميم، النون، الراء)، نسبة عالية من صوامت فواصل سورة الحشر والملك، فبلغت نسبة صوامت (ن، م، ر) في سورة الحشر (91.6%)، وبلغت نسبة صوامت الفواصل في سورة الملك (100%)، فهذه الصوامت ترد تحت بند الأصوات المائعة، أو الرنانة، وهي "الأصوات التي يمر معها الهواء في مجراه، في الممر الصوتي، دون احتكاك، أو انحباس من أي نوع، ويعود ذلك إلى أن مجرى الهواء في الفم يتجنب نقطة السد، أو التضيق، كما يحدث في نطق اللام، أو لأن هذا التضيق غير ذي استقرار، كما يحدث في نطق الراء، أو لأن الهواء يمر من خلال الأنف، كما يحدث في نطق الميم والنون.¹

فهذه الأصوات لها وقعٌ نغميٌّ، ووضوح سمعيٌّ عالٍ، عند الوقف عليها، وتحديدًا صوتي النون والميم، اللذين يعدان من أطول الصوامت في العربية، وهذا كله يتلاءم مع فواصل سورتي الحشر والملك.

¹ النوري، محمد جواد: فصول في علم الأصوات، ص 228.

3- يعد صوت النون من أكثر الصوامت تكراراً في فواصل سورة الحشر، حيث تكرر 14 مرة من أصل 24 صامت، فصوت النون يحمل عدة مزايا أهّلت له ليكون الصوت الأكثر تكراراً في صوامت فواصل سورة الحشر، فهو صوت مجهور، مائع، ذو وضوح سمعي، أنفي¹، مما جعل فواصل السورة مشحونة بقوة نفاذة، تطرب الأذن عند سماعها، فصوت النون، يمتاز بسهولة النطق وخفته فتتشربه الأذن بهدوء وطمأنينة، ومن المعاني التي يحملها هذا الصوت -كما ذكر العلابي-: "التعبير عن البطون في الأشياء، ويدل أيضاً على تمكن المعنى"²، فصوت النون ذو الطابع الرنان تتجاوب اهتزازاته الصوتية في التجويف الأنفي، للتعبير عن مشاعر الخشوع،³ ومن المعاني الأخرى التي يحملها صوت النون، وخاصة إذا وقع في نهاية الكلمة، المعاني التي تدل على الرقة والأناقة والجمال⁴، فصوت النون في نهاية الفاصلة -كما بينت الباحثة- يدل على تمكن المعنى، وهذا ينسجم مع طبيعة الموضوع الذي تدور حوله الآيات، وهو الحديث عن حشر يهود بني النضير، وكشف كذب المنافقين، وهذا يحتاج إلى أصوات قريبة من النفس، وقد بينت الآيات عظمة الله تعالى وصفاته العلى، وحملت في طياتها وصية ربانية للمؤمنين، ودعوتهم لتقوى الله، وهذه الدعوة لا بد أن تحمل في طياتها الرقة والأناقة لجعلها قريبة من النفس، وصوت النون جاء منسجماً مع طبيعة الموضوع.

أما صوت النون في فواصل سورة الملك، فقد احتل المرتبة الثانية في التكرار، على مستوى الصوامت، فقد تكرر 5 مرات من أصل 30 صوتاً، ويعود ذلك إلى طبيعة صوت النون الرنانة ومزاياه التي ذكرت سابقاً، فسورة الملك تثبت ملكية الله تعالى، وقدرته على الخلق والبعث والنشور، وتتحدث عن مراقبة وإطلاع الله تعالى على خلقه. وهذا أساس العدل الرباني،

¹ "والأنفية مصطلح صوتي يطلق على الأصوات التي يتمكن الهواء، في أثناء النطق بها، من النفاذ عن طريق الأنف بحيث ينخفض الطبقة (الحنك اللين)، وهو ما يعرف في علم التجويد بالغنة."، أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، ص 70.

² العلابي، عبد الله: مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نصنع المعجم الحديث، ص 211

³ ينظر: عباس، حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 160.

⁴ المرجع نفسه.

فجاء صوت النون ليبيحث الطمأنينة والهدوء في نفوس المؤمنين، في إيقاعه العذب والرنان، أما في سياق الحديث عن يوم القيامة وخسارة الكافرين فجاء صوت النون يحمل معنى القوة، والوضوح السمعي، لبثّ الرعب والخوف في قلوب الكافرين المكذبين.

4-احتل صوت الميم المرتبة الثانية، في رويّ فواصل سورة الحشر، وفي فواصل سورة الملك احتل المرتبة الثالثة، فصوت الميم "صوت مجهور، لا هو بالشديد، ولا بالرخو؛ بل هو مما يسمى بالأصوات المتوسطة، ويتكون هذا الصوت بأن يمر الهواء بالحنجرة أولاً، فيتذبذب الوتران الصوتيان، فإذا وصل في مجراه إلى الفم هبط أقصى الحنك، فسدّ مجرى الفم، فيتخذ الهواء مجرى في التجويف الأنفي، محدثاً في مروره نوعاً من الحفيف لا يكاد يسمع، وفي أثناء تسرب الهواء من التجويف الأنفي تنطبق الشفتان تمام الانطباق.¹ فصوت الميم، صوت "رئوي، مستخرج، أنفي، شفوي، ثنائي، مائع، ذو وضوح سمعي، مجهور.² ومن المعاني التي يوحى بها هذا الصوت،" الليونة، والمرونة، والرقّة، والتماسك"³، وهذا يتناسب وطبيعة الموضوع الذي نتحدث عن سورة الحشر، وهو الحديث عن حشر يهود بني النضير، وكشف المنافقين وكذبهم، وبيان بعض أحكام التشريع الإسلامي، وهذا كله احتاج إلى صوت النون الذي يحمل معنى الليونة والمرونة والتماسك.

وقد ورد صوت النون في فواصل سورة الملك، وجاء متناسباً مع موضوع السورة، وهو إثبات ملكية الله تعالى الخالق، وقدرته على الخلق، مع ذكر أدلة على قدرته، وهي حجج على المكذبين بقدره الله، وهنا حمل صوت النون معنى التماسك والليونة؛ لإقامة الحجة على المكذبين، وفي سياق الحديث عن عاقبة المؤمنين حمل صوت النون معنى الرقة والمرونة.

5-احتل صوت الراء، المرتبة الأولى في فواصل سورة الملك، حيث تكرر في 21 فاصلة من أصل 30 فاصلة، وينتج صوت الراء " عندما يندفع الهواء من الرئتين، ماراً بالحنجرة،

¹ أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، ص 64.

² النوري، محمد جواد: فصول في علم الأصوات، ص 241.

³ عباس، حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 72-75.

فيحرك الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم، حتى يصل إلى مخرجه، وهو طرف اللسان، ملتقيًا بحافة الحنك الأعلى، فيضيق هناك مجرى الهواء، والصفة المميزة للراء هي تكرار طرق اللسان للحنك، عند النطق بها.¹، فصوت الراء يحمل عدة مزايا أهلتها ليكون الصوت الأكثر تكراراً في صوامت فواصل سورة الملك، فهو صامت: "فموي، لثوي، مكرر، أو لمسي، مجهور، مائع، ذو وضوح سمعي"²، وصوت الراء يوحى " بالثبات والاستقرار"³، إضافة إلى ملمح التكرار الذي منح الصوت القوة، وتكرار حرف الراء في فواصل السورة جاء منسجماً مع موضوع السورة الأساسي، وهو إثبات ملكية الله تعالى الخالق، وقدرته على كل شيء، وذكرت الآيات أدلة على مظاهر خلق الله لتكون حجة على المنكرين لقدرته، فاحتاجت السورة إلى صامت الراء الذي يوحى بالثبات والاستقرار، فقدرة الله ثابتة، فهو القادر على كل شيء، بالإضافة إلى معنى التكرار الذي ظهر عند ذكر أدلة على قدرة الله على الخلق، وتجلّى صوت الراء التكراري عند تحذير الكافرين من عذاب الله، وأهوال يوم القيامة ومصيرهم في نار جهنم، وهنا كان صوت الراء بمثابة إنذار وتحذير ولفت انتباه للكافرين.

أما صوت الراء في سورة الحشر فقد احتل المرتبة الثالثة، في تكرار صوامت فواصل السورة، فقد تكرر في 3 فواصل من أصل 24 فاصلة، وهي نسبة قليلة بالنسبة لصوامت الفواصل الأخرى، ويعود السبب في ذلك إلى أن طبيعة هذا الصامت لا تناسب مع موضوعات سورة الحشر، وقد تكررت فاصلة الراء في الفكرة الأولى التي تحدثت عن حشر بني النضير، وإخراجهم من ديارهم، فهذه الفكرة احتاجت إلى صامت الراء الذي يحمل معنى الثبات والاستقرار في أحوال يهود بني النضير، بسبب نقضهم للميثاق.

6-احتل صوت الباء المرتبة الرابعة والأخيرة في فواصل سورة الحشر، وينتج صوت الباء الانفجاري " عندما تقفل الشفتان إقفالاً تاماً أمام تيار الهواء، ويصاحب ذلك رفع الحنك

¹ أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، ص 66.

² النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربية، ص 161.

³ عباس، حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 86.

اللين، حتى لا يخرج الهواء من التجويف الأنفي، الأمر الذي يؤدي إلى حبس الهواء في التجويف الفموي، مدة من الزمن، ثم تنفجر الشفتان، فيندفع الهواء من بينهما محدثاً صوتاً انفجارياً¹. وصوت الباء يدل على الصلابة، والغلظة، وهذه الصلابة نابعة من طبيعته النطقية، ولهذا الصوت دلالة الإيحائية في النص، كما أن في صوت الباء دلالة على بلوغ معنى في الشيء بلوغاً تاماً²، ويتميز صوت الباء "بالاتساع، والامتلاء، والعلو، والانبثاق، والظهور"³، وهذه الصفات أعطت إichاءً قوياً وصلابة لهذا الصوت، ليتناسب مع فواصل سورة الحشر، وخاصة في سياق الحديث عن يهود بني النضير، وغدرهم للرسول، فإله تعالى يتوعدهم بالعقاب، ووردت فاصلة الباء في سياق الحديث عن الغنيمة، وأحكامها، وتهديده بالعقاب لمن يخاف أحكامها. فهذه المواضع احتاجت لصوت انفجاري، مثل الباء يمتاز بالظهور، لإيصال المعنى المراد.

يتبين لنا مما سبق ذكره أن صوامت (الميم، والنون، والراء) كانت أكثر الصوامت تكراراً، في الفواصل القرآنية في السورتين، والسر في تكرار وشيوع هذه الصوامت، يعود إلى الوضوح السمعي الذي تتسم به هذه الصوامت، ومما يؤكد هذا القول ما قدمته أحدث النظريات الصوتية المخبرية التي تقر بأن "أصوات الحركات تعد أعلى وضوحاً من الصوامت...، يليها في ذلك الأصوات الصامتة التي تتفاوت هي الأخرى، فيما بينها في درجة الوضوح السمعي، فالراء والميم والنون واللام هي أوضح في السمع من غيرها من الصوامت"⁴.

ويؤكد اليافي في بحثه حول حروف القرآن حقيقة هذا الوضوح السمعي، ويؤكد على خصوصية هذه الصوامت في فواصل السور القرآنية، بقوله: "النون والميم، وهما من أكثر الصوامت دوراناً في الفاصلة، ومن الطريف أن نلاحظ أن الميم والنون هما أطول الصوامت العربية، من حيث المدة الزمنية التي يستغرقها كل منهما في النطق، والنون والميم هما الصوتان

¹ النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربية، ص 156.

² العلابي، عبد الله: مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نصنع المعجم الجديد، ص 210.

³ عباس، حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 101-102.

⁴ النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربية، ص 235.

الأنفیان فی العربیة، ویتمتعان كذلك بمیزة موسیقیة ظاهرة فی الغنة، التي تنشأ من ضغط الهواء الخارج من الرئتين بالفم عند النطق بأحدهما، فیخرج الهواء من الأنف.¹

ختمت فواصل سورة الحشر والملك بأصوات المد (الألف، الضمة، الكسرة) الطویلة، فجاءت (الألف الطویلة) فی موضعین فقط، فی فاصلة (النار، الأبصار)، و (الضمة الطویلة) فی (14) موضعاً، و(الكسرة الطویلة) فی (5) مواضع، وكذلك الحال بالنسبة لواصل سورة الملك التي ختمت بأصوات المد (الضمة، الكسرة)، فجاءت الضمة فی (11) موضعاً، والكسرة فی (19) موضعاً، وهذا حقق أمرین:

الأول: أنه أضفی الاتساق بین الفواصل، وحقق الانسجام بین أصوات الروي التي اختلفت مخارجها؛ لأنها "تمكّن جهاز النطق من الانتقال من وضع صامت إلى الذي يليه، وبهذا صارت وسيلة لربط سلسلة من الصوامت فی أثناء الكلام."²

الثاني: أنه أضفی على الفواصل نغماً موسیقياً واضحاً ترتاح له النفس، "ولذلك كثرت حروف المد قبل حرف الروي؛ لیكون بذلك مؤذناً بالوقوف، ومؤدياً إلى الراحة والسكون، وكلما جاور حروف المد الروي كان آنس به، وأشدّ إنعاماً لمستמעه"³، وفي هذا يقول الزركشي: "قد كثر فی القرآن الكريم، ختم كلمة المقطع من الفاصلة بحروف المد واللين وإلحاق النون؛ وحكمته وجود التمكن من التطريب بذلك."⁴

ویمنح ورود أصوات اللين قبل صوت الروي، النص القرآني قوة إسماع، إذ أن أصوات المد أوضح فی الإسماع من الصوامت، "فصوت اللين أوضح بطبعه من الصوت الساكن"⁵،

¹ البیافي، نعیم: حروف القرآن، دراسة دلالية فی علمي الأصوات والنغمات، ص 102.

² المطلبي، غالب فاضل: فی الأصوات اللغوية دراسة فی أصوات المد العربي، دائرة الشؤون الثقافية والنشر - الجمهورية العراقية، 1984م، ص 45.

³ ينظر: ابن جني، الخصائص، ج 1، ص 233-234.

⁴ الزركشي: البرهان فی علوم القرآن، ص 60.

⁵ ينظر: أنیس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، ص 26.

وهي تقوم بتجميع الصوامت بعضها مع بعض لتأليف الكلام أولاً، ثم يقوم بإعطائها قوة على الإسماع.¹

ويبدو أن قيمة الفاصلة تتجلى أكثر ما تتجلى في حروف اللين، وفي هذا يقول ابن جني: "إنما جيء بالمد في هذا الموضع لنعمته، وللين الصوت به، وذلك أن آخر الكلمة موضع الوقف ومكان الاستراحة والأون،² فقدموا أمام الحرف الموقوف عليه ما يؤذن بسكونه، وما يخفض من غلواء الناطق، ولذلك كثرت حروف المد قبل الروي؛ ليكون مؤذناً بالوقوف ومؤدياً إلى الراحة والسكون، وكلما جاور حرف المد الروي كان آنس به وأشد إنعاماً لمستمعه.³

وتستنتج الباحثة أن ورود أصوات المد قبل صوت الروي، يمنح النص القرآني نوعاً من التطريب والتنعيم، وهذه الصفات كانت موجودة في الشعر العربي آنذاك، ولأن القرآن الكريم يعد معجزة من جنس ما برع فيه العرب، فقد نزل على لسانهم بضرب من التحدي، بل فاقهم في الإبداع، فلم يستطيعوا أن يأتوا بمثله، رغم براعتهم، وفصاحتهم في اللغة التي نزل بها القرآن.

شكلت الحركات الطويلة ملمحاً مميزاً للفاصلة في السورة، وكان لذلك أثر كبير في التعبير عن موضوعات السورة، وقد شكلت نوعاً من المدى الصوتي المفتوح للسورة الكريمة، وقد تنبّه الزركشي إلى أن "أكثر فواصل آيات القرآن تكون بالميم والنون المسبوقة بحرف المد، والحكمة من ذلك " وجود التمكن من التطريب بذلك"⁴

انفردت فاصلتا الراء (النار والأبصار) في سورة الحشر، في اقترانها بحركة الفتحة الطويلة، والراء صوت مجهور لمسي مكرر، احتاج إلى امتداد في الصوت يظهر لنا نطقه، بشكل واضح، فكان صوت الفتحة الطويلة هو الأنسب ليعطي الكلام مداه الصوتي الواضح، حيث تتميز الفتحة بأنها أخف الحركات، وأوضحها في السمع، وهي تهئ جهاز النطق للانتقال بالنطق من صامت إلى آخر، دون عناء.

¹ المطلبي، غالب فاضل: في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربي، ص 45.

² الأون: الدعة والسكون، المرجع السابق.

³ ينظر: ابن جني: الخصائص، 1/ص 233-234.

⁴ الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ص 86.

وتحدث إبراهيم أنيس عن أهمية شيوع الحركات قبل الفاصلة بقوله: " ولا شك أن التزام حركة بعينها قبل الروي مما يكسب القافية نغماً موسيقياً، ولكن الشعراء لم يلتزموا هذا، في غالب الأحيان، وقد تناوبت الحركات القصيرة مكان بعضها البعض، ولم يجد الشعراء في هذا أي غضاضة، وتناوبت واو المد وياء المد، مكان إحداهما الأخرى، ولم يحس الشعراء في هذا بأي غرابة، وألف المد هي الوحيدة بين الحركات التي جاءت قبل الروي، والتزمت في كل الأبيات، لأنها أوضح تلك الحركات في السمع."¹

هذا القول يؤكد الدراسة الوصفية التي تتعلق بفواصل سورتي الحشر والملك، وخاصة أنها تشير إلى قلة ورود حركة الفتحة الطويلة، بالمقارنة مع نسبة شيوع حركتي المد الطويلة الكسرة والضمة، والتي سجلت حالة التناوب بين هاتين الحركتين.

يقدم إبراهيم أنيس تفسيراً لحالة التناوب بين حركتي المد الطويلة الكسرة والضمة، معتمداً على العلاقة بين هذه الحركات من الناحية الصوتية، يقول: " لقد وجد المحدثون من علماء الأصوات اللغوية، وجوه شبه بين الضمة والكسرة، في طريقة تكون كل منهما، وسمي كل منهما صوتاً ضيقاً، وذلك لضيق مجرى الهواء معهما، وكذلك ما تفرع عنها من واو المد وياء المد، لأنهما متشابهان في طريقة تكونهما، فالسامع قد يخطئ في سماع واو المد، وتطرب أذنه كما لو أنها ياء مد، والطفل في مراحل نمو لغته قد يقلب واو المد ياء مد، فالطبيعة الصوتية بين كل من الحركتين هي التي ربما تبرر تناوب إحداهما مكان الأخرى."²

وقد أدرك العلماء ما بين الكسرة الطويلة والضمة الطويلة، والواو والياء من تناوب فيما بينهما، ولم يجر ذلك للألف على حد قولهم، وتنبهوا إلى أن الكسرة أخت الضمة، " وذلك نظراً للتشابه الكبير بينهما في آلية إنتاجهما في جهاز النطق، لأن كليهما صوت ضيق، ويطلقون عليهما أصوات العلة الضيقة، وربما يعود السبب في ذلك إلى أن الفتحة الطويلة تخرج من جوف الإنسان دون عائق، ودون تحريك للشفيتين، فيكون مجرى النطق، في أثناء النطق بهما،

¹ أنيس، إبراهيم: موسيقى الشعر، ص 265.

² المرجع السابق، ص 265-266.

متسعاً، وأما الضمة بنوعيهما، الطويلة والقصيرة، فيحتاج أثناء النطق بهما ضم الشفتين، وأما الكسرة بنوعيهما، الطويلة والقصيرة، فتحتاج إلى تحريك الشفة السفلى، ولكن يكون مجرى النطق، في أثناء النطق بالحركات، أكثر اتساعاً من الصوامت، فنهاها تنطلق دون أي دوي، أو ضوضاء، وتصل إلى الأسماع مؤثرة فيها تأثيراً تلقائياً في الوضوح والصفاء، وعلّة ذلك انبساطها مسترسلة دون تضيق في المخارج¹. ويعلق رمضان عبد التواب على هذه الأصوات فيقول: "وعلى ذلك ليست الضمة عدوة للكسرة، كما يتردد في بعض كتب العربية، بل هما من فصيلة واحدة، وذلك على العكس من صوت الفتحة، التي يعد قسيماً للضمة والكسرة، له ظواهره وأحكامه الخاصة."²

ونجد أن لهذه الأصوات، في أثناء ترتيل القرآن، نغماً منتظماً، بحيث تسيطر على إيقاع الكلام، مما يعطي النص القرآني سراً إعجازياً أعجز الحذاق من البلغاء على الإتيان بمثله. كما أن الحركات الطويلة تساعد على اتساق الفواصل القرآنية، وتحقق انسجاماً بين حروف الروي، رغم اختلاف مخارجها؛ لأنها تساعد جهاز النطق على الانتقال من حرف صامت إلى آخر دون عناء، ودون إجهاد لجهاز النطق.

الدلالة الصوتية للفاصلة القرآنية في سورتي الحشر والملك

أما بالنسبة للمقاطع الصوتية في فواصل سورتي الحشر والملك، فقد ختمت فواصل السورتين جميعها، بالمقطع الطويل المغلق (ص ح ح ص)، الذي يرد دائماً في أواخر الكلمات، أو عند الوقف عليها، ويعد هذا النوع من أكثر المقاطع الصوتية وضوحاً في السمع؛ فالطاقة التي يحملها هذا المقطع عالية، وكلما زادت الطاقة في المقطع، زادت درجة وضوحه السمعي، وتزيد درجة وضوح المقطع، بزيادة الزمن المستغرق في أداء المقطع، والذي يعتمد بالأصل على عدد مكونات المقطع من حركات وصوامت.

¹ الصغير، محمد: الصوت اللغوي في القرآن، ط1، بيروت: دار المؤرخ العربي، 2000م، ص 182.

² عبد التواب، رمضان: المدخل إلى علم اللغة، ص 94.

نص القدماء والمحدثون على التناسب والانسجام بين الفواصل القرآنية والسياق الدلالي، فبنت الشاطي تقول: "ما من فاصلة قرآنية لا يقتضي لفظها في سياق دلالة معنوية لا يؤديها لفظ سواء، فقد نتدبره فنهتدي إلى سره البياني، وقد يغيب عنا فنقر بالقصور عن إدراكه".¹، وتحدث الزركشي عن التناسب بين الأصوات الأخيرة في الفاصلة، بقوله: "واعلم أن إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل، حيث تطرد، متأكد جداً، ومؤثر في اعتدال نسق الكلام وحسن موقعه من النفس تأثيراً عظيماً".²

وستقوم الباحثة بتتبع بعض الأمثلة التي توضح العلاقة بين الفاصلة القرآنية والسياق الدلالي، في سورة الحشر، ومنها قوله تعالى: "وَ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَشِيعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ".³ فالله تعالى يقول معظماً أمر القرآن، ومبيناً علو قدره، لو أني أنزلت هذا القرآن على جبل، لتصدع وخشع من ثقله، ومن خشية الله، فأمر الله الناس، إذا نزل عليهم القرآن أن يأخذوه بالخشية الشديدة والخشوع. ثم قال: كذلك يضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتفكرون، فختمت الآية الكريمة بالفاصلة (يتفكرون) وهي جاءت مناسبة لمعنى الآية وسياقها، فالجمادات تخشع من شدة خشيتها لله، فكيف بالإنسان، فالله تعالى أورد الفاصلة (يتفكرون) ليوظ الناس للتأمل والتفكير بالله تعالى، فجاءت الفاصلة مناسبة لما قبلها، ولولاها ما تم المعنى المراد. ولو نظرنا إلى الأصوات المكونة لفاصلة الآية (يتفكرون) لوجدنا أنها تتكون من صوت (الياء، التاء، الفاء، الكاف، الراء، الضمة الطويلة، النون) فجمعت أصوات الفاصلة بين ملمح الجهر والهمس، فَ (الياء، الراء، الواو، النون) أصوات مجهورة ذات وضوح سمعي عال، و (التاء، والفاء، والكاف) أصوات مهموسة فيها سهولة وليونة وحس خفي، لإيصال المعنى المراد، وهو التفكير. ولكل صوت من هذه الأصوات دلالته التي يوحى بها، ليشكل في النهاية المعنى العام للفاصلة، والتي تتناسب وسياق الآية، فالياء تدل على الانفعال، وهو من أنصاف الحركات ذات الوضوح السمعي العالي، والتاء

¹ عبد الرحمن، عائشة (بنت الشاطي): الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأثرق دراسة قرآنية لغوية وبيانية، دار المعارف، ط 3، ص 278.

² الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ص 55.

³ الحشر: الآية 21.

صوت "متماسك مرن يوحى بلمس بين الطراوة والليونة"¹، وصوت الفاء، يوحى بلمس مخملي دافئ"²، ينعش قلب كل سامع لذكر الله عز وجل، وصوت الكاف صوت يوحى "بالخشونة، والقوة والفعالية والامتلاء والتجميع"³ أما صوت الراء فيه حركة وتردد واضطراب، ويحمل في طياته معنى الرقة والمرونة"⁴، أما الضمة الطويلة بتطريبها فتنتم بالوضوح السمعي العالي، ويتسم صوت النون بوضوحه السمعي العالي "⁵ويعد صوت النون الرنان من أكثر الأصوات التي تعبر عن مشاعر الألم والخشوع"⁶، فكل هذه المعاني التي تحملها الأصوات المكونة للفاصلة، تتسجم مع المعنى الذي دارت حوله الآية.

وستتبع الباحثة بعض النماذج التي تدل على العلاقة بين الفاصلة والسياق الدلالي، بعيداً عن الناحية الصوتية؛ لتقريب المعنى الأساسي الذي تدور حوله الآيات، وهو أنها تقع في نهاية الآية لتتم معناها، ففي قوله تعالى: "فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ"⁷ فالله عز وجل يبين لنا نهاية الشيطان والإنسان في معصية الرحمن، أنه أدخلهما دار الخزي والهوان، خالدين فيها مدى الأزمان، وهذا جزاء كل معتد آثم، فجور ظالم.⁸ فجاءت الآية مختومة بالفاصلة القرآنية (الظالمين) لتبين لنا سبب دخول الشيطان والإنسان نار جهنم، وذلك لأنهم بالغوا في الفجور والعصيان، وجزاء الظالمين نار جهنم، فجاءت الفاصلة مناسبة لسياق الآية، وتحمل دلالتها، ولولاها ما تم المعنى المراد.

ومن الأمثلة الأخرى على العلاقة بين الفاصلة القرآنية والسياق الدلالي، قوله تعالى: "لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ"⁹، يخاطب الله تعالى المؤمنين،

¹ عباس، حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 55.

² ينظر: المرجع السابق، ص 132، 134.

³ المرجع السابق، ص 70.

⁴ ينظر: المرجع السابق، ص 80-85.

⁵ ينظر: المرجع السابق، ص 164.

⁶ ينظر: المرجع السابق، ص 160.

⁷ الحشر: الآية 17.

⁸ القرني، عائض: التفسير الميسر، ط 5، العبيكان، المملكة العربية السعودية، الرياض، 2015م، ص 645.

⁹ الحشر: الآية 13.

وبين لهم شدة خوف المنافقين منهم فهم يخافونهم أكثر من مخافتهم لله تعالى؛ لأنهم أناس لا يفهمون ما لله من عظمة وكبرياء، فلا يعرفون حقه، وما له من هيبة وتعظيم.¹ فجاءت الآية مختومة بالفاصلة القرآنية (لا يفقهون)، وهي إجابة عن سؤال سبب خشية المنافقين للمؤمنين أكثر من خشيتهم لله، فالإجابة كانت لأنهم لا يفقهون، فكانت الفاصلة متناسبة مع الآية وسياقها الدلالي.

أما سورة الملك المكية التي تميزت بالوحدة الموضوعية في جميع آيات السورة، وهي إثبات ملكية الله تعالى الخالق، وأنه على كل شيء قدير، فهناك ترابط وثيق وعلاقة بين الفاصلة في الآية القرآنية والسياق الدلالي، ومن الأمثلة التي توضح العلاقة بين الفاصلة القرآنية والسياق الدلالي، قوله تعالى: "قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مَنْ عَذَابِ أَلِيمٍ"²، يخاطب الله تعالى، سيدنا محمداً، ويطلب منه أن يحذر المشركين الجاحدين لنعم الله من عذابه، وطريق الخلاص بالنسبة للمشركين هو التوبة والرجوع لدين الله، وإلا فسوف يلقون العذاب الأليم من الله تعالى. فختم الله تعالى هذه الآية بالفاصلة (أليم) ليحذر المشركين من شدة عذابه، وجاءت هذه الفاصلة مناسبة لما قبلها ولولاها ما تم المعنى المراد. ولو نظرنا إلى الأصوات المكونة لفاصلة الآية (أليم) لوجدنا أنها تتكون من (الهمزة، واللام، والكسرة الطويلة، والميم) ولكل صوت من هذه الأصوات دلالة التي يوحى بها، ليشكل في النهاية المعنى العام للفاصلة، والتي تتناسب وسياق الآية، فالهمزة تدل على "الانفعال والظهور والبروز والنتوء"³، واللام تدل على "الليونة والمرونة والتماسك والالتصاق"⁴ وفي التماسك والالتصاق قوة. والكسرة الطويلة، بما تحتويه من مد، تعطي تطريفاً مميزاً للفاصلة، فيصبح المعنى ذا أثر واضح في نفس السامع، والميم تدل على "الليونة، والمرونة، والتماسك"⁵، وجميع صوامت هذه الفاصلة

¹ القرني، عائض: التفسير الميسر، ص 645.

² الملك: الآية 28.

³ ينظر: عباس، حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 95-96.

⁴ ينظر: المرجع السابق، ص 41.

⁵ ينظر: المرجع السابق، ص 72.

تحمل صفة الوضوح السمعي، فكل هذه المعاني التي تحملها الأصوات المكونة للفاصلة، تتسجم مع المعنى الذي دارت حوله الآية.

وستتبع الباحثة بعض النماذج التي تدل على العلاقة بين الفاصلة والسياق الدلالي، بعيداً عن الناحية الصوتية؛ لتقريب المعنى الأساسي الذي تدور حوله الآيات، وهو أنها تقع في نهاية الآية لتتم معنى الآية، ففي قوله تعالى: "وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (6) إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقاً وَهِيَ تَفُورُ (7) تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (8) قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (9) وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (10) فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ (11)".¹ فجميع هذه الآيات حملت فكرة واحدة، وهي بيان طريق المجرمين الكافرين وعاقبتهم، ووصف لجهنم، وحالها عند لقاء الكافرين، فختمت هذه الآيات بالفواصل الآتية على التوالي، (المصير، تفور، نذير، كبير، السعير) فهذه الفواصل كلها جاءت لتوضح المعنى المقصود من الآيات، وقد ختمت جميعها بحرف الراء التكراري ذي الوضوح السمعي العالي؛ ليؤثر في السامع. فالفاصلة (المصير) جاءت مناسبة لمعنى الآية، وهو جزاء الذين كفروا، نار جهنم وبئس المصير، والفاصلة (تفور) جاءت لتصف نار جهنم، عند لقاء الكافرين، فهي من شدة غليانها تفور، والفاصلة (نذير) جاءت مناسبة لما قبلها من فواصل، فالله تعالى حذر الكافرين من عذاب جهنم، لكنهم أصروا على كفرهم، والفاصلة (كبير) جاءت متناسبة مع الفاصلة نذير، حيث ندم الكافرين، واعترفوا أن الله تعالى أنذرهم، ولكن ندمهم لن ينفعهم، وهم في ضلال كبير، فالفاصلة (السعير) تبين ندم الكافرين وتحسرهم على كفرهم، واصرارهم على العصيان، فهم أصبحوا من أصحاب السعير. فكانت جميع الفواصل في الآيات المذكورة متناسبة مع فكرة الآيات، وسياقها الدلالي.

وبعد دراسة الفاصلة القرآنية في سورتي الحشر والملك استنتجت الباحثة أن فواصل سورتي الحشر والملك، بما تحويه من روي، ومن تنوع للمقاطع الصوتية، ومن دلالة تتناسب

¹ الملك: الآيات من 6-11.

والفاصلة القرآنية، جاءت متناسبة مع موضوع السورتين، أو الأفكار التي تدور حولها السورتان، فسورة الحشر بمجملها تحدثت عن حادثة بني النضير، وعن غدرهم بالرسول — صلى الله عليه وسلم — ونقض العهد الذي كان بينهم، حتى إنها سميت بسورة بني النضير، وجاءت مع دعوة المؤمنين للتقوى والخشوع والتفكر في تدبير الله الحكيم، وسورة الملك، تحدثت عن ملك الله تعالى وعظمته، وقدرته على كل شيء، فهو مالك الدنيا والآخرة ومليكها، وبيان أهم خصائص هذا الملك وهي القدرة المطلقة لله تعالى، فموضوع السورتين احتاج إلى أصوات واضحة في السمع، قربية من الذهن، لها أثرها الواضح في نفس المتلقي، وهذا تحقق في الفواصل القرآنية للسورتين، واحتوت الفواصل على الأصوات المجهورة، والأصوات المائعة الرنانة التي تعد من أكثر الأصوات اللغوية وضوحاً في السمع، وقد سبقت هذه الأصوات بحروف المد، الألف والواو والياء في سورة الحشر، أما سورة الملك فقد سبقت بحرفي المد الواو والياء ؛ ليتناسب ذلك وما تحتويه الآية في نهايتها، فالضمة والكسرة الطويلة جاءت لتعطيا تطريباً مميزاً للفاصلة يجعلها قريبة من ذهن السامع، واحتوت فواصل الآيات في السورتين على المقطع الطويل المغلق (ص ح ح ص) الذي يعد من أكثر المقاطع الصوتية وضوحاً في السمع، وكذلك كانت الفاصلة مناسبة لما تدور حوله بعض الآيات -كما ذكر سابقاً- وهذا كله كان له الأثر الواضح في أداء المعنى، وتقريبه من ذهن السامع.

وخلاصة القول أنّ للفواصل القرآنية، ميزة مهمة في إعطاء الآيات القرآنية جرساً موسيقياً له أثره الخاص في النفس والوجدان، فقد جاءت تلك الفواصل بإيقاعات موسيقية مختلفة، تتناسق مع سياق الآية وجوّها المعنوي، إذ تعد جزءاً لا يتجزأ من الآية، بل تكون متممة لمعناها، ومكملة لمضمونها، فهي تمنحها إيقاعاً موسيقياً رائعاً، يبعث على الدهشة والانبهار، بما تضيفه من سحر بياني فتان، وقد أكد هذا الرافعي بقوله " وما هذه الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن، إلا صور تامة للأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى، وهي متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقاً عجبياً، يلائم نوع الصوت والوجه الذي يساق عليه." ¹

¹ الرافعي، مصطفى صادق: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص 216.

الخلاصة

1- لقد أحدث التنوع الصوتي لفواصل سورتي الحشر والملك، نغماً صوتياً بارزاً، وتحديداً صوتي النون والراء، وقد أسهم التنوع الصوتي في تشكيل الدلالات المتسقة اتساقاً كلياً مع المعنى العام للآيات.

2- لقد كانت فواصل سورتي الحشر والملك متنوعة، أي أنها لم تأتِ على صوت واحد، وقد أسهم هذا التنوع في فواصل السورتين، بكسر الرتابة والملل لدى السامع، وتنشيط ذهنه لإبقائه يقظاً، متفاعلاً مع النص.

3- غلب على فواصل سورتي الحشر والملك أصوات ذات تردد سمعي عالٍ ووضوح قوي، كالنون والراء والميم والباء، حيث أقر الفيروز آبادي " أن أكثر الأصوات عددًا في القرآن الكريم هو صوت النون، يليه اللام فالميم"¹، فهي تستخدم بكثرة في الروي، لما تمتاز به من الوضوح السمعي.

4- إن غلبة صوتي النون والراء في فواصل سورتي الحشر والملك، كان له أثر كبير في إكساب السورة تنغيماً صوتياً مميزاً، ولذلك نجد أن صوتي النون والراء، من أكثر الأصوات وروداً في فواصل سور القرآن الكريم، بشكل عام، وذلك بسبب الخصائص الصوتية لهذه الصوامت، فصوت النون المجهور، ذو وضوح سمعي العالي، وصوت الراء التكراري، أكسبا السورتين جمالاً موسيقياً عذباً، وأثراً دلاليًا مقصوداً.

5- انتهت فواصل سورتي الحشر والملك بالمقطع الطويل المغلق (ص ح ح ص) الذي حقق انسجاماً صوتياً وتآلفاً بين الفواصل، في السورتين.

أثر الإيقاع الصوتي في فاصلة المكي والمدني

بعد هذه الدراسة الصوتية التي تناولت فاصلة الآيات، في سورتي الحشر والملك، كان لابد من إلقاء ذلك على السور المكية والمدنية، باعتبارها محور الحديث في دراسة هذا

¹ ينظر: الفيروز آبادي، مجد الدين: بصائر ذوي التمييز، ج 1، ص 564-566.

المستوى، ولما كانت الدراسة الإحصائية متقاربة في نسبتها المئوية، إلا أنها أخرجت السور المدنية بطابع مختلف عن السور المكية، فقد يغلب القصر على الجملة في السور المكية، في حين تميل الجملة في السور المدنية إلى الطول، ولذلك يسهل علينا ملاحظة هذا التوازن في السور المكية، حيث تتواتر الفواصل على مسافة ضيقة، فيبرز الإيقاع، لأن هذا التواتر الضيق، يعني اختزال المدى الزمني، الذي تتردد فيه أصوات الفواصل، ويقودنا الكلام السابق إلى ضرورة الإشارة إلى تمييز السور المكية، على وجه العموم، بالإيقاع السريع، إذا قورن بالإيقاع في السور المدنية، ويضاف إلى ذلك السمة الموسيقية للقرآن المدني، فنتميز السور المكية، بوجه عام، ببنائها على الفواصل القصيرة، أو المتوسطة، لتتابعها وبروز موسيقاها، أما السور المدنية فغالباً ما تطول فيها قرائن الفواصل طويلاً ملحوظاً، وفي ذلك سر من أسرار الإعجاز اللغوي في القرآن، "وهو مناسبة الخطاب اللغوي في السور المكية لطبيعة المكين، فقد كانوا قوماً جبابرة، تسود بينهم المنكرات والعادات السيئة والأخلاق الفاسدة، وذلك كله يقتضي خطابهم بلغة سريعة مقترنة غير مسترسلة، وبقول حاد حاسم محذر تقصر فيه الجمل، ويبرز التجانس الصوتي، وتعلو الموسيقى، وترتبتها هذه السمات الصوتية للخطاب المكي بحرارة التعبير على المستوى الأسلوبي، إذ يكثر في السور المكية أسلوب القسم وأسلوب الاستفهام الإنكاري، والتحذير والوعيد وضرب الأمثال للإفهام، أما الخطاب اللغوي في السور المدنية، فقد كان مسترسلاً مناسباً ينزع إلى التفضيل والتوضيح، ويتناسب مع وضوح التشريعات والتعاليم الدينية، وشرح حدود العقيدة، بعد أن توطدت دعائم الدين الجديد، وكل ذلك يشهد على تكون الخطاب القرآني مع تغيير الأحوال والمقتضيات وطبيعة المخاطبين".¹

¹ سليمان محمد سيد: تصوير الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، م 9/ ع

الخاتمة والنتائج

إن للصوت اللغوي أهمية في دراسة النص القرآني، فهو يتسم بقوة التأثير، وإحساس الأذن بالنغم العذب، حين تجويده، وهو يمثل البنية الصغرى في الكلمة أو الجملة، والقرآن يختار الأصوات، بحسب الدلالة؛ قصد إخراج المعاني في أحسن صورة، والصوت عنصر أساسي في الإعجاز القرآني، وقد قامت الباحثة في هذا البحث بدراسة صوتية دلالية للصور المكية والمدنية، متخذة من سورتي الحشر والملك نموذجاً، وقد تبين في هذا البحث، أن للملامح التمييزية، كالجهر والهمس، والانفجار والاحتكاك، والتفخيم والترقيق، أثراً بارزاً في تشكيل المعنى المراد، وإيصاله إلى المتلقي، فاختلاف الأصوات في الجهد المبذول لنطقها، وفي وضوحها السمعي، وفي طبيعة الجرس الموسيقي يعود إلى هذه الملامح التمييزية. وبعد دراسة سورتي الحشر والملك دراسة صوتية دلالية تبين للباحثة ما يأتي:

- فاق عدد الأصوات المجهورة في سورتي الحشر والملك عدد الأصوات المهموسة، وهذا يعود إلى الخصائص التي تتميز بها الأصوات المجهورة، والتي تتسجم مع مضمون السورتين، فقد احتلت الأصوات المجهورة المرتبة الثانية على صوامت سورة الملك بنسبة (59.9%) والمرتبة الثانية في سورة الحشر بنسبة (61.9%)، في حين احتلت الأصوات المهموسة المرتبة الثالثة في السورتين، حيث بلغت نسبتها في سورة الحشر (27%) وبلغت في سورة الملك (25.7%).

- حازت الأصوات المرفقة على المرتبة الأولى في الأصوات الأكثر تكراراً، في السورتين، وبلغت في سورة الحشر (68.5%)، وفي سورة الملك (75.9%)، وذلك يعود إلى السهولة النطقية التي تمتاز بها الأصوات المرفقة، والتي تتسجم مع موضوعات السورتين، عكس نظائرها المفخمة التي احتلت المرتبة السادسة في سورة الحشر بنسبة 6.8%، والمرتبة السابعة في سورة الملك، بنسبة 6.5%، وذلك يعود إلى طبيعة هذه الأصوات، وما تحتاجه من جهد عضلي كبير، عند النطق بها.

- غلبت الأصوات الاحتكاكية الأصوات الانفجارية، في السورتين، وذلك عائد إلى طبيعة هذه الأصوات، ومناسبتها لموضوع السورتين.
- كانت أقل الأصوات تكراراً، على مستوى سورتي الحشر والملك، هي أصوات: ط، ظ، ث؛ وذلك عائد إلى طبيعة هذه الأصوات وعدم مناسبتها لموضوع السورتين.
- حازت الفتحة بنوعيتها القصير والطويل على أعلى نسبة تكرار للحركات في سورة الحشر وسورة الملك، فبلغت في سورة الحشر (56.9%) وفي سورة الملك (56.3%)، احتلت الكسرة، بنوعيتها القصير والطويل، المرتبة الأخيرة، من حيث تكرار الحركات في سورة الحشر، وبلغت نسبتها (19.8%)، في حين احتلت الضمة، بنوعيتها القصير والطويل المرتبة الأخيرة، على مستوى الحركات في سورة الملك، وبلغت نسبة الضمة، بنوعيتها (21.2%)، ومرد ذلك إلى أن الفتحة أخف الحركات، تليها الكسرة، ثم الضمة.
- كانت الفاصلة القرآنية ركيزة أساسية في عملية التوجيه الدلالي للآيات، فضلاً عن دورها في الإيقاع الصوتي في القرآن الكريم.
- انتهت فواصل سورتي الحشر والملك بالمقطع الطويل المغلق (ص ح ح ص) الذي حقق انسجماً صوتياً وتآلفاً بين الفواصل في السورتين.
- غلب على فواصل سورتي الحشر والملك، أصوات ذات تردد سمعي عالٍ ووضوح قوي، كالنون والراء والميم.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

استيتية، سمير شريف: الأصوات اللغوية: رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، ط1، عمان، دار وائل، 2003م.

إسماعيل، محمد بكر: دراسات في علوم القرآن، ط1، القاهرة، دار المنار. (د.ت).

الألوسي، شهاب الدين: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج 3.

امرؤ القيس: الديوان، ضبطه وصحّحه مصطفى عبد الشافي، بيروت: دار الكتب العلمية. (د.ت).

أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، ط4، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 2007.

دلالة الألفاظ، ط7، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1993م.

في اللهجات العربية، ط1، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1990م.

موسيقى الشعر، ط2، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1952م.

بدوي، أحمد أحمد: من بلاغة القرآن، ط1، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1950م.

بشر، كمال: علم الأصوات، القاهرة، دار غريب، 2000م.

علم اللغة العام، دار المعارف، القاهرة، 1973م.

ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف: منظومة المقدمة فيما يجب على القارئ أن يتعلمه،

ط4، تحقيق: أيمن رشدي سويد، جدة: دار نور المكتبات للنشر والتوزيع، 2006 م.

ابن جني، أبو الفتح عثمان: **الخصائص**، مج 3، تحقيق عبد الحميد هندراوي، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2001م.

ابن جني، أبو الفتح بن عثمان، **سر صناعة الإعراب**، تحقيق: حسن هندراوي، ط2، دمشق، دار القلم ج1، 1993م.

الإمام ابن الجوزي، أبو الفرّح عبد الرحمن: **فنون الأُفنان في عيون علوم القرآن**، تحقيق: حسن ضياء الدين عتر، ط1، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1987.

حجازي، محمود فهمي: **مدخل إلى اللغة**، القاهرة، دار قباء، 1997م.

حسان، تمام: **اجتهادات لغوية**، ط1، القاهرة، عالم الكتب، 2007م.

حسان، تمام: **مناهج البحث في اللغة**، الدار البيضاء، دار الثقافة، 1977م.

حسين أحمد، عبد الرازق: **المكي والمدني في القرآن الكريم**، ط1، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، القاهرة، 1999م، مجلد 1.

الداني، أبو عمرو: **التيسير في القراءات السبع**، تحقيق: أوتويرتزل (مستشرق ألماني)، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1996م.

الرافعي، مصطفى صادق: **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، بيروت، دار الكتاب العربي، 2005م.

الزرقاني، محمد عبد العظيم: **مناهل العرفان في علوم القرآن**، ط3، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ج1. د.ت.

الزركشي، الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله: **البرهان في علوم القرآن**، ط1، تحقيق: أبو الفضل الدمياطي، دار إحياء الكتب العربية.

- السعران، محمود: **علم اللغة مقدمة للقارئ العربي**، بيروت، دار النهضة العربية. دت.
- ابن سنان الخفاجي، أبو محمد عبد الله بن محمد: **سر الفصاحة**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982م.
- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان الحارثي: **كتاب سيبويه**، ط2، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1982م.
- ابن سينا، أبو علي الحسين: **رسالة أسباب حدوث الحروف**، تحقيق: محمد حسان الطيان، ويحيى مير علم، دمشق، مجمع اللغة العربية.
- السيوطي، جلال الدين: **الإتقان في علوم القرآن**، ط1، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، 2008م.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر: **الأشباه والنظائر في النحو**، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، ط3، القاهرة، عالم الكتاب، 2003م.
- الشابلي، أبو القاسم: **الديوان**، قدم له وشرحه أحمد حسن بسج، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1995م.
- شاهين، توفيق محمد: **علم اللغة العام**، ط1، القاهرة، مكتبة وهبة، 1980م.
- شاهين، عبد الصبور: **المنهج الصوتي للبنية العربية**، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1980م.
- الصابوني، محمد علي: **مختصر تفسير ابن كثير**، ط7، دار القرآن الكريم، بيروت، ج3، 1981م.
- الصالح، صبحي: **دراسات في فقه اللغة**، ط16، بيروت، دار العلم للملايين، 2004م.
- الصايغ، عبد العزيز: **المصطلح الصوتي في الدراسات العربية**، دمشق، دار الفكر، 2000م.

- الصغير، محمد: الصوت اللغوي في القرآن، ط1، بيروت: دار المؤرخ العربي، 2000م.
- الضالع، محمد صالح: الأسلوبية الصوتية، القاهرة، دار غريب، 2002م.
- طليمات، غازي مختار: في علم اللغة، ط2، دمشق، دار طلاس، 2000م.
- العاني، سليمان: التشكيل الصوتي في اللغة العربية (فنولوجيا العربية). ترجمة: ياسر الملاح، ط1، جدة، النادي الأدبي الثقافي، 1983م.
- عباس، حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1998م.
- عباس، فضل؛ سناء، عباس: إعجاز القرآن الكريم، د.ط، 1991م.
- عبد التواب، رمضان: فصول في فقه العربية، ط6، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1999م.
- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ط1، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1980م.
- عبد الجليل، عبد القادر: الأصوات اللغوية ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 1998م.
- عبد الرحمن، عائشة (بنت الشاطئ): الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق دراسة قرآنية لغوية وبيانية، القاهرة، دار المعارف، ط3.
- عبد الرحمن، ممدوح: القيمة الوظيفية للصوائت (دراسة لغوية)، الإسكندرية: دار المعارف الجامعية، 1988م.
- العلالي، عبد الله: مقدمة لدرس لغة العرب، وكيف نضع المعجم الجديد، القاهرة، المطبعة العصرية.
- عمر، أحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي، القاهرة، عالم الكتب، 1997م.

- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، تحقيق: محمد علي النجار، ط3، القاهرة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، 1996م.
- القرني، عائض: **التفسير الميسر**، ط5، العبيكان، المملكة العربية السعودية، الرياض، 2015م.
- القطان، مناع: **مباحث في علوم القرآن**، ط7، القاهرة، مكتبة وهبة. دت.
- قطب، سيد: **في ظلال القرآن**، ط32، دار الشروق، بيروت، 2003.
- القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب: **الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة**، تحقيق: أحمد حسن فرحات، ط3، عمان، دار عمار، 1996م.
- كانتيو، جان: **دروس في علم الأصوات**، ترجمة: صالح القرماوي، تونس، 1966م.
- ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ط1، ج8، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، 1999م.
- كشك، أحمد: **من وظائف الصوت اللغوي**، ط1، دار السلام، مطبعة المدينة، 1983م.
- المنتبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين: **الديوان**، جزءان في جزء واحد، شرحه وكتب هوامشه مصطفى سبيتي، بيروت، دار الكتب العلمية، (د، ت).
- مختار، أحمد عمر: **دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته**، ط1، القاهرة، عالم الكتاب، 2001م.
- المطلبي، غالب فاضل: **في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربي**، دائرة الشؤون الثقافية والنشر الجمهورية العراقية، 1984م.
- المعري، أبو العلاء أحمد بن عبد الله: **سقط الزند**، شرحه أحمد شمس الدين، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1990م.

- مفتاح، محمد: **في سيمياء الشعر القديم**، الدار البيضاء: دار الثقافة، 1989 م.
- مندور، محمد: **في الميزان الجديد**، ط1، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1944م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم: **لسان العرب**، تحقيق: عامر أحمد حيدر، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2003م.
- نصار، فؤاد: **من علوم القرآن**، ط1، دار اقرأ، بيروت، 1997م.
- نعيمة، ميخائيل: **همس الجفون**، ط6، بيروت، دار نوفل، 2004م.
- النوري، محمد جواد: **علم الأصوات العربية**، ط1، عمان، منشورات جامعة القدس المفتوحة، 1997م.
- النوري، محمد جواد، وعلي خليل الحمد: **فصول في علم الأصوات**، ط3، القاهرة، دار الفكر العربي، 2005م.
- الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله: **المستدرک علی الصحیحین**، ج2، بيروت، دار الكتاب العربي، 1916م.
- هلال، عبد الغفار حامد: **أصوات اللغة العربية**، ط2، القاهرة، مطبعة الجبلاوي، 1988م.
- الواحدی، الإمام أبو الحسن: **أسباب نزول القرآن**، تحقيق: كمال زغلول، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991م.
- وافي، علي عبد الواحد: **فقه اللغة**، ط3، القاهرة، نهضة مصر، 2004م.
- وافي، علي عبد الواحد: **علم اللغة**، ط9، القاهرة، نهضة مصر، 2004م.
- يونس، علي: **نظرة جديدة في موسيقى الشعر العربي**، الهيئة المصرية للكتاب، 1993م.

المجلات العربية

راضي، ياسر إسماعيل: *سورة الملك (دراسة في التفسير الموضوعي)*، مجلة جامعة طيبة

للآداب والعلوم الإنسانية، السنة الثانية، العدد 3، 1435هـ.

سليمان محمد سيد: *تصوير الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم*، المجلة العربية للعلوم

الإنسانية، م 9 / ع 360.

**An-Najah National University
Faculty of Graduate Studies**

**A Pragmaphonological Study on Miccan
and MedinanSuras: The Suras of
Al- Hashr and Al- Mulk as Models**

**By
Muna ‘Mohammad Waheed’ Walwil**

**Supervisor
Prof. Mohammad Jawad Al- Nouri**

**This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirement
for the Degree of Master of Arabic Language and Literature,
Faculty of Graduate Studies, An-Najah National University,
Nablus, Palestine.**

2020

**A Pragmaphonological Study on Miccan and Medinan Suras: The
Suras of Al- Hashr and Al- Mulk as Models**

By

Mona ‘Mohammad Waheed’ Walwil

Supervisor

Prof. Mohammad Jawad Al- Nouri

Abstract

Quranic studies vary; linguistic studies have made Quranic verses as their reference and scale to measure their knowledge and linguistic prosperity. They vary according to the followed scientific methods used for the sake of these sacred scripts. In order to recognize the distinctive characteristics of these scripts, the phonological studies of recital specialists have sought to know more about the characteristics of rhythm in the language of the Holy Quran.

This study, which is entitled as:” A Pragmaphonological Study on Miccan and Medinan Suras: The Suras of Al- Hashr and Al- Mulk as Models”, is a phonological study for the previously mentioned Suras for the distinctive sounds they include in terms of a number of characteristics, namely being voiced, voiceless, fricative, plosive, emphatic, non-emphatic, hissing and nasalized.

It can reflect the pragmatic reality of the script and its influence on the psychological state of the listener. From this point, this topic has been chosen for its importance which lies in employing the analytical descriptive method of the Miccan and Medinan verses of the Suras of Al- Hashr and Al- Mulk. The former reflects the general characteristics of the Medinan verses while the latter reflects the ones in the Miccan characteristics. After

that, differences between the Miccan and Medinan Suras have been figured out through studying the previously mentioned Suras.

This study consists of two main sections, namely: theoretical and practical. The former includes the historical study of the miccan and medinan suras along with the clarification of the characteristics of each. Ldo, it includes a general overview of Al- Hashr and Al- Mulk suras highlighting their themes. Then, the first chapter talks about the phonolgal factors affecting the text, however, the second chapter tackles the impact of the phonological factors on the text. The latter is the practical part which, basically, tackles the analysis of the verses of the two suras phonologically in order to know the distinctive features in both suras along with studying the Qura'nic comma in both suras in order to have a comparison between them.

This study consists of an introduction, a prelude and three chapters. The first chapter tackles the phonological strengths and weaknesses in the scrip including being voiced, voiceless, fricative, plosive, emphatic, non-emphatic, hissing and nasalized sounds. Also, it includes diphthongs, and semi- diacritics. The other part is the external factors which can be non-compound phonemes used in the script along with the phonological test, syllables and organization of the scripts.

The second chapter demonstrates the impact of the phonological factors on the text which can be preresented by pronunciation, auditory, musical and pragmatic aspects and their impact on the text.

The third chapter elaborates on the phonological indications of the two Suras by studying the silent sounds in the Suras and their distinctive characteristics. Also, it highlights the diacritic phonological indications of the Suras under study. Then, the Quranic comma has been studied highlighting its distinctive characteristics in the two Suras.

Finally, the researcher concludes this study by listing the main found results.